عصر الملك الكامل الأيوبي

رسالة تقدمت بها الطالبة

ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ

الى مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير
في التاريخ

بإشراف
الدكتور محمود ياسين التكريتي

١٤٠٩ هـ

١٩٨٨ م

اهداء من

احمد رزق

نسألكم الدعاء

صدقة جارية عنه وعن والديه

أشهد بأن إعداد هذه الاطروحة جرى تحت اشرافي في جامعة الموصل وهـي

جزء من متطلبات درجة الماجستير في التاريخ .

اسم المشرف : الدكتور محمود ياسين الـ

التوقيع :

التاريخ : ٢٥/١٢/١٩٨٨ م

نشهد باننا اعضاء لجنة التقويم والمناقشة اطلعنا على هذه الاطروحة وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها وجدنا بانها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

الدكتور	الدكتور	الدكتور
ا.د. محمود ياسين التكريتي	احمد عبد الله الحسو	قحطان عبد الستار الحديثي
عضوا ومشرفا	عضوا	رئيسا للجنة

التاريخ ٢٥/١٢/١٩٨٨

الدكتور
صلاح الدين أمين طه
عميد كلية الآداب
جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون

صدق الله العظيم

سورة التوبة
آیہ ۱۰۵

إلى النبعين الخالدين في قلبي ،
اللذين فجرا في صدري نهري خير ومحبة ..
إلى والدي الحبيبين بعض إعتراف بالجميل ..
وإلى الاجنحة التي ارتفعت في سماء المعرفة
فأطللت منها على دنيا الناس ..
أخوتي الفضلاء ..
وإلى زوجي الطيب ..
اليكم يا دنياي الصغيرة أهدي
هذا الجهد المتواضع ..

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني في اكمال متطلبات البحث فقد استمديت منه العون فكان لي خير معين .

في البداية اقدم لاستاذي المشرف الدكتور محمود ياسين أحمد جزيل الشكر لما ابداه من ملاحظات وتوجيهات سديدة يحتم الواجب ان اذكره بالتقدير والاعتزاز .

كما اقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل اللذين ساعدوني بالنصيحة والجهد والدعم والله أسأل ان يجزيهم عني خير الجزاء ويوفق الجميع لما فيه خير العلم وربنا الرب انه سميع الدعاء .

المقدمــــة

تهدف الرسالة الى دراسة فترة تاريخية مهمة من تاريخ الوطن العربي والعالم الاسلامي شهدت تحديا " من قوة خارجية هي قوة الافرنج ، في الوقت الذي كانت الدولة الايوبية فيه تعيش في بعض سني حكمها للنزاعات والصراعات الداخلية بين ملوكها . وقد شملت الرسالة دراسة جانب مهم من جوانب العلاقات الدبلوماسية والجوانب العسكرية التي تمت بين الشرق والغرب ، وكانت صفحة جديدة تحدثت عنها المصادر العربية والغربية باسهاب واختلاف وجهات نظر كانت ولاتزال مجالا " خصبا " للمؤرخين والباحثين الذين تحفزهم لمعرفة الكتابة عنها . فقد كانت تجربة طويلة تخللتها المعارك والسلام والحشد والتعبئة والدبلوماسية والهزيمة والنصر، حتى سلمت القدس للامبراطور فردريك الثاني من غير قتال ، ومن المعروف ان صفحات الانتصار قد قرئت مرارا " ، الا ان صفحات الهزيمة تظل بحاجة الى مراجعات علمية دقيقة تساعدنا على الافادة منها واستنباط الدروس والعبر.

وقد كشفت هذه التجربة بصورة لا تقبل الشك ان الامة حين تتوحد تحقق الانتصار، لان الامة العربية خرجت من محنتها هذا " بفضل الوحدة تحت قيادة صلاح الدين محرزة النصر في حطين ، وعلى العكس كان انغماس خلفائه في منازعاتهم وخلافاتهم قد افقدتهم فرصة انتزاع النصر، فطال امد الصراع مع الافرنج مائة سنة اخرى تقريبا ".

وقد توزعت الرسالة على اربعة فصول :

تناول الفصل الاول دراسة الاوضاع السياسية قبل تولي الملك الكامل السلطة وركز على الكشف عن علاقة الملك العادل مع القوى الاسلامية والافرنج ، وبحث الجزء الثاني من الفصل سيرة الملك الكامل واهم نشاطاته السياسية والعسكرية قبل توليه السلطة وشمل دراسة اهم المشاكل السياسية التي واجهت ادارته قبيل استقلاله بالسلطة ولاسيما

مؤامره ابن المشطوب وكيفيه القضاء عليها . اما الفصل الثاني فقد تناول بالدراســـه والتحليل علاقه الملك الكامل مع القوى السياسيه الايوبيه والاسلاميه في الوطن العربي والعالم الاسلامي من خلال دراسه العلاقه العسكريه مع الملوك الايوبيين في بلاد الشام والجزيره واليمن وتطرق الفصل الى دراسه علاقاته مع الخلافه العباسيه والدولتين الارتقيـــه والخوارزميه وسلاجقه الروم ، وتنوعت تلك العلاقات بين كونها علاقات طيبه واخـــرى جرت حسب ماتمليه المصالح الشخصيه والنزاعات الفرديه .

وتضمن الفصل الثالث دراسه العلاقه مع الافرنج متناولا " اهم الاحداث العسكريـــه والسياسيه التي خاضها الطرفان خلال السنوات العشرين من حكمه ، وتمثلت بالحملـه الافرنجيه الموجهـــه للاستيلاء على دمياط ، وقد جاءت كنقطه تحول في تاريخ حـــروب الافرنج مع المسلمين منذان عادت الاراضي المقدسه الى سياده الاسلام فوجهوا توجههـم الى مصر ليحطموا تلك القوه التي اوقفت بحملاتهم وافسدت تدابيرهم في تلك المنطقـــه وتجسدت العلاقه السياسيه في المباحثات التي جرت بين الامبراطور فردريك الثانـــي والملك الكامل وتم بموجبها تسليم بيت القدس ، وعدت هذه المباحثات طورا " جديدا " في العلاقه مع الافرنج لانها اتخذت طابع الدبلوماسيـــه .

واشتمل الفصل الرابع على الجوانب الحضاريه في عهد الملك الكامل فقد درسنا الحيـاه الاقتصاديه بما فيها الزراعه والصناعه وكانت امتدادا " طبيعيا " للعهود السابقـــه . كما اوضحنا النشاط التجاري بين الطرفين فضلا " عن السياسه الماليه واهم التطورات التي شهدهـا العهد الايوبي ، ثم الناحيه الاداريه التي اظهرت اهتماماته الحـــي انصبت على الاهتمام بالدواوين ، ويبحث الفصل ايضا " الجوانب الثقافيه التي تمثلت بتشجيعه للادباء والشعراء ، وينتهي الفصل بالحديث عن اهم المشاريع العماريه التي

تم انشاؤها ، مع الاخذ بنظر الاعتبار قلة ما وجد في المصادر التاريخيه من معلومات عن النظم الحضاريه لاهتمام المؤرخين بالجانب السياسي والعسكري لاسيما خلال الفتره التاريخيه التي قامت الدراسه عليها ، وقد كانت مملوءه بالانقسامات والحروب التي اضعفت العالم الاسلامي وجعلته عرضه لمطالب القوى الاجنبيه عليه .

اما المصادر التي اعتمدت عليها الدراسه فهي كثيره ومتنوعه بعضها كان معاصرا " لاحداث الفتره التاريخيه التي عنيا بها ، ياتي في مقدمه المصادر كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير عزالدين محمد عبدالكريم (ت ٦٣٠ هـ) الذي يعد من كتب التواريخ العامه وقد افاد الجزء الثاني عشر منه البحث عن حوادث عاصرت الملك الكامل ، لاسيما الجوانب العسكريه والسياسيه وعلاقته مع الملوك الايوبيين والقوى التي كان لها الدور الكبير في مسرح الاحداث السياسيه .

واعتمدت الرساله كثيرا " على كتاب (مراة الزمان في تاريخ الاعيان) لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) الذي كان معاصرا " للاحداث التاريخيه التي عاشها الملك الكامل ، ويعد كتابه من الوثائق السياسيه لان المؤلف قد شغل منصبا " اداريا " عند الملك المعظم اخي الملك الكامل ، وسجل بشكل دقيق الروايات التاريخيه التي تتعلق بالمباحثات التي جرت لتسليم بيت المقدس واصداء هذا العمل بالنسبه للمسلمين كافه .

وقد تم الرجوع الى كتاب (الاعلاق الخطيره في ذكر امراء الشام والجزيره) لابن شداد عزالدين علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤ هـ) وهو يتكون من عده اقسام منها قسم خاص بالجزيره الفراتيه والاخر بمدينه دمشق ، وتناول الجزء الاخر تاريخ لبنان وفلسطين والاردن ، ولهذا الكتاب اهميه بالغه ، فقد جمع بين الحوادث التاريخيه والاشاره الى المناطق الجغرافيه التي حكمها الايوبيين وانفرد في بعض الاحيان بذكر روايات لم يذكرها غيره من المؤرخين

المعاصرين له فلذلك يمكن ان يعد كتابه من الوثائق الرسميه التي قدمت معلومـــات عن الدوله الايوبيه وعلاقتها مع مختلف القوى ولا سيما في فتره حكم الملك الكامل • اما كتاب (مفرج الكروب في اخبار بني ايوب) لابن واصل جمال الدين محمد بن سالـــم (ت ٦٩٧ هـ) فقد اخذنا منه كثيرا " لانه اختص بدراسه الاوضاع السياسيه والعسكريـــه والاداريه والحضاريه للدوله الايوبيه وكان الجزء الرابع منه يبدأ بتكملة احـــداث سنه ٦١٥ هـ وينتهي باحداث سنه ٦٢٨ هـ ليبدأ " الجزء الخامس باحداث سنـــه ٦٢٩ هـ ويستمر الى الفتره التي اعقبت حكم الملك الكامل وقد غطى الحقبه التاريخيـــه لحكم الملك الكامل لاسيما علاقته مع الافرنج ، وعلى الرغم من اعتماده على ابن الاثيـــر الا انه ذكر معلومات جديده خدمت الباحثين في هذه المرحله بشكل كبير •

واحتوى كتاب (معيد النعم ومبيد النقم) للسبكي تاج الدين ابي النصر عبد الوهـــاب (ت ٧٧١ هـ) و (صبح الاعشى) للقلقشندي ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) على معلومات مفيده وقيمه عن تفسير المصطلحات الاداريه والعسكريه والاقتصاديه ، وقدم ابن مماتي في كتابه (قوانين الدواوين) ماده قيمه في معرفه النظم الاقتصاديه الخاصه في الزراعه والصناعه في مصر فضلا " عن تقديم تعريف لكثير من المصطلحات كالنطرون والخراج الهلالي والاجزاء وغيرها ، وتعد الماده التي قدمها في مجال الدواوين كنزا لا يمكـــن الاستغناء عنه لانها صادره عن شخص ذي خبره وممارســـه •

وقد وجدنا في مؤلفات المقريزي تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) ماده قيمه ومفصله عن النواحي السياسيه والاداريه والاقتصاديه والماليه والعماريه ، فقد كان للكتابـــه (السلوك لمعرفه دول الملوك) الذي يتألف من عده اجزاء اهميه بالغه لاسيما القســم الاول من الجزء الاول منه ، فقد وجدنا فيه ماده تاريخيه مفصله ومعلومات مهمـــه

عن الحروب التي جرت بين الافرنج والمسلمين في فترة حكم الملك الكامل وكان لكتابه
(اغاثه الامه بكشف الغمه) اهميه بالغه في الجانب الاقتصادي لانه عرض فيه الحياة
الاقتصاديه والاجتماعيه للدوله الايوبيه وما تعرضت له من ازمات وكوارث اقتصاديه
كما افادني كتابه (شذور العقود في معرفه النقود) الرساله في دراسه الاداره الماليه
في عهد الملك الكامل ، فضلا" عن كتابه (الخطط المقريزيه) وهو ذو اهميه كبيره في
دراسه الجوانب الحضاريه ولا سيما الانجازات المعماريه التي شهدتها فترة حكم الملك
الكامل ، وهناك كتب لا تقل اهميه عن السابقه منها :
كتاب (زبده الحلب في تاريخ حلب) لابن العديم كمال الدين عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ)
الذي يعد من طليعه كتب تواريخ المدن ، ويتكون من ثلاثه اجزاء وقد ركزنا على
الجزء الثالث لتعلقه بماده البحث وسرده الاحداث التاريخيه حسب التسلسل الزمني
تقريبا" وايضا اهميه كتابه في الروايات التي تتعلق بتاريخ حلب لانه كان معاصرا
للاحداث التي تعرضت لها ولذلك قدم في كتابه الشيء الجديد من المعلومات عنها •
امّا كتاب (كنز الدرر وجامع الغرر) لابن ايبك ابي عبدالله الدواداري (ت ٧٣٢ هـ)
فقد قدم معلومات جديده وقيمه عن الدولة الايوبية افادت البحث ، وقد تخللت كتابه
بعض الروايات التي نقلها عن سبط ابن الجوزي وابن واصل فهو يقول ٠٠ ذكر ابن واصل ٠٠
وقال سبط ابن الجوزي ، وكذلك كتاب (المختصر في اخبار البشر) لابي الفدا (ت ٧٣٢هـ)
الذي نقل عن ابن الاثير وزاد عليه الحوادث التي جرت في ايامه ، فضلا" عن كتاب
(تاريخ ابن الفرات) لناصرالدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧ هـ) الذي ركز على
الحوادث السياسيه والعسكريه التي عاصرت الايوبيين وقدم الجزء الثاني من المجلد
الرابع ، والجزء الاول من المجلد الخامس ماده مهمه تتعلق بالحقبه التي حكم فيها

الملك الكامل ، وكذلك كتاب (النجوم الزاهره في اخبار مصر والقاهره) لابن تغري برد ي جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤ هـ) الذي تناول فتره لحكم الملك الكامل مقسماً اياها الى سنوات ، الا ان المعلومات التي قدمها كانت مختصره .

امّا كتب التراجم فقد اعتمدنا على المؤلفات الاتيه :

(تراجم رجال القرنين السادس والسابع) لابي شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٦٥ هـ) و (فوات الوفيات) و (عيون التواريخ) لابي شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) و (عيون الانباء في طبقات الاطباء) لابن ابي اصيبعه (ت ٦٦٨ هـ) وقد قدمت هذه الكتب تراجم للرجال الذين لمعوا في الحياه السياسيه والاداريه للدوله الايوبيه .

وفي كتب الجغرافيه ماده قيمه عن المدن التي كانت ساحات للحوادث التاريخيه لهذه الدوله فقد كان لكتاب المقدسي (ت ٣٧٥ هـ) (احسن التقاسيم في معرفه الاقاليم) اهميه بالغه في دراسه المدن وما اشتهرت به من صناعات حرفيه ، ويعد كتاب (معجم البلدان) لمؤلفه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) من أهم الكتب التي يمكن من خلالها معرفه مواقع المدن فضلاً عن وجود معلومات قيمه عن الجوانب الحضاريه والسياسيه والاقتصاديه خدمت البحث في مجال القاء الضوء على الصناعه في فتره حكم الملك الكامل .

امّا كتب الادب ولا سيما دواوين الشعر فقد افادت الرساله في توضيح الجوانب السياسيه والثقافيه للعصر الذي تكتب عنه ، ففيها تجسيد لكثير من الحوادث التي تعرضت لها الدوله ومنها (ديوان ابن سناء الملك) (ت ٦٠٨ هـ) وديوان ابن عنين) (ت ٦٣٠ هـ) وديوان (ابن الفارض) (ت ٦٣٢ هـ) وديوان (البهاء زهير) (ت ٦٥٦ هـ) فضلاً عن كتب تراجم النحاه والادباء ومنها كتاب (بغيه الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه)

ـشـ

للسيوطي (ت ٩١١ هـ) وكتاب (نفح الطيب للتلمساني احمد بن محمد ، فقد اورد تعريفات لبعض الشخصيات التي كان لها دور في الحياة الثقافية وقدمت في الوقت نفسه صورة عن اهم العلوم التي كانت تدرس في تلك الحقبة التاريخية .

المحتويـــــــات

الاهــداء

شكر وتقديـــر

المقدمـــــة آ ـ خ

الفصل الاول : الاوضاع السياسية قبل تولي الملك الكامل الحكم ١ ـ ٢٤

اولا : أحوال الدولة الايوبية بعد وفاة السلطان صلاح الدين . ٢ ـ ٤

ثانيا : علاقة الملك العادل مع القوى الاسلامية والافرنج ٥ ـ ١١

آ ـ العلاقة مع الخلافة العباسية . ٥ ـ ٦

ب ـ العلاقـة مع الارامقة والاتابكة . ٧ ـ ٩

جـ ـ العلاقـة مع الافرنـــــج . ١٠ ـ ١١

ثالثا : سيرة الملك الكامل الايوبـــــــي ١١ ـ ١٨

رابعا : نشاط الملك الكامل السياسي والعسكري قبـــل توليه السلطنة . ١٨ ـ ٢٤

آ ـ دوره في حصار ماردين ١٨ ـ ١٩

ب ـ موقفه من الصراع بين ابيه الملك العـــادل والملك الافضـــل ١٩ ـ ٢٠

خامسا : اهم المشاكل السياسية التي واجهت حكمـــه . ٢٠ ـ ٢٤

آ ـ مؤامرة ابن المشطوب ٢٠ ـ ٢٢

ب ـ القضاء على مؤامرة ابن المشطوب ٢٣ ـ ٢٤

الفصل الثاني : علاقـة الملك الكامل مع القوى السياسة الايوبيـــة والاسلامية في الوطن العربي والعالم الاسلامي . ٢٥ ـ ٧٥

اولا : العلاقة العسكريـــــة ٢٦

أ ـ علاقة الملك الكامل مع حكام الشام والجزيرة من سنة ٦١٩ هـ ـ ٦٢٤ هـ / ١٢٢٢ م ـ ١٢٢٦م. ٢٦ـ ٣١

١ـ تصدى الملكين الكامل والاشرف لمحاولات الملك المعظم لانتزاع حماة. ٢٦ ـ ٢٨

٢ـ الاحلاف التي اقامها الملك المعظم لمحاربة الملكين الكامل والاشرف. ٢٨ـ ٣١

ب ـ علاقة الملك الكامل مع حكام الشام والجزيرة من سنة ٦٢٥ هـ ـ ٦٣٥هـ / ١٢٢٧ ـ ١٢٣٨م. ٣١ـ ٤٧

١ـ انتزاع الملك الكامل دمشق من حكم الملك الناصر داود. ٣١ـ ٣٦

٢ـ الاطماع التوسعية للملكين الكامل والاشرف ٣٦ ـ ٣٩

٣ـ نهاية النزاع بين ابناء الاسرة الايوبية باستلام الملك الكامل دمشق. ٣٩ـ ٤٧

جـ ـ علاقة الملك الكامل مع حكام اليمن. ٤٧ـ ٥٥

ثانيا : علاقة الملك الكامل مع الخلافة العباسية. ٥٦ـ ٦١

ثالثا : علاقة الملك الكامل مع الدولة الخوارزمية. ٦٢ـ ٦٥

رابعا : علاقة الملك الكامل مع الاراتقة. ٦٦ـ ٦٩

خامسا : علاقة الملك الكامل مع سلاجقة الروم. ٧٠ ـ ٧٥

الفصل الثالث : علاقة الملك الكامل مع الافرنج ٧٦ـ ١٢٨

آ ـ العلاقات العسكرية ٧٧ـ ١٠١

١ـ محاولات الافرنج للاستيلاء على دمياط ٧٧ـ ٨٢

٢ـ محاولات الملك الكامل في التصدي لغزو الافرنج لدمياط. ٨٣ـ ١٠١

ب ـ العلاقات السياسية ١٠٢

١- الامبراطور فردريك الثاني والاوضاع السياسية قبل توجهه الى الشرق. ١٠٢-١٠٣

٢- الاتصالات التي تمت بين الامبراطور فردريك والملك الكامل وتسليم بيت المقدس. ١٠٤-١١٥

٣- موقف المسلمين والافرنج من اتفاقية تسليم بيت المقدس. ١١٦-١٢٥

٤- استمرار العلاقة بين الملك الكامل والامبراطور فردريك . ١٢٦-١٢٨

الفصل الرابـــع: الجوانب الحضارية في عهد الملك الكامل الايوبي ١٢٩-٢٠٨

اولا : الحياة الاقتصادية ٢٠٩-١٥٦

آ- الزراعـــــــــة ١٣٠-١٣٦

ب- الثروة الحيوانية ١٣٧

جـ- الصناعـــــة ١٣٧-١٤٦

د- العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام والغرب الاوربي في عهد الملك الكامل الايوبي . ١٤٧-١٥٦

آ- طـــــــرق التجارة الرئيســـــية ١٤٧-١٤٨

ب- اثـــر التجارة في زيادة التداخل بيـــن الشرق والغرب ١٤٨-١٥٤

جـ- اهم المواد التجاريـــــة ١٥٤-١٥٦

ثانيا : تـــــداول النقود ١٥٧-١٦٣

آ- الدنانيـر والدراهم الكامليـــة ١٥٧-١٦٠

ب- اسباب صك الفلوس ١٦٠-١٦٣

ثالثا : الناحية الاداريـــــة ١٦٤-٧١

اهتمـــام الملك الكامل بالدواويـــن ١٦٤

١ـ ديوان المال	١٦٤ ـ ١٦٥
٢ـ ديوان الاحباس	١٦٦
٣ـ ديوان المجلس	١٦٦
٤ـ ديوان الجيش	١٦٦ ـ ١٦٧
٥ـ ديوان الثغور	١٦٧ ـ ١٦٨
٦ـ ديوان الاهراء	١٦٨ ـ ١٧١
رابعا : الحياة الثقافية	١٧٢ ـ ١٨٨
آ ـ المدارس	١٧٢ ـ ١٧٥
ب ـ طرق التدريس	١٧٥ ـ ١٨١
جـ ـ الشعر والشعراء	١٨٢ ـ ١٨٨
د ـ دور الامبراطور فردريك في نقل الثقافة الى اوربا	١٨٤ ـ ١٨٨
خامسا : العمارة والفنون	١٨٩ ـ ٢٠٢
١ـ العمارة	١٨٩ ـ ٢٠٣
آ ـ القلاع	١٨٩ ـ ١٩٢
ب ـ قبة الامام الشافعي	١٩٣ ـ ١٩٥
جـ ـ مدينة المنصورة	١٩٦ ـ
د ـ المدارس	١٩٧
هـ ـ خزانة شمايل	١٩٨ ـ ١٩٩
و ـ الجسور	١٩٩ ـ ٢٠١
٢ـ الفنون	٢٠١ ـ ٢٠٣
سادسا : الحياة الاجتماعية	٢٠٤ ـ ٢٠٨
١ـ مسح الخلع والهبات	٢٠٤ ـ ٢٠٦

الخاتمـــــــة ٢٠٩ ـ ٢١٠

المخطوطات والمصادر والمراجـــع العربيــــــة والمعربة

١ـ المخطوطات

٢ـ المصادر الاوليـــة

٣ـ المراجع العربية والمعربة

المصـــــــادر والمقالات الاجنبيـــــة

المصادر الاجنبيـــة

المقالات الاجنبيـــة

الملاحـــــق

((الفصـــــــــل الأول))

الاوضـــاع السيـاسيـــه قبل تولي الملك الكامل الحكـــم

الفصـــل الأول

الاوضاع السياسيه قبل تولي الملك الكامل للحكم

اولاً : احوال الدوله الايوبيه بعد وفاه السلطان صلاح الدين الايوبي :-

تعرضت الدوله الايوبيه بعد وفاه صلاح الدين سنه ٥٨٩هـ/١١٩٣م لمخاطـــر هددت كيانها ووحدتها ، فقد نشبت منازعات بين ابناء البيت الايوبي ، واهـــم ماتميزت به هذه الفتره بروز اخيه الملك العادل على مسرح السياسه الايوبيـــه ساعيا" الى تحقيق وحده الدوله الايوبيه (١) وقد استطاع الملك العادل بمـــا اتصف به من دهاء وحنكه سياسيه ان يعمل سوا" على استماله امراء البيـــت الايوبي حتى تمكن من اجتذاب معظمهم ثم اخذ يبذل مساعيه لايقاع النزاع بينهم واستطاع بعد سلسله من الحروب مع الملكين الافضل والظاهر من تصفيه الاوضاع

---

(١) للمزيد ينظر: العماد الاصفهاني - عماد الدين بن عبدالله محمد بن محمد الفتح : القيسي بالفتح القدسي (مصر: ١٣٢١ هـ) ٣٢٢-٣٢٥، ابن الاثير: ابوالحسن عزالدين بن علي الشيباني : الكامل في التاريخ (بيروت : ١٩٦٦) ١٢/١٧وما بعدها وابن الفرات - ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم : تاريخ الدول والملوك والمعروف باسم : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق : حسن محمد الشماع (البصره : ١٩٦٩) م٤/ ج٢ : ٢٢٧ ، المقريزي - تقي الدين احمد بن علي : السلوك لمعرفه دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زياده (القاهره : ١٩٣٤) ج١/ق١/١٢٤-١٢٥ .

لصالحه (١) فدخل القاهرة سنة ٥٩٦ هـ: ١١٩٩ م على ان يكون اتابكا "للملك ناصر الدين محمد بن عبد العزيز الملقب بالمنصور الى ان يكبر الا انه بعد ايام قطع خطبة الملك المنصور وجعلها له ولولده الملك الكامل من بعده (٢) وسوغ فعله هذا بالقول ((قبيح بي ان اكون اتابكا " لصبي من الشيخوخة والتقدم)) (٣) • وقد استقل الملك العادل بالسلطة في مصر سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م وخطب له بالقاهرة يوم الجمعة ٢١ شوال من السنة نفسها (٤) لينصرف الى تنظيم ادارة دولته على نفس الاسس التي سلكها اخوه صلاح الدين حيث احتفظ لنفسه بنوع من السيادة العليا واصبح ابنه الكامل نائبا " عنه في مصر، وصار ابنه الملك المعظم عيسى يحكم دمشق وبيت المقدس والكرك والشوبك وطبرية والاردن •

---

(١) لمعرفة تفاصيل الحروب والمساومات السياسية بين الملك العادل وامراء البيت الايوبي • ينظر :ابن واصل :جمال الدين بن سالم :مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة :١٩٦٠) ١٠٦/٣ ؛ الذهبي ،الحافظ شمس الدين محمد :دول الاسلام ، تحقيق فهمي شلتوت، محمد مصطفى ابراهيم (القاهرة :١٩٧٤) ١٠٤/٢ ؛ابن الفرات : تاريخه م٤/ج ٢ /١٧٦ •

(٢) ابن الاثير :الكامل ١٥٥/١٢ ؛ الحموي ،ابو الفضايل محمد بن علي :تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان المعروف باسم التاريخ المنصوري ، تحقيق بطرس غريازنيوج (موسكو: ١٩٦٣) ٢٢١ ؛سبط بن الجوزي ، شمس الدين ابن يوسف قزاوغلي :مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ط١ (الهند :١٩٥٢) ٤٧١/٨ •

(٣) ابن واصل :مفرج الكروب ٣ / ١١١ •

(٤) ابن خلكان :ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد :وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،تحقيق :احسان عباس (بيروت :١٩٦٨) ٧٥/٥ ؛الذهبي :دول الاسلام الذهبي :دول الاسلام ١٠٥/٢ ؛ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن :النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة (القاهرة :١٩٦٣) ٦٩/٦ •

كما ولى الملك الاشرف موسى البلاد الشرقيه خلاط ، فارس ، وحران ، والرها (١) لذلك عادت الوحده الايوبيه بزعامه الملك العادل الذى باشر بكل جهوده تعزيز هذه الوحده (٢)
وعلم امراء الصلاحيه (٣) باستقلال الملك العادل بالسلطه فاغاضهم ذلك ، وطلبوا سنه ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م من الملك الظاهر والملك الاظهر الاستيلاء على دمشق (٤) ،
ولما علم الملك العادل ان الملكين الافضل والظاهر يقصدان دمشق أمر الملك المعظم بالسير الى فرخند وحاصرها (٥) ، وفى الوقت نفسه خرج الملك العادل على رأس جيش من مصر ، واقام بنابلس (٦) وارسل قسما" من العساكر الى دمشق لحصارها (٧) ،
واستمر الحصار شهرين واوشكت دمشق على التسليم ، فانقذها الخلاف الذى حدث بين الملك الافضل والظاهر ، فقد رفض الظاهر تسليم دمشق للملك الافضل حتى يتم انتزاع مصر من الملك العادل (٨) ،
وهكذا فشل الحصار وطلب الملكان الصلح على اساس احتفاظ الملك الافضل باسميساط (٩) فبقي فيها الى ان توفي سنه ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م بعد ان سلم مدينه سروج ورأس العين للملك الظاهر (١٠) ، وهكذا استقرت الاوضاع في مصر وبلاد الشام والجزيره للملك العادل ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥ / ٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٣ / ١١٢ ، الذهبي : دول الاسلام ٢ / ١٠٥ ، القلقشندى ـ ابوالعباس احمد بن علي : صبح الاعشى في صناعه الانشا (القاهره : ١٩٦٣) ٤ / ١٦٦ ،

(٢) ابوشامه ـ شهاب الدين ابو عبد الرحمن ابن اسماعيل : الروضتين في اخبار الدولتين النوريه والصلاحيه (بيروت : د / ت) ٢ / ٢٣٩ ، ابوالفدا ـ عماد الدين اسماعيل : المختصر في اخبار البشر ط١ (القاهره : د / ت) ٣ / ١٠١ ،

(٣) الامراء صلاحيه : يقصد بهم مماليك السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي ومنهم فخر الدين جركز وسرا سنقر وغيرهم ، ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١١٨ ،

(٤) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٦٠ ، ابوالفدا : المختصر ٣ / ٩٩ ،

(٥) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٦١ ،

(٦) ابوالفدا : المختصر ٣ / ١٠٠

(٧) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٦٢ ،

(٨) ابوالفدا : المختصر ٣ / ١٠٠ ،

(٩) سميساط : مدينه تقع غربي نهر الفرات : ياقوت الحموي ـ شهاب الدين ابو عبد الله : معجم البلدان (بيروت : ١٩٥٧) ٣ / ٢٥٨ ،

(١٠) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٨٢ ، ابن الوردى ـ زين الدين عمر بن مظفر : تتمه المختصر المعروف بتاريخ ابن الوردى (النجف : ١٩٦٩) ٢ / ١٩٤ ،

ثانيا" • علاقه الملك العادل مع القوى الاسلاميه والافرنج :ـ

أ• علاقته مع الخلافه العباسيه :ـ

ساد العلاقه بين الخلافه العباسيه والدوله الايوبيه روح التعاون والاعتراف بسياده الخليفه العباسي ، وما عزز هذه العلاقه تبادل السفارات والمكاتبات بهدف ازاله الخلافات التي قد تحدث بين الخلافه والبيت الايوبي من جهه وبين ملوك بني ايوب انفسهم لاقامه علاقات طيبه •

وقد قام الخليفه الناصر لدين الله سنه ٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م بارسال سراويل الفتوه (١) للملك العادل واولاده فهم اول من انضموا الى هذا التنظيم (٢) وبعد ان استقل الملك العادل بالسلطه ، ارسل سنه ٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م رسله الى الخليفه العباسي الناصر لدين الله يطلب منه التقليد على مصر والشام وخلاط وبلاد الجزيره فاكرمهم وارسل لهم بصحبه شهاب الدين الشهرزوري (٣) الخلع (٤) والتقليد اليه والى سائر الملوك الايوبيين بعاصمهم اولاده (٥) •

---

(١) الفتوه : نظام تبناه الخليفه الناصر لدين الله ليجدد نشاط الدوله العباسيه على الاصعده كافه ويوحدها في الداخل والخارج ويجعل بغداد مركز العالم الاسلامي في الشرق والغرب • وسراويل الفتوه : هو اللباس الذي يرتديه من كان ينتمي لنظام الفتوه وللمزيد عن نظام الفتوه والمنضمين اليها ينظر : ابن المعمار ، ابو عبد الله محمد ابو المكارم البغدادي : الفتوه ، تحقيق : مصطفى جواد (بغداد : ١٩٥٨) ٥٥ـ٥٦ و ٢٠٨ـ٢٠٩ •

(٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ٥١٣/٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٠٦/٣ وابن كثير ، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل : البدايه والنهايه ط١ (بيروت : ١٩٦٦) ٣٤/١٣ •

(٣) الشهرزوري : شهاب الدين الملقب بالشهرزوري نسبه الى بلده شهرزور التي تقع بين اربل وهمدان ، حظي بمكانه كبيرة عند الناصر حتى جعله مقدما" على شيوخ بغداد وارسله في الرسائل العظيمه الى ملوك الدول الاسلاميه ، المقريزي : السلوك ج١/ق١/١٦٧ •

(٤) الخلع هي ((جبه سوداء بطراز ذهب وعمامه سوداء بطراز ذهب ، وطوق ذهب مجوهر ثقيل وسيف محلى جميع قرابه بالذهب وعلم اسود مكتوب عليه بالبياض القاب الناصر لدين الله)) ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهره ١٦٦/٦ • وورد ابن واصل ، وابن الوردي ان هذه الخلع احتوت على (حصان اشهب بركاب ذهب) مفرج الكروب ١٨١/٣ وتاريخ ابن الوردي ١٧٨/٢

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١٨٠/٣ ، ابن ايبك ، ابو بكر ابن عبد الله الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر المعروف باسم الدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب : تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهره : ١٩٧٢) ١٦٤/٧ •

وشهدت بلاد الشام احتفالاً "كبيراً "لترقيه حكم الملك العادل على البلاد التي يحكمها وخطب له بملك الملوك وخليل امير المؤمنين (١) ثم اتجه الشهرزوري الى مصر وخلع على الملك الكامل وسط احتفال كبير استمر عده ايام (٢) ثم عاد الى بغداد حاملاً "هدايا الملك العادل الى الخليفه الناصر لدين الله (٣) واراد الملك العادل سنه ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م توسيع مملكته في منطقه الجزيره وذلك باستغلال النزاع الذي وقع بين نور الدين ارسلان صاحب الموصل ، وعمه قطب الدين صاحب سنجار فاتفق مع نور الدين على اقتسام بلاد قطب الدين على ان تكون الجزيره لصاحب الموصل وسنجار له (٤) ولتنفيذ الاتفاق اتجه الملك العادل سنه ٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م الى سنجار فارسل الخليفه الناصر لدين الله يطلب منه الرحيل عنها (٥) واستمرت العلاقه الطيبه بين الخلافه والملك العادل حتى وفاته فلما ذاعت اخبار وفاته تمل ببغداد حتى نودي : من اراد الصلاه عليه فليحضر الى جامع القصر، فصلوا عليه صلاه الغائب وفعل خطباء الجوامع ذلك بعد صلاه الجمعه (٦).

---

(١) ابو الفدا : المختصر ٣/١٠٩

(٢) ابو الفدا : المختصر ٣/١٠٩ ، المقريزي : السلوك جـ ١ /ق١ ١٦٨ .

(٣) المقريزي : السلوك جـ ١ /ق ١ / ١٦٨

(٤) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ٢٨٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ١٩١

(٥) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ٢٨٤ ، ابن شداد ـ عز الدين ابو عبد الله محمد الحلبي : الاعلاق الخطيره في ذكر امراء الشام والجزيره ، قسم الجزيره تحقيق : سامي الدهان (بيروت : ١٩٦٣) ١٩١ .

(٦) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧ .

• علاقته مع الاراتقه (١) والاتابكـــه

ان اول خلاف وقع بين الملك العادل والاراتقه ، لاسيما اماره ماردين كان بحدود ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م (٢) ، فقد ارسل مدير مملكه حسام الدين ارسلان الى الملك العادل يعرض عليه تسليم ماردين على ان يعوضه عنها مما حث الملك العادل على التوجه الى الشرق ليتسلم ماردين الا ان مدير المملكه تراجع عن قراره فارسل الملك العادل يطلب النجده فوصلت العساكرمن مصر (٣) فضلاً " عن تطوع بعض امراء الاطراف لمساعدته (٤) فحاصرماردين فتره طويله حتى سلم بعض اهلها الربض ، الذى ساعده في فرض سيطرته على القلعه ولم يبق الا ان يتسلم المدينه ، فوصله خبر وفاه الملك العزيز ، فاتجه الى مصر تاركاً ابنه الملك الكامل محاصراً " لهـــا (٥) • واستمرت العلاقه غيرطبيه بين الملك العادل وصاحب ماردين فكرر الملك العادل محاولته للسيطره عليها فارسل سنه ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م قواته بقياده ولده الملك الاشرف لمهاجمتها فحاصرها الى ان تم الصلح بين الطرفين على يد الملك الظاهر على ان يقوم صاحب ماردين بدفع ١٥٠ الف دينار سنوياً " وان يخطب للملك العادل في بلاده ويضرب النقود باسمه ويكون مستعدا " لمساعدته وبهذا تخلى الجيش الايوبي عن حصار ماردين (٦) •

---

(١) الاراتقه : يعود ارتق بن سكمان مؤسس الدوله الارتقيه التي حكمت في ماردين وحصن كيفا ، وامد ، وخرتبرت • للمزيد ينظر زامباور : تاريخ الدول الاسلاميه ، ترجمه : احمد السعيد سليمان (مصر : ١٩٧٢) ٢ / ٢٥٠ •

(٢) خليل : عماد الدين : الامارات الارتقيه في الجزيره والشام ط١ (بيروت : ١٩٨٠) ٩ ١٥

(٣) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٣٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٣ / ٨٠

(٤) ابوشامه : الروضتين ٢ / ٢٢٠

(٥) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٣٨ ؛ ابو شامه : الروضتين ٢ / ٢٢٥ • وسوف ترد تفاصيل دور الملك الكامل في هذا الحصار ضمن النشاط السياسي والعسكرى للملك الكامل قبل توليه السلطه ٢٦ ـ ٢٧ •

(٦) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٧٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٣ / ١٣٩ ؛ ابن خلدون : عبدالرحمن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر • المعروف باسم تاريخ ابن خلدون (بيروت : ١٩٧١) ٥ / ٢٢٩ •

اتخذت علاقة الملك العادل مع صاحب حصن كيفا وآمد طابع الود ومما يؤكد ذلك اعطاء الملك العادل القرادي (١) لخليفة الصالح محمود صاحب آمد (٢) وفي سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م اتفق صاحب ماردين مع مظفر الدين كوكبري صاحب اربل ، ونور الدين ارسلان صاحب الموصل والجزيرة والملك الظاهر صاحب حلب ، للقيام بعدة تحركات ضد دائن الدولة الملك العادل ومنها تحويل الخطبة الى سلطان سلاجقة الروم الا انهم لم يحققوا ما ارادوه فبادر كل منهم الى مراسلة الملك العادل طلبا " مسؤلية العصيان على غيره فقبل الملك العادل اعذارهم وعقد معهم صلحا " سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م (٣) التزمت الامارات الارتقية بمقتضاه العهد ، ولم تثر ايه مشاكل مع الايوبيين حتى وفاة الملك العادل سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م (٤) .

---

(١) القرادي : ناحيه في ماردين كان ناصر الدين ارتق ارسلان صاحب ماردين قد اعطاها للملك الظاهر وبعد تسلم الملك العادل سنجار اخذها منه وسلمها للملك الصالح محمود صاحب آمد فكانت حجه اتخذها الملك الظاهر لينقض صلحه مع الملك العادل . ابن واصل : مفرج الكروب ١٩٥/٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٩٥/٣ ، للمزيد ينظر خليل الامارات الارتقيه ١٧٠-١٧٢

(٣) ابوشامه : تراجم رجال القرنين السادس والسابع والمعروف بالذيل على الروضتين تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مراجعه : عزت العطار الحسيني (بيروت : ١٩٧٤) ٧٥ .

(٤) خليل : الامارات الارتقيه ١٧٢ .

علاقته مع الاتابكه (١) ٥٨٩هـ٦١٥هـ/١١٩٣ـ ١٢١٨م

استمر الاتابكه الصراع الذي نشب بين الاسره الايوبيه ، بالوقوف موقفا " عدائيا " من نفوذهم بالجزيره ، ففي سنه ٥٩٧هـ / ١٢٠٠ م اتفق الملك الظاهر غازي صاحب حلب ونورالدين ارسلان صاحب الموصل على مواجهه العادل ، وتنفيذا " لهذا الاتفاق ، هاجم نورالدين بلاد الجزيره ولم يتمكن الملك الفائز ابن العادل صاحب حران من محاربتهم فطلب الصلح وعاد نورالدين الى الموصل (٢)٠ وحاول الملك العادل اعاده الدوله الموحده ولكي يحقق هدفه كان عليه ان يعزل الموصل عن باقي الولايات المجاوره ويقف امام اي تحالف ينشأ معها (٣) ولا مُرواضح وذلك من اجل اضعاف قوه الاماره المحيطه بدولته ، وحينذاك يسهل الامر لمواجهتهم ، وتمكن الملك العادل فعلا" من نقض الاتفاق الذي حدث بين نورالدين ارسلان صاحب الموصل وقطب الدين صاحب سنجار واستمر خمس سنوات ت ٥٩٥هـ/ ٦٠٠ـ ١١٩٨ـ ١٢٠٣ م وذلك باستماله صاحب سنجار الى جانبه ، واستمر النزاع بين هذه الاطراف الى ان تم سنه ٦٠١ هـ /١٢٠٤ م عقد صلح بين الملك الاشرف ونورالدين ارسلان صاحب الموصل (٤) ٠

ونتيجه لهذا الصلح اشترك نورالدين ارسلان في مجاهده الافرنج في بلاد الشام وساعد الملك العادل في حصاره لحصن الاكراد وطرابلس (٥) ومما زاد من توطيد العلاقه بين الطرفين ترويج الملك العادل احدا بنائه من ابنه نورالدين صاحب الموصل (٦) ، ولم تبق العلاقه طيبه بين الطرفين اذ سرعان ما نشب النزاع بسبب الاطماع الشخصيه لكليهما (٧) الا ان وفاه نورالدين ارسلان سنه ٦٠٧ هـ /١٢١٠م قضت على النزاع القائم بين الموصل والدوله

---

(١) الاتابكه : يعد عماد الدين زنكي مؤسس دوله الاتابكه التي حكمت في الموصل وسنجار وحران وجزيره ابن عمر وحلب ، ينظر زامباور: تاريخ الدول الاسلاميه ٢/ ٣٤٥ ٠

(٢) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ١٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ١٢٧ ، ابن الفرات : تاريخه م٤/ ج٢/ ٢٠٦ ، ابن خلدون تاريخه ٥/ ٢٢٨

(٣) الجميلي : رشيد / دوله الاتابكه في الموصل بعد عماد الدين زنكي ط١ (بيروت: ١٩٧٠) ٧٠

(٤) للمزيد عن تفاصيل النزاعات والصلح الذي تم بين نورالدين والملك العادل ينظر : ابن الاثير الكامل ١٢/ ١٩٢ـ ١٩٣ ٠

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ١٧٢ ، المقريزي : السلوك ج١/ ق١/ ١٦٦

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ١٩١ ، ابن خلدون : تاريخه ٥/ ٣٤٢

(٧) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدوله الاتابكيه في الموصل تحقيق عبد القادر طليمات (القاهره : ١٩٦٣) ١٩٦ـ ١٩٧ ، ابن الفرات : تاريخه م٥/ ج١/ ٥١ ٠

الايوبيه فقد تولى حكمها اولاد نورالدين من بعده تؤكد بيرمن الامير بدرالدين لؤلـــو واستمرت العلاقه حسنه بين الطرفين الى سنه ٦١٥ هـ /١٢١٨ م (١) •

علاقه الملك العادل مع الافرنج

ان الفوضى التي عمت الدوله الايوبيه بعد وفاه صلاح الدين والمنازعات والحروب بين ابناء البيت الايوبي جعلت امرالاحتفاظ بحالة السلم صعبا " (٢) لاسيما بعد صلح الرملــــه الذي كانت مدته ثلاث سنين وثمانيه اشهر (٣) • وباشر هنري السادس امبراطور المانيـــا بعد انتهاء مده الصلح بالاعداد لحمله جديده لم تستهدف استرجاع بيت المقدس فحسب ، بل لتحقيق اطماعه التوسعيه في المشرق (٤) وقد ادت هذه الحمله الى حدوث عده مناوشات بين الطرفين وتمكن الملك العادل سنه ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م من استرجاع يافا من يـــد الافرنج (٥) وفي الوقت نفسه استولى الافرنج سنه ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م على بيروت تعويضــا عن خسارتهم في يافا (٦) وتقدموا الالمان نحو حصن تبنين وحاصروه الا ان المسلميـــن تمكنوا بجهود الملك العادل من القضاء عليهم قضلا " عن وصول الملك العزيزبجيشـــه من مصر لمساعدته (٧) • وباءت الحمله الافرنجيه الالمانيه بالفشل وحدثت اضطرابات بين صفوف الغزاه الطامعين لوفاه هنري دي شامبين ملك الافرنج في الشام سنه ٥٩٤هـ/ ١١٩٧ م (٨) ووفاه الملك العزيز سنه ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م (٩) فاثرالطرفان الهوادعـه والمصالحه حتى توصلا الى صلح سنه ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م على ان يحتفظ كل منهما بفتوحاته وتقسيم صيدا مناصفه وتكون مده الصلح ثلاث سنوات (١٠) •

---

(١) التكريتي : محمود ياسين احمد :الايوبيين في شمال الشام والجزيره (بغداد : ١٩٨١) ١٥٢ـ١٥٣ •

(٢) عاشورسعيد عبدالفتاح :الحركه الصليبيه صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد العربي ط٢ ـ القاهره : ١٩٧٦)٢/ ٨٨١ •

(٣) حول صلح الرمله :ينظرابن الاثير :الكامل ١٢ /٨٥ـ٨٦ •

(٤) عاشور • الحركه الصليبيه ٢ /٨٨٠ •

(٥) ابن الاثير :الكامل ١٢ /١٢٦ ; ابن شداد :عزالدين ابوعبدالله محمدبن علي :الاعلاق الخطيره في ذكرامراء الشام والجزيره :تاريخ لبنان والاردن وفلسطين :تحقيــــق سامي الدهان (بيروت١٩٦٣)٢٥٦ ; الذهبي :دول الاسلام٢ /١٠٣ •

(٦) ابن الاثير :الكامل ١٢ / ١٢٧ •

(٧) الحموي :التاريخ المنصوري٢١٨ ; ابوالفداء :المختصر ٣ /٩٢ •

(٨) عاشور :الحركه الصليبيه ٢ /٨٨٢ •

ومن خلال سير الاحداث التاريخيه ، يتضح لنا ان سياسه الملك العادل تجاه الافرنج كانت تتسم بروح التسامح وذلك من خلال استجابته للصلح كلما دعاه الافرنج اليه وكان الصلح دافعا " في الوقت نفسه للعرب والمسلمين نحو الوحده تحت قياده الملك العادل (١) ان الصلح السابق لم يقض على اطماع الافرنج في الوطن العربي بل استمرت الاستعدادات لتحقيق هذا الهدف (٢) • فبعد فشل الافرنج في استرجاع بيت المقدس ، اخذوا يعدون مخططا " لاحتلال مصر بعد ان استقر الرأي لديهم في الغرب على ان السيطره على مصر يعني التحكم في بلاد الشام لانها القاعده الحصينه التي تمد الجيوش بالعون والامدادات الماديه والمعنويه (٣) • ويعني هذا فسح المجال امامهم للتوجه من هناك الي بلاد الشام لمحاصره المسلمين ووضعهم في كماشه كما فعل بهم السلطان صلاح الدين من قبل (٤) والاهم من ذلك اضعاف قوه العرب العسكريه في بلاد الشام عن طريق فتح جبهه القتال في مصر •

وقدم الافرنج سنه ٦١٥ هـ/١٢١٨ م للاستيلاء على دمياط ، وكان العادل في مرج الصفر فارسل العساكر الى مصر نجده لابنه الملك الكامل الا انه توفي في الوقت نفسه تاركا " مسؤوليه مواجهه الافرنج لابنه الكامل الذي اصبح صاحب السياده العليا في الدوله الايوبيه (٥) •

ثانيا " : سيره الملك الكامل

هو ابو المعالي محمد بن العادل ابي بكر محمد بن ابي الشكر بن شادي بن مروان الدويني التكريتي ثم الدمشقي (٦) لقب بالملك الكامل ناصر الدين ابي المعالي ابي المظفر (٧) وقد ذكر كنيه بابي الفتح عماد الدين (٨) •

(١) التكريتي : الايوبيين ٢٦٨ •

(٢) قام الافرنج بعده حملات منها الحمله الرابعه سنه ٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م التي انحرفت نحو القسطنطينيه وحمله الاطفال وهي اغرب الحملات الصليبيه للمزيد ينظر : عاشور : الحركه الصليبيه ٢/ ٨٩٢ـ ٩١٩ •

(٣) الصدداوي : الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي (القاهره : ١٩٦١) ٦٤ •

(٤) نوري : د ريد عبد القادر وآخرين : الوطن العربي والغزو الصليبي (العراق : ١٩٨١) ٢٠٣ •

(٥) سوف ترد تفاصيل هذه الحمله في الفصل الثالث ضمن العلاقات العسكريه مع الافرنج ص ١٠٤ ـ ١٠٦

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥/ ٧٩ ؛ الصفدي ـ صلاح الدين خليل بن ايبك : الوافي بالوفيات ط٢ (طهران : ١٩٦١) ١/ ١٩٢ ، ابن دقماق ـ صارم الدين ابراهيم : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ـ مخطوطه في معهد احياء المخطوطات الجامعه العربيه برقم ٥٩٤ تاريخ) ورقه ١١ •

(٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهره ٦/ ٢٢٧ •

(٨) الطولوني ـ حسن بن حسين بن احمد : النزهه السنيه في اخبار الخلفاء والملوك المصريه وهو ضمن كتاب التحفه البهيه والطرفه الشهيه ، الثعالبي ابي منصور (القسطنطينيه :

ولد الملك الكامل سنه ٥٧٢هـ/١١٧٧م (١) وبدأ حياته السياسيه على ما يبدو منذ سنه ٥٨٧هـ/١١٩١م عندما "كان مرافقا" لوالده في المشرق ، ولذا ذكرانه كان مطلاعنه في حكم الجزيره (٢) واكسبته تلك المصاحبه خبره سياسيه وتجربه عسكريه لانه الكبير اخوته بعد اخيه مودود (٣) الذي توفي في حياه والده الملك العادل (٤) ، ولم تتحدث المصادر عن حياته الاولى بشيء ، ولكنها اشارت الى بعض الصفات العامه من حياته السياسيه والشخصيه فقد ذكرت عنه (العدل والتمسك بالدين ..مع الكرم والحياء) (٥) واشار البعض الآخر الى انه (كان صحيح الاسلام معظما" للسنه واهلها فيه عدل وكرم وحياء وله هيبه شديده) (٦).

وبعد توليه الحكم وصف بانه كان (سلطانا" جليل القدر محترما" جميل الذكر حازما" في

---

(١) ابن المستوفي ، شرف الدين ابو البركات الاربلي : نباهه البلد الخامل بمن ورده من الاماثل المعروف باسم : تاريخ اربل ، تحقيق : سامي الصقار (العراق : ١٩٨٠) ق ٢ / ٤١٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٥٠٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/ ٢٢٦ وذكرت مصادر اخرى ان وفاته كانت سنه ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م ؛ ابن المستوفي : تاريخ اربل ق ٢/ ٤١٢ ؛ ابن سعيد ، علي بن موسى : المغرب في حلي المغرب ، نصوص مختاره حققها حسين نصار وجمعها في كتاب النجوم الزاهره في حلي حضره القاهره (القاهره : ١٩٧٠) ٢٩١ ، الذهبي : دول الاسلام ٢/ ١٢٨ ، ابن كثير : البدايه والنهايه ١٢/ ١٤٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهره ٦/ ٢٢٧ ، الزبيدي ، السيد محمد مرتضى : ترويح القلوب في ذكر ملوك بني ايوب ، تحقيق صلاح الدين المنجد (دمشق : ١٩٧٠) ٨٧ . وقيل ان ولادته كانت سنه ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهره ٦/ ٢٢٨ .

(٢) Gottschalk, H.L. "Al Malik Al Kamil, in Encyclopaedia of Islam, vol., Iv, p., 520

EI., Vol., Iv, p.520

(٣) ابن ايبك : كنز الدرر ٧/ ٢٢٦ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ٢٧٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهره ٦/ ٢٧٢ ، الزبيدي : ترويح القلوب ٦٣ .

(٥) ابن المستوفي : تاريخ اربل ق٢/ ٤١٢

(٦) الذهبي : دول الاسلام ٢/ ١٢٩ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت : ١٩٦٦) ١٤٤/٥ .

اموره لا يضع الشيء الا في محله من غير اسراف ولا اقتار(١)٠
ومن المؤرخين من قدم وصفاً "جامعاً" لصفاته وكيفيه ادارته لشؤون البلاد فذكر انه (كان مهاباً "حازماً" سديد الرأي حسن التدبير عفيفاً "٠٠كان ينتدب من يختاره لتدبير الاشغال ويحضرعنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه وكان كثير السياسه حسن المداراه(٢) ((وكان ذكياً "شجاعاً" راجح العقل ذا رأي سديد)) (٣) ونعت بالحلم ومايؤكد ذلك ان شاعراً "هجاه مراراً"، فلم يلتفت اليه ،فتمادى الشاعر وتجاوز الملك الكامل في جرائه (٤)٠
وقد اسهمت هذه الصفات في بناء شخصيته حتى اخذ الناس يتحدثون عن الامن والاستقرار في عهده حتى قيل (ان الرجل الذي بين العريش وديار مصر كان يمر به الانسان وحده ومعه الذهب الكثير والجماعه اليسيره ومعها الاحمال من القماش فلايخافون سارقاً ولا قاطع طريق (٥) ٠

وفاتـــه

توفي الملك الكامل بدمشق يوم الخميس في الثاني والعشرين من رجب سنه ٦٢٥هـ/١٢٢٨م(٦)

---

(١) اليافعي ـ ابومحمد عبدالله بن اسعد المكي :مرآة الجنان وعبره اليقظان (الهند: ١٣٢٩هـ) ٩٠/٤٠
(٢) المقريزي :المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفه بالخطط المقريزيه (بغداد : ١٩٧٠) ٢٣٧/٢٠
(٣) ابن تغري بردي :النجوم الزاهره ٢٢٧/٦٠
(٤) حيث قال الشاعر: وما تركهم للقتل حلماً وانما   يرون بقاء المرء في ملازم اشقى
ينظر:ابن واصل :مفرج الكروب ،تحقيق :حسنين محمد ربيع، مراجعه :سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهره :١٩٧٧) ١٥٧/٥، العيني ـ بدرالدين ابومحمد محمود بن الحسين: السيف المهند في سيره الملك المؤيد الشيخ المحمودي ،تحقيق فهيم شلتوت ،مراجعه :محمد مصطفى زياده (القاهره :١٩٦٧) ٢٠٠٠
(٥) ابن واصل :مفرج الكروب ١٥٧/٥٠
(٦) سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ٢٠٦/٨، ابن خلكان وفيات الاعيان ٨٣/٥ العليمي ٠ ابو اليمن مجيرالدين عبدالرحمن :الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل تحقيق محمد بحر العلوم (النجف :١٩٦٨) ٤٠٧/٢٠
وعلى الرغم من اجماع الباحثين على ان وفاته كانت سنه ٦٢٥هـ/١٢٢٨م فقد انفرد ابن ايبك برواية مفادها انه (توفي ٠٠ليله يسفرصباحها عن نهار الاربعاء الحادي والعشرين من رجب من هذه السنه (اي سنه ٦٣٦هـ)٠٠٠))٠
ينظر ابن ايبك :كنزالدرر ٣٢٦/٧٠

وكانت اعراض مرضه السعال والاسهال والنقرس في رجليه (١) وعندما تحسنت صحته اقام احتفالا " كبيرا " حضره عدد من الشعراء واحد عدوه ومنهم النابلسي الذي قال فيه :

لما شكوت شكاة عمـا | على الارض واعظ شرق وغرب
وهاء بذلك قلوب الانام | ولم يبق للناس عقل ولب (٢)

ولكنه لم يتوقف صباح الخميس، بل توفي عشيه الاربعاء ، واخفوا وفاته الى صلاه الجمعه (٣) وجرى رثاه على لسان ابن واصل حيث قال فيه :-

ولو خلد الملك العقيم جلالا | حوى الملك وانقادت الى امره الامم
لخلد فيها الكامل الملك الذي | له خضعت غلب الممالك والقمم (٣)

وشبهت الفتره الزمنيه لحكم الملك الكامل ، بحكم معاويه بن ابي سفيان فانه ولي الشام عشرين سنه اخرى وكذلك الملك الكامل حكم مصر اربعين سنه عشرون منها في اثناء حكم ابيه الملك العادل ، وعشرون منها بعد وفاته (٤) . ولم يخلف الملك الكامل رجلا " قادرا " فـي اداره الدوله الايوبيه ، يرتفع الى مستوى المسؤليه لاداره البلاد فقد تجدد الخلاف بين الامراء الايوبيين في جميع اقاليم الدوله ، فضلا " عن النزاع بين اولاده للحصول على السلطه (٥) وبذلك يمكن ان تعد وفاه الملك الكامل بدايه انحلال الدوله الايوبيه ومظهرا " من مظاهـر سقوطهـا (٧) .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٧٠٨ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٥٤ .

(٢) ابن ايبك : كنز الدرر : شرقا " وغربا " وعقلا ولبا " : في موضع القافيتين وهو ليس صحيحـا " لان الموضوع هو الرفع وليس النصب .

(٣) اليافعي : مرآة الجنان ٤/٩٠ .

(٤) ينظر : الحنبلي ـ احمد بن ابراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيـد (العراق : ١٩٧٨) ٣٢٠ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٥٥ .

(٦) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٧٠٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/٣٢٨

(٧) العريني ـ السيد الباز : الشرق الادنى في العصور الوسطى ـ الايوبيون ـ (القاهره : ١٩٦٧) ١٢٢ .

ثقافته :

اهتم الملك الكامل بالحياة الثقافية بصورة واسعة ، بوصفها من الامور الضرورية لتوسيع آفاق الانسان ومداركه في الحياة . ويمكن تقسيم الحياة الثقافية التي اهتم بها الى دينية وادبية فضلاً عن اهتمامه بالعلوم العقلية .

١. الحياة الدينية :

شملت اهتماماته بهذا الجانب دراسة القرآن والحديث النبوي والفقه .

فقد ذكر عنه انه ((كان معظماً "للسنن محباً" لمجالسة العلماء)) (١) . والى جانب ملازمته لعلماء الحديث فقد ((اكثر .. من سماع الحديث .. . وكان فخر الدين (٢) واخوته من اكابر دولته حازوا على فضيلة السيف والقلم بها شرا حدهم التدريس ويتقدم على الجيش)) (٣) .

وكان من نتائج اهتمامه بالحديث وسماعه ، ان توفرت لديه امكانية روايته فقد ذكر الصفدي ان بعض الفقهاء اجازوا له رواية الحديث وخرجوا له اربعين حديثاً "(٤)

وقد نال الملك الكامل مكانة كبيرة عند الفقهاء ، فقد امتدحه الفقيه ابراهيم بن خضر برهان الدين المعروف بابن الفقيه بقصيدة مطلعها :

الملك والادلعي كيف امتنع	وفيك والا فالثناء ضيع
ومنك استفدنا كل مجد وسؤدد	وعنك احاديث المكارم تسمع(٥)

ولم يقتصر اهتمام الملك على رواية الحديث ، وانما جازوها الى مناقشة العلماء في البدع التي تظهر في البلاد فيبطل بعضها (٦) والدليل الآخر على اهتمامه بالعقيدة سفره الى دمشق لحل الخلاف الذي حصل بين الشافعية والحنابلة (٧) .

---

(١) الذهبي : دول الاسلام ١٢٩/٢ .
(٢) فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ابو المظفر يوسف ولد سنة ٥٨٠ هـ تمتاز برجاحة العقل وحسن الرأي لذلك اصبح من اعيان الدولة الايوبية ، وبرز دوره بشكل كبير في مفاوضات الصلح التي جرت بين الملك الكامل والامبراطور فردريك ، واستشهد بالمنصورة سنة ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م .
للمزيد ينظر : ابن الفوطي ـ كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين بطلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ، تحقيق : مصطفى جواد ((دمشق : ١٩٦٥)) ج ٤/ق ٣/ ٤٥٣ ، ابن العماد ، عبد الحي الحنبلي ، تحقيق : لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، (بيروت : د / ت) ٢٢٩/٥ .
(٣) ابن الوردي : تاريخه ٢٣٨/٢ .
(٤) الصفدي : الوافي ١٩٣/١ ، ينظر الغساني ـ عماد الدين ابو العباس اسماعيل المعروف بالملك الاشرف : العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، تصحيح : علي الخاقاني (بغداد : ١٩٧٥) ٤٨٢/٢ .
(٥) السبكي : طبقات الشافعية ١٣٤/٨ .
(٦) ينظر السبكي : طبقات الشافعية ٢٥٥/٨ .
(٧) ينظر السبكي : طبقات الشافعية ٢٢٨/٨ وما بعدها .

٢٠ الحياة الادبيـــة :ـ

حظي الادب باهتمام الملك الكامل مثلما حظي عنده الجانب الديني وقداولى هذاالجانب اهميه كبيره لشغفه بالعلم والعلماء كان يعقد مجالس للمناظره يجمع بها النحاه وغيرهم ويمتحنهم ((فمن اجاب منهم بجواب صحيح حظي عنده وقربه))(١) مما لاشك فيـــه ان اهتمام الملك الكامل بالنحو يرجع لكونه ماده اساسيه من مواد الثقافه فضلا" عن اشتـراك المثقفين فيه اذ يعدونه وسيله لدراسه العلوم الشرعيه (٢)٠

ومن المسائل الطريفه التي حصلت للملك الكامل في النحو ماحدث في دمشق «حيــن ((استحضر جماعه من العلماء وكان فيهم الشيخ زين الدين (٣) ابن معطي النحوي فسألهم ٠٠٠ عن قولهم (زيد ذهب به)) هل يجوز في زيد النصب فقالوا :لا يجوز الا الرفـع فقال زين الدين ٠٠٠ يجوز النصب ٠٠٠ فاستحسن الملك الكامل جوابه وامره بالسفر الى مصـر وقرر له معلوما" جيدا")) (٤)٠

ولكثره اهتمامه بالعلوم العربيه ، فقد ((صنّف له ابوالحرم مكي فيد الملك ابن حمدان المعلي العروض وغيرها ٠٠٠)) (٥)واما اهتمامه بالشعر فواضح من خلال نظمه الخـــاص

شعـــره :ـ

لم يكن الملك الكامل يتذوق الشعر ويشجعه فحسب ، بل قام بنظمه فهو كثيرالاستشهـا د والتمثل به وتورالمصادر ابياتا" متفرقه من شعره منها قوله :ـ

---

(١) ابن واصل :مفرج الكروب ٥/١٥٨ ٠

(٢) احمد احمد بدوى :الحياه العقليه في عصرالحروب الصليبيه بمصروالشام (القاهره : د /ت) ١٩٨ ٠

(٣) سيرد ذكره في الفصل الرابع ضمن الحياه الثقافيه في عهد الملك الكامل ٠

(٤) للمزيد ينظرابن واصل :مفرج الكروب ٥/١٥٨ ومابعدها ؛الصفدى :الوافي ١/١٩٤٠

(٥) الغساني :العسجد المسبوك ٢/٤٥٥ ٠

صلوا مغرما " في حبكم واصل الضنا

ومن يحدكم طيب الرقاد فقد فقد (١)

ومنها :

لااوحشت من مغاني القوم اوطان

ولا خلا منهم اهل ولا بال

واين ما نزلوا في الحالتين معا

فانهم في سويدا القلب سكان (٢)

وذكر الروايات ان لشغفه بالشعر ، كان يعقد مجالس في القاهره وفي احد المجالس التي كان يعقدها مع اهل العلم والاداب ، جاء الكلام في القوافي وطرح السؤال في اصعبها ، فقال لهم الملك الكامل : من اصعبها الياء الساكنه و وطلب ان يذكر كل واحد منهم ما يحفظه من هذه القافيه ، فلم يتجاوز احد هم عشره ابيات ، اما الملك الكامل فقد ذكر قصيده من خمسين بيتا " ، واشار القاضي شرف الدين كاتب السر الى انه يحفظ مائه وخمسين بيتا " قصيده واحده فانشا قصيده ابن الفارض (٣) اليائيه التي مطلعها :

سائق الاظعان يطوى البيد طيا " منعما " عرج على كثبان طي

ولما علم الملك بهذا الشاعر ، تعجب وقال :((يكون في زماني ولا ازوره لابد لي من زيارته ورؤيته)) (٤) .

وقد حفظ ابياتا " كثيره من الشعر وكان ينشد الشعر الذي يعجبه كثيرا " من ذلك تكراره انشاد هذين البيتين :

ماكنت من قبل ملك قلبي	تصدى عن مدنف حزين
وانما قد طمعت لما	حللت في موضع حصين (٥)

ولشهرته الواسعه امتدحه عدد من الشعراء ومنهم ابن سناء الملك (٦) الذي قال فيه :

---

(١) الحنبلي : شفاء القلوب ٣٠١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٦٨/٥ .

(٣) سوف يرد ذكر ابن الفارض في الفصل الرابع ضمن الحياه الثقافيه .

(٤) ابن الفارض : ديوانه ، جمعه : رشيد بن غالب شروح الشيخ حسن البوريني والشيخ عبد الغني النابلسي (مصر : ١٣٠٦ هـ) ٩/١ — ١٠

(٥) ابن تغري بردى : النجوم الزاهره ٢٣٢/٦ .

(٦) ابن سناء الملك : القاضي ابو القاسم هبه الله ابن القاضي الرشيد ، اهتم بالادب والنحو فبرع في الترجل والنظم ، تولى وظيفه ديوان الانشاء وله عده مؤلفات منها اختصاره كتاب الحيوان للجاحظ وسماه (المختصر روح الحيوان) فضلا عن ديوان شعر كبير، وقد صرعددا " من الشعراء المجيد بعض منهم ابن عنين ، وقد حصل بينهما محاورات في فنون الشعر للمزيد ينظر : ابن العماد : شذرات الذهب ٣٥/٥ .

هو الملك قيل الذي خضعت له
على الرغم املاك عظام واقيال
واسماؤهم بين البرايا صحائحم
واسماؤه بين البريه افعـــال (١)

ويعكس لنا هذا المقطع صوره الملك الكامل الذي احاط نفسه بطبقه من المثقفين الذين يقربهم ويغدق عليه ، وهذا يدل على وجود حركه علميه نشيطه تقوم على اساس تبادل العلمــاء بين مصر وبلاد الشام ومما ساعد على هذا النشاط الواسع انتشار دور العلم في مصر وبلاد الشام مما سنوضحه تباعاً " ٠

رابعاً " : نشاط الملك الكامل السياسي والعسكري قبل توليه السلطه :ـ

لعل من اهم الانشطه السياسيه والعسكريه التي قام هي :

١ ٠ دوره في حصار ماردين في سنه ٥٩٤ ـ ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ ـ ١١٩٩ م :ـ

ترك الملك العادل ولده الكامل على حصار ماردين سنه ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م (٢) واتجــه الى دمشق (٣) ٠

وطال الحصار المفروض على ماردين مده احدى عشر شهراً " (٤) والملك الكامل وعسكره يزدادون ضراوه في الحصار الى ان انتشر الجوع والجوع في القلعه فعرض مدبر اماره ماردين علــى الملك الكامل تسليم القلعه شريطة ادخال المؤن فوافق على ادخال ما يسد حاجه اهــل ماردين اليوميه ٠ ورفعت اعلام الايوبيين على القلعه وكلف الملك الكامل احد امرائه مسؤوليه حراسه الابواب الا ان الامير المسؤول عن هذه المهمه قبل رشوه من اهل ماردين وسمـــح

---

(١) ابن سناء الملك ـ عز الدين ابو القاسم هبه الله ابن القاضي الرشيد : ديوانه تحقيق : محمد عبد الحق ، (بيروت : ١٩٧٥) ٢ / ٦٢٨ ٠

(٢) ابن الاثير : الباهر ١٩٤ ، ابن الساعي ـ ابو طالب علي بن انجب تاج الدين : الجامــع المختصر في عيون التواريخ وعيون السيــر ، تحقيق : مصطفى جواد (بغداد : ١٩٣٤) ٩ / ٣ ٠

(٣) من الظروف التي اجبرت الملك العادل على ترك ماردين : وفاة الملك العزيز سنه ٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م وتولي الملك الافضل الحكم ، وقد كان على علاقه سيئه مع عمه الملك العادل ، فاتفق مع اخيه الظاهر ونور الدين صاحب الموصل وبقيه امراء الاطراف على انتزاع دمشــق منه مستغلين انشغاله بحصار ماردين ٠ للمزيد ينظر : ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٤٨ ، في حين ذكر سليمان الصائغ ان الملك المنصور محمد بن العزيز هو الذي اتفق مع صاحب الموصل ليشغل الملك العادل في ماردين كي تصبح لديه الفرصة لاستيلاء على دمشق ٠ ينظر : الصائغ ـ سليمان الموصلي : تاريخ الموصل (مصر : ١٩٢٣) ٢ / ١٩٦ ٠

(٤) ابن الاثير : الباهر ١٩٤ ٠

(٥) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ابن خلدون : تاريخه ٥ / ٢٢٦

بسنجار خال ما يد من حا جته اليوميه (١) ، وفي الوقت نفسه جاء اهل القلعه خبـــر وصول امير الموصل نور الدين وحلفاءه (٢) وقويت نفوسهم وقرروا الاستمرار بالمقاومه (٣) فتقدم نور الدين بقواته سنه ٥٩٥هـ / ١١٩٩ م وحشد قواته بادني جبلها استعدادا للهجوم على قوات الملك الكامل المتمركزه على الربض (٤) ٠

وعندما علم الملك الكامل بقدوم نور الدين نزل من الربض واشتبك مع قوات نور الدين ولكنه اخطأ بنزوله ، ولو بقي لما تمكن نور الدين" (٥) كما ان قطب الدين صاحب سنجار لم يتمكن من تنفيذ اتفاقه ومعاهدته مع حلفاءه اذ التقوا مع الملك الكامل فقد اجبرته الظروف على الوقوف في سفح الجبل بعيدا " عن القتال الذي انتهى بهزيمه الملك الكامل ورجوعه الى الربـــض حيث جوبه بهجوم مضاد من اهل القلعه وقتل عددا " من قواته واسر الباقي وامام هذه الهزيمه ترك الملك الكامل قواته هاربين ليلا" واتجه في سنه ٥٩٥هـ / ١١٩٩م الى ميافارقين [6] ومنها الى حران [7] (٨) ٠

ب- موقفه من الصراع بين ابيه الملك العادل والملك الافضل ابن صلاح الدين :ـ

كان الملك العادل الذي توجه سنه ٥٩٥ هـ ـ ١١٩٩ م لمواجهه الافضل قد ضاقت بـــه الامور واوشك على تسليم دمشق (٩) عندئذ ارسل الى ابنه الملك الكامل في الشرق يطلـــب منه الحضور بالعساكر والاموال (١٠) وقد خاف الملك الافضل من قدوم الملك الكامل الى دمشق واراد ان يوقفه بايه وسيله فاتفق مع الملك الظاهر على الاتصال بالملك المجاهد صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماه وطلب منهما صد الملك الكامل ومنعه من الوصول الى دمشـــق بعد ان وعدهما بارسال جماعه من عسكر مصر (١١) وفي الوقت نفسه ابدى الملك الظاهـــر

---

(١) ابن الاثير الكامل ١٢/ ١٤٨ ٠
(٢) حلفاء امير الموصل (ابن عمه قطب الدين محمود زنكي ابن مودود امير سنجار وابن عمه الاخر معز الدين سنجرشاه بن غازي ابن مودود امير جزيره ابن عمر ... تحالفوا مع الملـــك الافضل ضد الملك العادل) ينظر: ابن الاثير: الكامل ١٢ / ١٤٩ ٠
(٣) ابن الاثير الكامل ١٢ / ١٤٩ ٠
(٤) ابن واصل :مفرج الكروب ٣ / ١٠٢ ٠
(٥) ابن الاثير: الكامل ١٢ / ١٤٩ ، ابن الفرات :تاريخه م٤ / ج ٢ / ١٦٤ ٠
(٦) ميافارقين :اشهر مدينه في ديار بكر ، ياقوت الحموي :معجم البلدان ٥ / ٢٢٦ ٠
(٧) حران :مدينه مشهوره على طريق الموصل والشام ، ياقوت الحموي :معجم البلدان ٢ / ٢٣٥ ٠
(٨) ابن الاثير: الكامل ١٢ / ١٤٩ ، ابن الاثير :الباهر ١٩٥ ، ابن خلدون :تاريخه ٥ / ٣٣٦ ، ابن الفرات :تاريخه م٤ / ج ٢ / ١٦٥ ٠
(٩) ينظر ص ١٠
(١٠) الحموي :التاريخ المنصوري ٢٢٠ ٠

استعداده لمواجهه الملك الكامل الان الملك الافضل رفض هذه الفكره خشيه ان يبقى وحده في موقف يتطلب الصمود ليواجهه الخطر(١) وفي الوقت نفسه الذي كان الافضل فيه مشغولا "بكيفيه صد الملك الكامل الذي كان مسرعا" في تقدمه لنصره ابيه فوصل دمشق سنه ٥٩٦هـ/١٢٠٠م ونزل بجوسق ابيه وكان لوصوله اثر كبير في افشال الحصار وهزيمه الملك الافضل (٢) •

خامسا "المشاكل السياسيه التي واجهت حكم الملك الكامل :

استقل الملك الكامل بالسلطه سنه ٦١٥ هـ/١٢١٨م وسط ظروف سياسيه معقـــده نتجت عن وفاه الملك العادل (٣) واقتران ذلك بحصار الافرنج لدمياط من اجل الاستيلاء على مصر فضلا" عن الخطر الذي كان يهدد كيان الدوله الايوبيه من الداخل فقد احس بمحاولة خلعه وتعيين مكانه اخيه الملك الفائز ، ومن ابرز المشاكل السياسيه التي واجهت حكمه مؤامره ابن المشطوب •

أ• مؤامره ابن المشطوب(٥) لخلع الملك الكامل :

قبل ان نستعرض مؤامره ابن المشطوب لابد من القول ان ابن المشطوب لم يكن اول من قام بهذه المحاوله فمن خلال الاحداث التي تلت وفاه السلطان صلاح الدين ظهر دور الامراء بشكل واضح في الصراع الذي كان دائرا" بين الملوك الايوبيين فتاره يميلون الى العزيز وتاره الى الافضل والاخرى الى العادل ولم يكن هذا الدور يهدد بالدولــــه الايوبيه بقدر ما يحقق الامراء مصالحهم (٦) •

واتفق ابن المشطوب مع لفيف من الجند والامراء الاكراد ومنهم ، عزالدين الحميدي واسد الدين الهكاري ومجاهد الدين على خلع الملك الكامل وتعيين اخيه الملك الفائز ابراهيم الذي وافقهم على ذلك (٧) •

وساق عمران نقلا" عن تاريخ حرف المعاصر للفتره نفسها سببا "آخرا" لهذه المؤامره وقال :

((ان الملك الكامل استدعى اثنين من الامراء الاكراد منهما عماد الدين بن المشطوب وطلب منهما الدخول الى دمياط بعساكرهما ••• لحمايتها وذلك لثقته بهما اكثر من غيرهما فاجابه الاميران بانهما قوادا لخدمته وانهما لا يطاعان في دخول المدينه ورجواه ان يدخل معهما احد اولاده حتى يحتم بالمدينه ولا يهملها كما فعل صلاح الدين الايوبي عندما ترك سيف الدين ابن المشطوب والد عماد الدين ومعهم حاكم عكا اثناء حصارها وتركهـا

---

(١) ابن واصل :مفرج الكروب ١٠٥/٢ •

(٢) سبط بن الجوزي :مرآة الزمان ٤٦٩/٨ ،ابن ايبك : كنز الدرر ١٤٠/٧

(٣) الحموي :التاريخ المنصوري ٢٧٨ ، ابن خلكان :وفيات الاعيان ٧٨/٥ ،الذهبي :دول الاسلام ١٨/٢ •

(٤) سياتي على ذكر ذلك في الفصل الثالث ضمن العلاقات العسكريه بين الملك الكامـــل والافرنج ص •

(٥) ابن المشطوب :ـ هو الامير احمد بن علي الهكاري احد امراء الدولة الايوبيه كانت لـه مواقف عسكريه معروفه في التاريخ الايوبي للمزيد ينظر ابن خلكان :وفيات الاعيـــان ١٨١/١ ، اليافعي مرآة الجنان : ٤٣/٤ •

(٦) للمزيد ينظر ابن الاثير :الكامل ١١٨/١٢ ـــ ١٥٦ •

(٧) سبط بن الجوزي مرآة الزمان ٦٠٢/٨ ، ابو شامه :ذيل الروضتين ١١٦ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ١٧/٤ ، ابن الفوطي :تلخيص مجمع الاداب (دمشق : ١٩٦٢)ج٤/ق٢/٦٧٢ •

تسقط آثام عليه ويضيف الباحث نفسه ان الكامل غضب عندما سمع كلام الاميرين واعتقد ابن المشطوب ان الكامل سيلقي القبض عليهما فسلحا رجالهما وقالا انه خيرلهما ان يموتا وهم يدافعان عن انفسهما من ان يقبض عليهما ٠٠(١) وهناك من المورخين من يذهب مذهبا مخالفا " فالحريري يصف هذه المؤامره بالثوره ويقول :((قامت ثوره كان زعيمها ابن المشطوب احد اكبار الرجال على ان لا يقبلوا الكامل عليهم))(٢) ولعل الاسباب التي دفعت بابن المشطوب الى تدبير هذه المؤامره ومحاوله ابعاد الملك الكامل عن الحكم وتعيين اخيه الملك الفائز ، تعود الى اطماعه فقد نشد من ذلك كله السيطره على البلاد والتحكم بها ،مما يوكد ذلك ، ما قاله عن الملك الفائز ((هذا صبي ضعيف ولا يأتينا منه خير)) (٣) ، ويهذا اراد ان يكون وصيا " على حكم الفائز ، فرسه فضلا " عن كونه لم يكن ذا ولاء واضح لملك من ملوك بني ايوب وانما كان يعطي ولاءه للذي يحقق مصالحه واطماعه الفرديه وهذا مافعله مع الملك المعظم والملك الاشرف (٤) ٠ و

وقد وصلت اخبار هذه المؤامره الى الملك الكامل وهو مرابط بالعادليه للافرنج فتركها واتجه الى الجامع فاذا هم مجتمعون وبين ايديهم المصحف الكريم يحلفون لأخيه الفائز ، فعندما شاهدوه تفرقوا فخاف الملك الكامل على نفسه لانه لا يقدر على مواجهتهم بسبب مكانته متأمرين(٦) وانشغاله بالتصدي للافرنج على حدود دمياط ، فاقر مداراتهم (٧)٠

وانفرد ابن كثير برواية مفادها ان الملك الكامل عندما سمع بهذه المؤامره اتجه الى مصر ليتحقق منها فعندما دخل ((لم يقع منها شيئا " وانما كان ذلك خديعه من الافرنج وهرب ابن المشطوب الى الشام)) (٨)٠

---

(١) عمران ـ محمود سعيد :الحمله الصليبيه الخامسه حمله جان دي برين على مصر تقديم :جوزيف نسيم يوسف (الاسكندريه :١٩٧٨) ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ٠
علق عمران على هذه الروايه بقوله :ـ
((يبدو ان ماورد في المصادر العربيه عن سبب هذه الحوادث هو الذي خلع الملك الكامل هو الصحيح ٠٠٠ كما ان تاريخ هرقل يفقد نفسه بنفسه فان ماذكره عن اعمال صلاح الدين في الدفاع عن عكه غير صحيح ٠ ذلك ان صلاح الدين لم يتوان لحظه واحده في اتخاذ التدابير اللازمه للدفاع عن المدينه ٠٠٠)) للمزيد ينظر عمران :الحمله الصليبيه الخامسه ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠
(٢) الحريري ـ سيد علي :الاخبار السنيه في الحروب الصليبيه (مصر :١٣٢٩) ٢٢٤
(٣) ابن ايبك : كنز الدرر ١٩٩/٧ ٠
(٤) ينظر :ابن العديم ـ كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد :زبده الحلب في تاريخ حلب تحقيق :سامي الدهان (بيروت :١٩٦٨) ١٨٨/٣ وابن ايبك :كنز الدرر ١٩٩/٧ ٠
(٥) ابن واصل مفرج الكروب ، تحقيق :احسين محمد ربيع ، مراجعه سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهره :١٩٧٢) ١٧/٤ ، ابن الفرات :تاريخه م٥/ج١ ٢٤٨/١ ، ابن خلدون :تاريخه ٢٤٥/٥ ، المقريزي :السلوك ج١/ق١ ١٩٦/١ ٠
(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٧٩/٥ ٠
(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٧٩/٥ ، ابن تغري بردي :النجوم الزاهره ٢٣٠/٦ ٠
(٨) ابن كثير :البدايه والنهايه ٨٠/١٣ ٠

ونحن نلحظ ان ابن كثير من خلال ماذكره بعد ذلك يفند روايته بنفسه فعوية كراولا " ماسمعه عن مؤامره ابن المشطوب خديعه ففي الوقت نفسه يورد خبرهروب ابن المشطوب الى الشام فلولم يكن ابن المشطوب قد قام بهذه المؤامره فلماذا يهرب الى الشام ؟ فضلا" عن كون ابن كثير يؤكد هذه المحاوله في نصوص اخرى (١) .

وثانيا " ان اغلب المصادر التي اشرنا اليها سابقا " اكدت هذه المحاوله لاسيما ماذكره ابن الاثير في رسالته عن هذه المؤامره بقوله ((ويكفي من محنه هذا الرجل انه سعى في خروج ثغر دمياط الى ايدي الكفار وقصد بذلك اضرار البيت العادلي قد خل الاسلام باجمعه ضمن ذلك الاضرار ...)) (٢).

وفي هذه الظروف التي عاشها الملك الكامل وصل الوزير السابق صفي الدين[٣] ابن شاكر من آمد الى مصر بعد ان استدعاه الملك الكامل وطلعه واكرمه واطلعه على محاوله ابن المشطوب(٤) . وعلى الرغم من تشجيع صفي الدين له والاشاره عليه باستدعاء اخوته الا انه اتجه الى اشمون طناح[٥] وفكر بالهروب الى اليمن التي كان يحكمها ابنه الملك المسعود (٦) .

وفي اثناء ذلك وصل اخوه الملك المعظم فاطا دالتقاه اليه بنفسه وحلف له :((انه لاينزل عن فرسه حتى ينفي ابن المشطوب عن الديار المصريه))(٧).

---

(١) ينظرابن كثير :البدايه والنهايه ٩٢/١٣

(٢) ابن الاثير :ابوالفتح ضياء الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري :رسائل ابن الاثير ،تحقيق : انيس المقدسي (بيروت : ١٩٥٩م) ٦٦

(٣) صفي الدين :عبدالله بن شكر الدميري تسلّم منصب الوزاره في عهد الملك العادل ، فاستغل منصبه بمصادره اموال الاكابرالدوله واستمرعلى ذلك الى ان غضب عليه الملك العادل واخرجه من مصرالى آمد وبقي هناك الى ان استدعاه الملك الكامل سنه ٦١٥هـ /١٢١٨م . ينظر المقريزي :السلوك ج١/ق١ ١٩٢-١٩٣.

(٤) ابوشامه :ذيل الروضتين ١١٤ ،المقريزي :السلوك ج١/ق١ /١٩٦.

(٥) اشمون طناح :مدينه صغيره في مصر . الاصطخري -ابواسحاق بن محمد بن ابراهيم الكرخي ، تحقيق محمد :محمد جابر عبدالعال الحسيني ، مراجعه محمد شفيق غربال (القاهره : ١٩٦١) ٤١-٤٢.

(٦) سبط بن الجوزي :مرآة الزمان ٦٠٢/٨ ، ابن واصل :مفرج الكروب ٧/٤ ،ابن ايبك كنزالدرر ١٩٩/٧ ، ابن الوردي :تاريخه ١٩٥/٢ .

(٧) ابن العديم :زبده الحلب ١٨٧/٣ ،ابن ايبك : كنز الدرر ١٩٩/٧ ، المقريزي : السلوك ج١ /ق١ /١٩٧ ، ابن تغري بردي :النجوم الزاهره ٢٣٠/٦ .

ب- القضاء على مؤامره ابن المشطوب والاستقرار السياسي في مصرفي عهد الملك الكامل :-
بعدان قرالملك المعظم نفي ابن المشطوب من مصراتجه الى خيمه ابن المشطوب وطلب منه الخروج معه من المعسكر (١) فاستجاب ابن المشطوب لطلبه اعتقادا " منه بان الملك المعظّم استدعاه للاتفاق معه على خلع الملك الكامل لاسيما بعدان قال له (اريدا ن نخرج ونمضي ونتحالف على امريكون فيه صلاح المسلمين) (٢)٠
وقد خابت امال ابن المشطوب بعدان تبين له ان خروجه مع الملك المعظّم لم يكن الا ابعاده عن مصـــر (٣) ٠
وتم ابعاده فعلا" عن مصر فوصل بلاد الشام واقام بحماه عند الملك المنصور (٤) وهو متعطشا" حقدا" وكراهيه معاضدا" نفسه على الانتقام من الملوك الايوبيين الموالين للملك الكامـــل ومحاولا " ابعاد " نفوذه ومكانته التي فقدها في مصر٠
فاتصل بالملك الافضل والملك المنصور وسلطان سلاجقه الروم ، بعدان جمع عددا " مـــن المتمردين طالبا " منهم مساعدته على قتال الملك الاشرف وانتزاع البلاد منه ، فاستجابوا لـــه فاتجه الى حلب ونصيبـــا (٥)٠
ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه فقد استطاع عسكرالملك الاشرف من القبض عليه وارساله الـــى الملك الاشرف الذي عفا عنه واعطاه راس العين (٦) ولم يكف ابن المشطوب من مشاغباتـــه وحركاته التمرديه ، فقد استغل خروج الملك الاشرف لمساعدته امير الموصل بدرالدين لؤلؤ

---

(١) الحموى :التاريخ المنصورى ٢٧٨؛ سبط ابن الجوزى :مرآة الزمان ٨/ ٦٠٢؛ ابـــن العديم :زبده الحلب ٣/ ١٨٧
(٢) ابن ايبك :كنزالدرر:٧/ ١٩٩٠
(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان ٥/ ٨٠ ؛ المقريزى :السلوك ج ١/ق ١/ ٩٧ ؛ ابن الفرات : تاريخه م٥/ ج ١/ ٢٥٠٠
(٤) الحموى :التاريخ المنصورى ٢٧٨٠
(٥) الحموى :التاريخ المنصورى ٢٧٨؛ ابن العديم زبده الحلب ٣ / ١٨٨؛ ابن واصل : مفرج ٤/ ٩٩ Gettschalk,Hans. L Al-Malika Al Kamil von Egypten und seine zeit. Dttebarrassewitz -Wiezbden, 1958 p.88.
(٦) ابن واصل :مفرج الكروب ٤/ ٢٠ ؛ ابن الوردي :تاريخه ٢/ ١٩٩٠

على امير اربل مظفرالدين كوكبري ، فتمكن مظفرالدين من استقطاب بعض الامراء العاقين للملك الاشرف ومن بينهم ابن المشطوب لما فيه من غدر وخيانه واتبعه عدد من الاكراد والمفسدين ، فضلا" عن الملك الصالح نورالدين محمود بن محمد الارتقي. فشلت محاوله مظفرالدين بتراجع الملك الصالح عنه وميله الى الملك الاشرف الذى اعطاه حاني(١) وجبل الجور(٢) فاضطرباقي الامراء الى الرجوع الى طاعه الملك الاشرف (٣) .
واستمر ابن المشطوب بتمرده فاراد التوجه الى اربل للتحالف مع اميرهافتصدى له ابن صره اميرنصيبين بعساكرالملك الاشرف وحدث اشتباك بين الطرفين انهزم على اثرهاابن المشطوب الى سنجار وفيها تمكن من جمع عدد من المتمردين وقام بنهب وتخريب عده قرى بالشرق واتجه الى تل اعفر قاصدا" الموصل ، وعندما سمع اميرها ارسل اليه العساكر الا انها لم تتمكن منه فقد هرب الى تل اعفر فسارالبه بدرالدين يوم ٢١ ربيع الاول سنه ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م وقاتله واخذه الى الموصل ثم ارسله الى الملك الاشرف الذى أمر بحبسه (٤) وبقي عند الاشرف الى ان مات سنه ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (٥) .
وهكذا انتهت حياه ابن المشطوب التي قضاها في تدبيرالمؤامرات وتأجيج الحركات التمرديه التي لم تحقق له اطماعه الشخصيه بل افقدته المكانه المرموقه التي كان يتمتع بها لكونه من اكابر الامراء الذى تعتمد عليهم الدوله الايوبيه (٦) أما الملك الفائز فقد تم التخلص منه بارساله الى الشرق ليطلب منه الاشرف القدوم الى مصر بعساكره لصد تحركات الافرنج فمرض بين الموصل وسنجار وقيل انه سم فمات ودفن في سنجار سنه ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (٧) .
وقد فشلت المؤامره بالقضاء على ابن المشطوب والملك الفائز وتفرق الامراء ودخلوا طاعه الملك الكامل الذى استتب له الامر في مصر وتفرغ لمواجهه الافرنج وتخليص دمياط من ايديهم(٨) .

---

(١) حاني : مدينه في ديار بكر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢ / ٢٠٨ .
(٢) جبل الجور: كوره كبيره من نواحي ارمينيا تتصل بديار بكر ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢ / ١٠٢ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٧٠ ـ ٧١ ، ابن الوردى : تاريخه ٢ / ١٩٩ .
(٤) ابن العديم : زبده الحلب ٣ / ١٨٩ ، ابوشامه : ذيل الروضتين ١٢٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٧٢ .
(٥) اليافعي : مرآة الجنان ٤ / ٤٢ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١ / ١٨١ .
(٧) ابوشامه : ذيل الروضتين ١٢٣ ، ابن الفرات : تاريخه م٥ / ج١ / ٢٥١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ٦ / ٢٢٥ .
(٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥ / ٨٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٨٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ٦ / ٢٣٠ .

الفصـــل الثانــــي

علاقــة الملك الكامــل مع القوى السياسيه الايوبيه والاسلاميــه في الوطــن العــربــي والعــالــم الاســـــلامــي

الفصل الثانــــي

****

علاقه الملك الكامل مع القوى السياسيه الايوبيه والاسلاميه في الوطن العربي والعالم الاسلامي :-

اولا " العلاقه العسكريــــه

أ- علاقه الملك الكامل مع حكام الشام والجزيره من سنه ٦١٩ هـ-٦٢٤هـ/١٢٢٢م-١٢٢٦م :

١- تصدي الملكين الكامل والاشرف لمحاولات الملك المعظم في انتزاع حماه :

بدأ النزاع بين الملوك الايوبيين بشكل واضح سنه ٦١٩هـ/١٢٢٢م عندمـــا اتجه الملك المعظم الى حماه (١) لانتزاعها من الملك الناصر قلج ارســـلان الذي تولى ادارتها بعد وفاه الملك المنصور سنه ٦١٧هـ/١٢٢٠م بمساعده الملك المعظم ، بعد ان وعده الملك الناصر باعطائه مبلغا " من المال ، الا انه لم يف بوعده (٢) .

وشاءت الظروف هروب الامير مجاهد الدين اقبال احد امراء الملك الكامل من مصر فارسل الملك الكامل الى المعظم يطلب منه القبض عليه (٣) فجعل الملك المعظم هذا الطلب مبررا " لخروجه الى حماه التي وجد فيها محمدته قد استعدت للقتال ، فارسل الى الملك الناصر يقول له : (اني لم اقصد قتالا " وانما اتيت لطلب مجاهد الدين اقبال ، حيث سلكت طريق المحاربه والقتال فنحن نسلكــــه ايضا " معـــك) (٤) .

وقد حدث قتال بين الطرفين ولم يتمكن الملك المعظم من انتزاع حماه ، لان الملك الناصر كان قد احكم تحصيناتها ، فدار الملك المعظم فشله بالاغاره على سلميه والمعره ونهب محاصيلها واقام فيها رغبه منه في انتزاع حماه (٥) .

---

(١) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٩٢ ; ابن العديم : زبده الحلب ١٩٢/٢ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١١٧/٤ ; ابن الوردي : تاريخه ٢٠٧/٢ ; الصابونـــي احمد : تاريخ حماه ، تعليق : قدري الكيلاني ط٢ (حماه : د/ت) ٦٣ .

(٣) ابن العديم : زبده الحلب ١٩٢/٢ ; ابن واصل : مفرج الكروب ١١٧/٣ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ١١٨/٤ ; ينظر : حماده - محمد ظاهر : الوثائق السياسيه والاداريه للعهود الفاطميه والاتابكيه والايوبيه (بيروت : ١٩٧٧) ٤٠٩ .

(٥) ابن العديم : زبده الحلب ١٩٢/٣ ; الحنبلي : شفاء القلوب ٢٩٧ ; قسطالي - نعمان القدري : الروض الغناء في دمشق الفيحاء (بيروت : ١٨٧٩م) ٥٨ .

وصلت الاخبار الى الملك الاشرف سنه ٦٢٠ هـ/١٢٢٣ م وهو بمصر بمحاصرة الملك المعظم
في حماه • فبين للملك الكامل خطوره هذا التصرف ذلك ان محاوله الملك المعظم لضمه
حماه بجعله يطمع بالبلاد كلها (١) وارسل كل منهما رساله يطلبان فيها منه ترك حماه (٢
فاستجاب الملك المعظم لطلبهما وغادرها مكرها " سنه ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ورجعت سلميه
والمعره للملك الناصر (٣) •
ومما لا شك فيه ان اطماع الملك المعظم كانت الحافز الذي حرك الملوك الايوبيين فكـــان
كالفتيل الذي اذكى نار الحروب والمنازعات الاهليه والتفاف الملوك حول الجهه التي تخدم
مصالحهم واطماعهم الشخصيه •
واراد الملك الكامل سنه ٦٢١ هـ/١٢٢٤ م انتزاع حماه من الناصر وتسليمها لاخيه الملك
المظفر (٤) فهو اكبر اولاد المنصور وصاحب الحق الشرعي في الولايه فضلاً عن وقوفه بجانب
الملك الكامل في حربه الافرنج سنه ٦١٥ هـ/٦١٨هـ /١٢١٨م-١٢٢١م (٥) •
فرفض الملك الاشرف العرض الذي قدمه الملك الكامل بسبب علاقته الوديه مع الملك الناصـــر
قلج ارسلان وبعد المباحثات التي جرت بين الكامل والاشرف قررا ان تبقى حماه والمعرى بيــد
الملك الناصر ويتسلم الملك المظفر سلميه (٦) ومما سبق ذكره يتضح لنا ان الملك الاشـــرف
يمتلك شخصيه قويه بدليل تمكنه من التأثير على اخيه الملك الكامل بابقاء حماه بيد الملـــك
الناصـــر •
وترك الملك الاشرف مصر عائدا " الى بلاده في الشرق فمر بالشام وطلب منه اخوه الملـــك
المعظم الاقامه عنده فاقام ليله ثم غادرها ليلا " دون علم الملك المعظم (٧) •

---

(١) ابن واصل :مفرج الكروب ١٢٧/٤ وابوالفدا :المختصر١٢٢/٣ ؛ المقريزي :السلوك
ج١/ق١/١٤ •
(٢) الحموي :التاريخ المنصوري ٢٩٢ ؛ للمزيد ينظر :ابن العديم :زبده الحلب١٩٢/٣
وما بعدها ؛ ابن واصل :مفرج الكروب ١٢٧/٤ وما بعدها •
(٣) ابوالفداء :المختصر ١٢٢/٣ ، الحنبلي :شفاء القلوب ٢٩٧ ؛ قسطالي :الروض الغناء
٥٨ •
(٤) ابن واصل مفرج الكروب ١٤٢/٤ ؛ ابوالفدا :المختصر١٢٢/٣ •
(٥) ابن واصل :مفرج الكروب ١٢٩/٤ ؛ ابوالفدا :المختصر١٢٢/٣ ؛ ينظر: موسى —
عمر : ادب الدول المتتابعه عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ط١ (بيروت :١٩٦٧)
٣٢٨ •
(٦) سبط بن الجوزي :مرآة الزمان ٨/ ٦٢٥ ؛ ابن كثير :البدايه والنهايه ٩٩/١٣ ؛
ابن ابي عذيبه شهاب الدين :مختصر التاريخ الكبير، مخطوطه في مكتبه اوقاف الموصل
برقم ١٠/١٥ خزانه حسين بك ورقه ٣٦
(٧) ابـــن الاثير :الكامل ٤٦٣/١٢ ، ذكرت بعض المصادر ان الملك الاشرف رفض النزول
بالقلعه عندما طلب منه الملك المعظم ذلك ونزل بجوسق ابيه العادل ؛ ينظر :ابوشامه
ذيل الروضتين ١٣٢ ؛ ابن ايبك :كنز الدرر ٢٢٦/٧ ؛ ابن تغري بردي :النجوم الزاهره ٦/ ٥٥

ويبدو ان لرفض الملك الاشرف الاقامه عند الملك المعظم وتركه دمشق دون علمه دلاله واضحه على سوء العلاقه بينهما لاسيما بعد ازدياد شقه الخلافات بينهما لاسباب عده منها: عدم استصحاب الملك الاشرف اخاه المعظم في زيارته لمصر سنه ٦١٩هـ/١٢٢٢م على الرغم من مروره بدمشق (١) فضلا" عن الحقد الذى كان يكنه لاخويه لتهديدهما اياه في محاولته انتزاع حماه (٢) وشعوره باتفاق اخويه عليه وازدادت شكوكه بوجود هذا الاتفاق بالاقامه الطويله للملك الاشرف في مصر (٣) .

٢ . الاحلاف التي اقامها الملك المعظم لمحاربه الملكين الكامل والاشرف :ـ

حاول الملك المعظم سنه ٦٢١هـ/١٢٢٤م اقامه حلف يتمكن به من محاربه اخويه وذلك سنه ٦٢١هـ/١٢٢٤م فاتصل بالملك المظفر (٤) شهاب الدين بن العادل يطلب منه الاتفاق معه على محاربه الملك الاشرف (٥) وفي الوقت نفسه اتصل بمظفر الدين كوكبرى اميراربل يطلب منه التوجه الى الموصل لمحاربه اميرها بدر الدين لؤلؤ لعلاقته الوديه مع الملك الاشرف (٦) وتحالفه مع امير اربل ربما يكون بتشجيع سرى من الخليفه الناصر لدين الله العباسي (٧) لاسيما بعد ان غضب على الملك الكامل لما فعله ابنه الملك المسعود سنه ٦١٩هـ/١٢٢٢م في مكه (٨) .

---

(١) ابن الاثير: الكامل ٤٦٢/١٢ .

(٢) ابن الاثير: الكامل ٤٦٣/١٢، ابن واصل: مفرج الكروب ١٣٧/٤، ابوالفدا: المختصر ١٣٤/٣ .

(٣) ابن الاثير: الكامل ٤٦٣/١٢، ابن كثير: البدايه والنهايه ٩٩/١٣، ابن ابي عذيبه مختصرالتاريخ الكبير ـ مخطوطه ـ ورقه ٣٦ .

(٤) كان الملك الاشرف صاحب الجزيره فقد اعطى اخاه الملك المظفر مناطق من الجزيره هي خلاط، وملازكرد ، وجبل جور ، ميافارقين كما انه اصبح وليا "لعهده اذ لم يكن للاشرف ولد ذكر، للمزيد ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب ١٣٧/٤ ومابعدها .

(٥) ابن الاثير: الكامل ٤٦١/١٢، والحموى: التاريخ المنصورى ١٠٢، ابوالفدا: المختصر ١٣٤/٣ .

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب ١٣٧/٤ ومابعدها، ابن ايبك: كنزالدرر ٢٦٦/٧، طليمات عبد القادر احمد: مظفرالدين كوكبرى امير اربل (القاهره: ١٩٦٣) ١٢٨ .

(٧) Gibb. H.A.R,(The Aiyubids) chapt.xx of histiry of the Crusader, vol.,II, ed:Setton,K.M. philadelphia:The Regent of the university of Wiscon, 1962. p. 700

(٨) سيرد تفاصيل ما حدث في علاقه الملك الكامل مع الايوبيين في اليمن ص ٥٠ .

ولكي يضمن الملك المعظم تنفيذ الاتفاق اكد لحلفائه خروجه من دمشق لمساعدتهم (١) ولم يكتب لهذا الاتفاق النجاح ، وقد تمكن الملك الاشرف من القضاء على تمرد الملك المظفر شهاب الدين في خلاط بابعاده عنها وتسليمه ميافارقين فقط (٢) فضلاً عن فشل مظفر الدين كوكبري سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م في الاستيلاء على الموصل واشغال الملك الاشرف ومنعه من محاربة اخيه المعظم لانه قد وجدها محصنة (٣) .

وبرز دور الملك الكامل في انهاء هذا الاتفاق بارسال العساكر لمساعدة الملك الاشرف ، ثم تهديده للملك المعظم بانتزاع دمشق منه في حالة تعرضه للاشراف ، فخاف الملك المعظم ورجع الى دمشق بعد ان كان قد وصل القطنة وهي قريبة من قراها (٤) . استمر الملك المعظم في توثيق علاقاته مع الاطراف المعادية لاخويه فلم يكتف بالحلف الذي ذكرناه سابقاً ، بل وصل به الامر الى مراسلة السلطان جلال الدين الخوارزمي (٥) واصبح هو والملك المسعود ركن الدين من الصالح الارتقي ومظفر الدين كوكبري يداً واحدة على الملك الاشرف (٦) والذي شجع الملك المعظم على توسيع نطاق حلفه وخوف الملك الكامل منه بعد ان اوهمه ان معظم عسكر مصر معه لاسيما الناقمون عليه لعرضه تسليم بيت المقدس للافرنج فاثروا الابتعاد (٧) بعد ان ارسل اليه الملك المعظم تهديداً يقول فيه ((اني نذرت لله تعالى ان كل مرحلة ترحلها لقصدي اتصدق بالف دينار فان جميع عساكرك معي وكتبهم عندي واني آخذك بعسكرك)) (٨) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ١٣٨/٤

(٢) ابن الاثير : الكامل ٤٢٢/١٢ ؛ الحموي : التاريخ المنصوري ٢٠٢ ؛ ابوشامة : ذيل الروضتين ١٤٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٤٤٣/١٢ ؛ ابوالفدا : المختصر ١٣٤/٣ .

(٤) ابن واصل مفرج الكروب ١٢٨/٤ ـ ١٢٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٤/٣ ؛ المقريزي : السلوك ج ١ /ق ١ / ٢١٥ ؛ وينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٧٤/٤

(٥) النسوي ، محمد بن احمد : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي شاه خوارزم ، تحقيق حافظ احمد حمدي (القاهرة : ١٩٥٣) ٢٠٩ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٢٣/٨ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ٤٥٣/١٢ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ١٧٧/٤ ؛ المقريزي : السلوك ج ١ /ق ١ / ٢٢٣ .

(٨) المقريزي : السلوك ج ١ /ق ١ / ٢٢٢ .

وساند بعض الامراء الاسره الايوبيه الملك المعظم ومنهم الملك الامجد مجد الدين صاحب بعلبك والملك العزيز صاحب حلب والملك الصالح عماد الدين صاحب بصرى (١) •
بعد تأكد الملك المعظم من نجاح تهديده للملك الكامل قرر انتزاع حمص وحماه فاتجه سنه ٦٢٣هـ/١٢٢٦م لحصار حمص وحدث قتال بين عسكره وعسكر الملك الاشرف الذي قدم لنجده الملك المجاهد صاحب حمص فتمكن الملك المعظم من تخريب القرى واتلاف المزارع في حمص وامتدت عملياته التخريبيه الى سلميه (٢) الا انه لم يتمكن من السيطره على حمص بسبب الوباء الذي اصاب عسكره وقضى على دوابهم فرجع الى دمشق (٣) •
ونتيجه للفوضى التي عمت بالشام والجهات الشرقيه وكان الملك المعظم سببها فقد قرر الملك الاشرف التوجيه الى دمشق لتصفيه الاوضاع ومنع الملك المعظم من تحقيق اطماعه التوسعيه (٤) •
وكانت اقامه الملك الاشرف في دمشق اقامه اجباريه فقد اصبح كالاسير لدى الملك المعظم الذي وضعه تحت الحراسه حتى لا يتصل بأحد الا انه تمكن بوساطه كمال الدين ابن العديم من ايصال رساله الى الاتابك شهاب الدين بين بها الشروط التي تم بموجبها اقرار الصلح (٥) الذي تضمن ما يأتي :ـ
١• ان يترك جلال الدين (٦) خلاط مقابل اتفاق الملك الاشرف مع الملك المعظم على الملك الكامل وصاحب حمص وحماه (٧) •
٢• ان يتعهد الملك الاشرف بمساعده الملك المعظم على الملك الكامل (٨)
٣• ان لا يعقد الملك الاشرف هدنه مع احد الملوك الا بموافقه الملك المعظم (٩) •

---

(١) ابن واصل /مفرج الكروب ١٧٦/٤ •
(٢) ابن العديم :زبده الحلب ١٩٨/٢ ،للمزيد ينظر :ابن واصل :مفرج الكروب ١٧٧/٤ ومابعدها •
(٣) ابن العديم :زبده الحلب ١٩٨/٢ ،ابو الفدا :المختصر ١٣٦/٢ ،قسطالي :الروض الغناء ٥٨ •
(٤) سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ٦٣٩/٨ ،ابن العديم :زبده الحلب ١٩٨/٢ ، ابو شامه :ذيل الروضتين ١٤٨ ،اليافعي :مرآة الجنان ٥٢/٤ •
(٥) ابن العديم :زبده الحلب ٢٠٠/٢ ،ابن واصل :مفرج الكروب ٢٠٣/٤ ومابعدها
(٦) كان جلال الدين قد تقدم لحصارها بعد اتفاقه مع الملك المعظم ينظر علاقه الملك الكامل مع الخوارزميه ص٩١ـ٩٢ •
(٧) ابن العديم :زبده الحلب ٢٠١/٢ ،اليافعي :مرآة الجنان ٥٢/٤ ،ابن ابي عذيبه :مختصر التاريخ الكبير مخطوطه ورقه ٣٢ •
(٨) ابن العديم :زبده الحلب ٢٠١/٢ ،ابن واصل :مفرج الكروب ٢٠٥/٤ •

ووافق الملك الاشرف على شروط الصلح ، لانه ادرك الاخيار له غيرة اخيه في علاقته مع الملك المعظم وعندما رجع الى بلاده سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٥م م تراجع عن كل ما تقررعليه وبين الملك المعظم (١) .

واخيراً جاء موت الملك المعظم ليسدل الستار على هذه الفترة التاريخية دون ان يحقق اهدافه التي كان ينشدها . وكانت وفاته بدمشق في ذي القعدة سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م(٢).

ب- علاقة الملك الكامل مع حكام الشام والجزيرة من سنة ٦٢٥هـ/٦٣٥هـ/١٢٢٧م-١٢٣٧-١٢٣٨م وتشمل :-

١. انتزاع الملك الكامل دمشق من حكم الناصر داود :-

تولى الملك الناصر داود حكم دمشق بعد وفاة والده الملك المعظم ، وهو شاب في الحادية والعشرين من العمر ولم يكن على قدر من التجربة والخبرة (٣) لذلك اصبح طرفاً " رئيساً " في الاحداث التي جرت على مسرح السياسة الايوبية فخرج الملك الكامل سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م الى بلاد الشام(٤) تاركاً "ابنه الصالح نجم الدين نائباً " عنه في مصر(٥) واختلف المؤرخون في سبب خروجه الى الشام وعزاه بعضهم الى قيام الافرنج بتحركات عسكرية معادية حيث اجمعوا نحو صيدا واستولوا عليها ، بعد ان نقضوا الهدنة الذي كان بينهم وبين الايوبيين باقتسام صيدا (٦) مما دفع الملك الكامل الى الاتجاه نحو سواحل الشام وقام على التو بانتزاع حكم بيت المقدس ونابلس من الملك الناصر (٧) ويشير بعض المصادر الى ان تحركات الملك الكامل لم تكن بدافع مقاتلة الافرنج وانما كانت لعاد وافع سياسية اخفى وراءها اطماعه الشخصية ، وهي زيادة رقعة ملكه بانتزاع حصن الشوبك الذي

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٢٠١/٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٠٥/٤ ، المنجد ، صلاح الدين : امراء دمشق في الاسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد (دمشق : ١٩٥٥) ١٥١ .

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ٨١/٥ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٨٢/٧ ، المنجد : امراء دمشق ١٥١ .

(٣) المنجد : امراء دمشق ١٥١ ، المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك (بغداد : ١٩٥٥) ٨١ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ٤٧٩/١٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٨١/٥ ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب خطأ الى ابن الفوطي ، تحقيق مصطفى جواد (بغداد : ١٩٦٩) ٧٨ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٢٥/٤-٢٢٦ وابن ايبك : كنز الدرر ٢٨٩/٧ ، المقريزي : السلوك ج١ /ق٢٢٥/١ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ٤٧٨/١٢ وابن كثير : البداية والنهاية ١٢٣/١٣ ، النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، المسجد المسبوك ٤٣٢/٢ .

(٧) للمزيد ينظر : ابن الاثير : الكامل ٤٨٠/١٢ ، ابن شداد ، عز الدين ابو عبد الله محمد : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تاريخ لبنان والاردن وفلسطين ، تحقيق : سامي الدهان (بيروت : ١٩٦٢) ٢٢٣ .

رفض الملك الناصر تسليمه له (١) ويرى اخرون ان السبب يكمن في ان الملك الناصر داؤد قد ابعد الملك العزيز عثمان بن العادل صاحب بانياس من بعلبك التي كان قد جاء اليها باستدعاء من اهلها ، فغضب وسار الى مصر فوعده الملك الكامل بانتزاع دمشق من الملك الناصر (٢) ويجعل المقريزي سببا " آخر لخروج الملك الكامل وانتزاع دمشق من الملك الناصر داؤد ، ويرده الى ان الناصر كان ظالما " اساء معامله الناس فاخذ اموالهم واقبل على اللهو مما ادى الى اهمال البلاد وفساد ادارتها (٣) فاحتاج الامر الى الاخذ على يده لتحقيق صلاح البلاد والعباد ، وهناك من يشك في صحه هذه الروايه ، فقد وقف اهل دمشق موقفا " ايجابيا " من الملك الناصر ، وكانوا السند القوي له عندما هاجم الملك الكامل مدينتهم بعد ان تخلى عنه باقي الملوك الايوبيين (٤) فضلا " عن كون المقريزي قد نقض روايته بنفسه عندما وصف موقف اهل دمشق حينما تعرضها الاشرف سنه ٦٢٦هـ/١٢٢٨م بقوله :
[[فشق ذلك على اهل دمشق وتأسفوا على مفارقه الناصر وكثر بكاؤهم]] (٥) ومع هذا فان ما يسوغ قبول قول المقريزي في الروايتين السابقتين ان الملك الكامل اتخذ من تحرك الافرنج حجه للتوجه الى الشام وان هدفه الرئيسي كان انتزاع دمشق من الملك الناصر ومما يؤكد ذلك ان الملك الكامل عندما قرر تسليم بيت المقدس الى الافرنج (٦) جمع الامراء بهذا الخصوص فأشار عليه الامير سيف الدين ابن ابي زكري بقوله :[[ابقي دمشق على ابن اخيك الملك الناصر واطلبه واطلب اخاك الاشرف وعسكر حلب ونقاتل هذا العدو فاما لنا واما علينا ولا يقال عن السلطان انه اعطى الافرنج القدس]] (٧) فاستصغر ذلك ونهر عليه وسيره الى مصر وسجنه بها (٨) ونشعر ان الرأي الذي عرضه الامير سيف الدين كان خيارا " جديدا " للتقدير لمعالجه الاوضاع المترديه في هذا الجزء من الوطن العربي والعالم الاسلامي هذا من جهه وهو يكشف لنا عن التصدع في العلاقات بين الايوبيين من جهه اخرى ومحاوله اخفائها ومن ثم الاستعداد لمجابهه الافرنج وافشال خططهم الا ان الامور سارت باتجاه يحقق اهداف الافرنج .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٤٨٣/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢٢٥/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ٤١/٣ ؛ المقريزي : الذهب المسبوك ٨١ ؛ العليمي : الانس الجليل ٤٠٥/١ .
(٢) للمزيد ينظر ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٧٨/٨ ؛ المقريزي : السلوك ج ١/ق ٢٢٥/١
(٣) المقريزي : السلوك ج ١/ق ٢٢٥/١ ؛ الذهب المسبوك ٨١ .
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٩٢/٤ .
(٥) المقريزي : السلوك ج ١/ق ٢٣٥/١ .
(٦) سيرد تفاصيل تسليم بيت المقدس في الفصل الثالث ضمن العلاقه مع الافرنج
(٧) ابن شداد : الاعلاق الخطيره تاريخ لبنان والاردن ٢٢٣ـ ٢٢٤ .
(٨) ابن شداد : الاعلاق الخطيره تاريخ لبنان والاردن ٢٢٤ .

ولعل فيه من جهة ثالثة بيانا " لاطماع الملك الكامل في انتزاع دمشق والشاهد على ذلك سجنه للأمير سيف الدين فضلا" عن اتفاقه مع الملك الاشرف الذى قد ولا جزاء الصلح بينه وبين الملك الناصر على مساعدته في انتزاع دمشق من الملك الناصر وتسليمها اليه (١) مستغلا" حب الملك الاشرف لدمشق والذي كان يعمل سرا" على تملكها فجاءت الفرصة سانحة له عندما عزم عليه الملك الكامل ذلك (٢) .

وكرد فعل من قبل الملك الاشرف صاحب البلاد الشرقية والملك المجاهد صاحب حمص على هذه المعالجة الغريبة للامور فقد توجها الى الملك الكامل في تل العجول والتقيا به (٣) وقررا ما يأتي :

١. اخذ دمشق من الملك الناصر وتسليمها للاشرف وما معها من عقبة فيق .
٢. يكون للملك الكامل ما بين غزة وعقبة فيق من البلاد والحصون .
٣. يعوض الملك الناصر عن بلاده بحران والرقة وسروج ورأس العين والموزر .
٤. تؤخذ بعلبك من الملك الامجد وتعطى حمي واصالحا للملك العزيز عثمان .
٥. تنتزع حماه والمعرة وبعرين من الملك الناصر قلج ارسلان ابن المنصور وتعطى للملك المظفر تقي الدين وتؤخذ سلمية من الملك المظفر تقي الدين وتعطى للملك المجاهد اسد الدين صاحب حمص (٤) .

حاول الملك الاشرف اقناع الملوك الايوبيين (٥) بالاستجابة لطلب الملك الكامل في انتزاع دمشق من الملك الناصر وذلك لكونه سلطان البيت الايوبي (٦) ويبدو لنا ان سياسة الملك الاشرف تكشف عن انحيازه للمرحلة الاخيرة الى جانب الملك الكامل . الا ان الذى حدث جرى باتجاه آخر فقد رفض عز الدين ايبك صاحب صرخد تسليم دمشق فترتب على ذلك ظهور مواقف سياسية متباينة وهي :-

---

(١) ابن شداد الاعلاق الخطيرة ، تاريخ لبنان والاردن ٢٤٤ ، ابن واصل مفرج الكروب ٤/٢٢٨ ، المقريزي : السلوك ج ١/ق ١/٢٢٧ .
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨٣/١١٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٢٩ المقريزي : السلوك ج ١/ق١/٢٢٦ .
(٣) الحموي : التاريخ المنصوري : ٢٤٩ ، ابوالفدا : المختصر ٢/١٤٠ ، ابن الوردي : تاريخه ٢/٢١٦ ، ابن ابي عذيبة : مختصر التاريخ الكبير مخطوطة ورقة ٣٨ .
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٣١ ، ابوالفدا : المختصر ٢/١٤٠ ، كرد محمد علي : خطط الشام (دمشق : ١٩٢٦) ٢/٩٣ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ١٢/٤٨٤ ، ابوالفدا : المختصر ٢/١٤١
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٢٧ ، ابن الوردي : تاريخه ٢/٢١٦ ، المقريزي : السلوك ج ١/ق١/٢٢٩ .

اولا " • طلب عزالدين ايبك من الملك الناصر ترك نابلس والاتجاه الى دمشق لمقاومة الملك الكامل وعند ذلك تخلى عنه الملك الصالح اسماعيل ابن العادل صاحب بصرى والملك المغيث شهاب الدين ابن العادل والملك اسد الدين شيركوه صاحب حمص وانضموا الى الملك الاشرف (١) •

ثانيا " اتفق الملك الكامل مع الملك الاشرف على حصار دمشق واخذها من الملك الناصر ابن المعظم (٢) •

استعد الناصر داود للحصار ووقف بجانبه اهل دمشق لفرط محبتهم له ولوالده فضلا " عن القوة التي كانت في غاية النظام وكمال العدة والالة (٣) •

اما سير العمليات الحربية بين الطرفين فقد بدأ بضرب الملك الاشرف الحصار على دمشق وقطع ماء النهر عنها الا انهم تمكنوا من اعادته بعد قتال عنيف (٤) وبعد ان ضاقت الامور بيد الملك الناصر ارسل رسولا " الى جلال الدين الخوارزمي بين فيه ان اعامة قصده لانه هو وابوه اليه ، وحثه على التوجه الى خلاط ومضايقتها ليشغل الملك الاشرف عنه فاتجه الخوارزمي اليها وحاصرها (٥) وفي اثناء ذلك بعث الملك الاشرف الى الملك الكامل الذي كان مشغولا " باجراء التسوية لتسليم بيت المقدس ويطلب منه القدوم الى دمشق لمساعدته فارسل الملك الكامل الى الاشرف رسالة يقول فيها :

((ان البلاد التي عينت لي حصون ومعاقل مثل الكرك والشوبك والملت وربما تعذر اخذها على لحصانتها وانت تحمل على دمشق)) (٦) ولعل الشواهد على ذلك تشير الى ان الحل اصبح بيد الملك الاشرف لانه كان عازما " على خوض المعارك على الرغم من مواقفه السابقة التي تشير الى تصرفه الامور سياسيا " مع الملك المعظم ، ونتيجة لذلك تقرر (ان تكون البلاد الشرقية التي عينت للملك الناصر للسلطان الكامل

(١) ابوشامة : ذيل الروضتين ١٥٤ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢٣٨/٤ ؛ الذهبي : العبر ١٠١/٥ •

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٥٤/٨ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ٥٩/٤ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١١٨/٥ •

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٣٩/٤ ؛ المقريزي : السلوك ج١/ق٢٢٩/١ •

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ٢٠٦/٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢٣٩/٤

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٤٠/٤

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٥٢/٤ ؛ حماده : الوثائق السياسية ٤٠٧

ويكون للملك الاشرف دمشق وبلادها الى عقبة فيق ويعوض للملك الناصر بما يقع الاتفاق عليه اذا فتحت دمشق من البلاد التي ما بين عقبة فيق وغزه ، وما يبقى منها يكون للملك الكامل[1] ووافق الملك الكامل على القرار ، واتجه سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م الى دمشق وشارك الملك الاشرف في حصارها ، فقطعوا الماء عنها مما ادى الى جفاف البلد ، واستعمل اهلها مياه الآبار ولكن على الرغم من الحصار القوي فقد استبسل اهل دمشق في سبيل المحافظة على المدينة وملكها الناصر ، فقام الملكان الاشرف والكامل بتخريب البساتين وحرقها[2].
ومما زاد من سوء حالة اهل دمشق قلة الاموال وذلك لان اموال الملك الناصر كانت بالكرك وهو لثقته بالملك الاشرف لم يجلب شيئا منها فاضطر الى بيع حلي نسائه وشرع في ضرب قطعة من الاواني الذهبية والفضة دنانير ودراهم[3] وعندما وجد عدم قدرته على الاستمرار في مقاومة الملك الكامل ، قرر طلب الصلح[4].
وتوجه الملك الكامل الذي خرج اليه واكرمه واجتمعا بجامع القلعة في شعبان سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م وتقرر الاتفاق على اعطاء دمشق للملك الاشرف واخذ الملك الكامل عوضا عنها حران ، والرها ، وسروج ، والرقة ، ورأس ، ورأس العين[5] جملين والموزر[6] وتوجه الملك بنفسه في التاسع من شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م[7] وقام باعطاء الكرك والشوبك والصلت والبلقاء والاغوار جميعها ونابلس واعمال القدس وبيت جبريل للملك الناصر[8]

---

(1) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٥٢/٤.
(2) الذهبي : دول الاسلام ١٣٣/٢ ، العبر ١٠٥/٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١١٨/٥.
(3) ابن الاثير : الكامل ٤٨٤/١٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٥٣/٤ ، المقريزي : السلوك ج١/ق٢٢٤/١.
(4) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٧٠ ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة تاريخ لبنان والاردن ٦٠
(5) الذهبي : دول الاسلام ١٣٣/٢ ، اليافعي : مرآة الجنان ٥٩/٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٢٣/٦.
(6) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٥٧/٤.
(7) اليافعي : مرآة الجنان ٥٩/٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٢٣/٦ ، وذكر بعض المؤرخين : انه ارسل نوابه الى بلاد الشرق ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٦٦/٤ ابن العماد : شذرات الذهب ١٢٢/٥.
(8) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٥٦/٤ ، الحوادث الجامعة ، العليمي : الانس الجليل ٤٠٧/١.

الذي تنازل عن الشوبك للملك الكامل (١) نفسه ومعها الخليل وغزه وطبريه وعسقلان والرمله واللد (٢) وبقيت صرخد بيد عزالدين بن ايبك (٣) ، اما ما بقي من البلاد الشرقيه للملك الاشرف وهي نصيبين وسنجار والخابور وبلاد خلاط(٤) .

٢ . الاطماع التوسعيه للملكين الكامل والاشرف في بلاد الشام والجزيره :-

ان الانتصار الذي حققه الملك الكامل في دمشق زاد من طموحه وحمله على التفكير بتوسيع دائره سلطانه وهنا بدأ سير العمليات الحربيه باتجاه مدينه حماه لانتزاعها من الملك الناصر قلج ارسلان ، الذي رفض تسليمها لاخيه الملك المظفر تقي الدين الوريث الشرعي لها بوصيه ابيه (٥) وشارك في حصار حماه للملك المجاهد اسد الدين شيركوه صاحب حمص والملك المظفر تقي الدين (٦) فضلا" عن الملكين العزيز والصالح ابني الملك العادل (٧) .

ولعل الاجراءات التي اتخذها الملك الناصر ، بعد وصول عسكر الملك الكامل ، هي قيامه بتحصين حماه استعدادا" لمواجهه الحصار (٨) الا انه بما عرف عنه من ضعف الشخصيه ، بادر بعد عشرين يوما" من حصار المدينه بطلب الصلح ورأي المؤرخون انه لو استمر في المقاومه لتمكن من املاء شروطه على الملك الكامل (٩) الا انه طلب من المجاهد اسد الدين شيركوه تأمين الظروف لايصاله الى سليمه والاتصال بالملك

---

(١) سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ٦٥٧/٨ ،المقريزي :السلوك ج١/ق١/٢٢٥ .

(٢) المقريزي :السلوك ج ١/ق١/ ٢٢٥ .

(٣) ابن شداد :الاعلاق الخطيره قسم لبنان والاردن ٦٢ ، الغساني:العسجد المسبوك ٢/ ٢٧

(٤) ابن واصل :مفرج الكروب ٢٥٨/٤ .

(٥) ابن الاثير ٤٨٦/١٢ ،الحموي :التاريخ المنصوري ٢٧٤ ، ابوشامه :ذيل الروضتين ١٥٦ .

(٦) ابن الاثير:الكامل ٤٨٧/١٢ ، ابوشامه :ذيل الروضتين ١٥٦ .

(٧) ابن واصل :مفرج الكروب ٢٦١/٤ .

(٨) ابن واصل :مفرج الكروب ٢٦٦/٤ .

(٩) ابوالفدا :المختصر ١٤٢/٢ ، كرد :خطط الشام ٩٥/٢ .

الكامل (١)٠

ومن الملاحظ هنا ان قادته واتباعه لم يوافقوا على الصلح وبينوا له ان اتباع اسلوب المقاومه هو الاصوب لان مدينه حماه قويه ومحصنه الا انه قرر الذهاب للقاء الملك الكامل (٢) الـذى اعتقله وسجنه في مصر (٣) وطلب منه ارسال علامه الى نوابه لتسليم المدينه للملك المظفر، فرفض نوابه ذلك، ونادوا باسم الملك المعزين المنصور طلبا " لحم بدلا " من الملك الناصر (٤)٠

ونتيجه لمافعله نواب الملك المنصور، بعث الملك الكامل الى الملك المظفر بان يرسل الى نواب ابيه في حماه يطلب منهم تسليم حماه، ولن يفتحوا باب النصر (٥) فاستجابوا له وسلموا المدينه للملك المظفر تقي الدين (٦) الذى اعطى سلميه للملك المجاهد اسد الدين شيركوه وعوض الملك الناصر بعد اطلاق سراحه ببعرين (٧)٠

وصلت نشوه الانتصار في دمشق وحماه على الحاب العاطفه والحماس في جيش الملك الاشرف الذى توجه سنه ٦٢٦هـ/١٢٢٨م نحو بعلبك لانتزاعها من الملك الامجد بهرام شاه (٨) وكان الاتفاق الذى وقع بين الملك الاشرف والملك الكامل سنه ٦٢٥هـ/١٢٢٧م هو تسليم بعلبك للملك العزيز عماد الدين ابن العادل بعد انتزاعها من الملك الامجد بهرام شاه فلما تسلمها، رفض اعطائها للملك العزيز واخذها لنفسه (٩)٠

---

(١) ابن الوردى :تاريخه ٢١٧/٢ والصابوني :تاريخ حماه ٦٤

(٢) ابن الاثير :الكامل ٤٨٧/١٢٠

(٣) ابن العديم :زبده الحلب ٢٠٨/٣٠

(٤) الحموى :التاريخ المنصورى :٢٧٥ وابن واصل :مفرج الكروب ٢٦٩/٤٠

(٥) ابن واصل :مفرج الكروب ٢٧٠/٤ وابوالفدا :المختصر ١٤٣/٣ـ١٤٤٠

(٦) ابن الاثير :الكامل ٤٨٧/١٢ وابن ايبك : كنزالدرر ٢٩٥/٧٠

(٧) ابن العديم :زبده الحلب ٢٠٧/٣٠

(٨) ابوشامه :ذيل الروضتين :١٥٦ والذهبي :العبر ١٠٥/٥ والدويهي ـاسطفانوس : تاريخ الازمنه ،مجله المشرق ،السنه الرابعه والاربعون :تحقيق : الاب فرديناند توتل اليسوعي (بيروت :١٩٥١) ١١١

(٩) ابن واصل :مفرج الكروب ٢٨٠/٤٠

بدأت العطيات العسكرية بمحاصرة مدينة بعلبك ، واستمر الحصار مدة عشرة أشهر ساءت فيها الأحوال ، فسلمها الملك الأمجد سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٩م وأخذ بدلها قصير دمشق بالزبداني التي تقع شمال دمشق [١] ومن الملاحظ في سلوك ملوك بني ايوب ، أنهم على الرغم من الخلافات الموجودة بينهم ، ولاسيما بين العوالين للملك الكامل لا يجرؤون على تبعية مطلقة الى مناطق نفوذهم الا بإذنه ، بدليل أن الملك العزيز بن الظاهر بعد أن استقل بحلب سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م [٢] ، استأذن الملك الكامل بانتزاع شيزر [٣] من صاحبها [٤] فاتجه اليها سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م [٥] ، ولما يؤكد موافقة الملك الكامل على ذلك ، ارساله ... تجاريين ومعهما خمسة آلاف دينار ليستعين بها الملك العزيز [٦] وساعده في حصارها الملك المظفر صاحب حماه . [٧]

ونتيجة لطول مدة الحصار تخلى شهاب الدين عن شيزر وسلمها للملك العزيز [٨] الذي تمكن في السنة نفسها من انتزاع تل باشر من الاتابك شهاب

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٨٤/٤ والمقريزي : السلوك ج١/ق١/٢٢٧–٢٢٨ ، البعلبكي ، ميخائيل موسى : تاريخ بعلبك ، ط٣ ، بيروت : ١٩٠٨/١٦٣ .

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب ٢١١/٣ وابن واصل : مفرج الكروب ٩/٥ .

(٣) شيزر : كانت بيد سابق الدين وأخوته الذين خدموا الدولة النورية والأيوبية زمن صلاح الدين الايوبي ، وبقيت بيد اولاد سابق الدين الى أن انتقلت الى شهاب الدين يوسف وأحفاده ، ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ٦٣/٥ – ٦٤ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٤/٣ وابن واصل : مفرج الكروب ٦٣/٥ ؛ الصدفي ، رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، (مصر: ١٩٠٧) ، ٢٤٧/٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٥/٣ ، ابو الفدا : المختصر ١٥٣/٣ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٦٥/٥ ، وفيه تجابين ، وهو تصحيف .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٥/٣ والحلبي ، محمد راغب بن محمود الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (حلب: ١٩٢٤) ٢٤٠/٢ .

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٥/٣ .

الدين طغرل الذي كان قد أمر نوابه بتسليمها له .[1]

ومما يعزز تأكيدنا ، ان الملك الظافر بن العادل استأذن سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الملك الكامل في انتزاع بعرين من أخيه الملك الناصر قلج أرسلان ، والسبب في تفكيره بذلك خوفه من ان يسلمها الى الافرنج لشعوره بعدم مقدرته على مقاومتهم[2] ، فتمكن من ضمها الى املاكه ، وسار الناصر الى مصر وامتلأ اقطاعا ، الا أنه أساء التصرف فسجنه بقي في السجن الى ان توفي سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٧ م .[3]

٣ ــ نهاية النزاع بين ابناء الأسرة الأيوبية واستيلاء الملك الكامل دمشق :

طالما ان عاد الصراع بين الأسرة الأيوبية ، برزت الخلافات الشخصية بشكل واضح بينهم ، لاسيما بين الملك الاشرف والملك الكامل اللذين كانا على وفاق مستمر خلال الفترة السابقة ، لأن مجاري الأحداث جعلت الملك الأشرف يتقدم على أخيه الملك الكامل والتف عدد من الملوك الأيوبيين حوله ، ويحسم آخر الأمر انقسموا الى قسمين : قسم انضم الى الملك الأشرف ، والآخر الى الملك الكامل .[4]

وظهرت علامات النزاع والفرقة بين الملوك الأيوبيين بشكل واضح سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م ، فالملك الناصر بن المعظم كان خائفا من الملك الكامل بسبب اتفاقه مع بقية الأيوبيين عليه[5] ، فقرر التوجه الى بغداد والاعتصام بالخليفة العباسي الناصر لدين الله[6].

---

[1] الحموي : التاريخ المنصوري ٤٥٠ وابن العديم : زبدة الحلب ٢١٢/٣ . للمزيد ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ٩ ــ ١١ .

[2] ابو الفدا : المختصر ١٥٢/٣ والذهبي : تاريخ دول الاسلام ٢٤٧/٢ .
[3] ابن واصل : مفرج الكروب ٦٨/٥ والمقريزي : السلوك ١/ ق١/ ٢٤٤ .
[4] ابن واصل : مفرج الكروب ٦٨/٥ والمقريزي : السلوك ج ١/ ق١/٢٤٤ .
[5] ابن واصل : مفرج الكروب ٨٢/٥ .

[6] سيرد تفاصيل ذهاب الملك الناصر الى بغداد ضمن علاقة الملك الكامل مع الخلافة العباسية ، ص ٥٦ ــ ٦١ .

وما أن حلّت سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م حتى كان الأيوبيون قد وصلوا
الى حالة التنافر والتناحر بسبب المصالح الشخصية ، فقد ظهرت بين الملكين
الأشرف والكامل عدة أسباب اجتمعت على افساد العلاقة بينهما ، ومنها :
ان الملك الأشرف ، أرسل الى الملك الكامل رسالة يطلب منه الرقة* وقال فيها :
" الشرق قد صار له وأنا كل يوم في خدمته تكون هذه ٠٠ طبق دبابي "[1] .
فرفض الملك الكامل ، ورد قائلا : " ما يكفيه ملك بني أمية "[2] ، وكان
الملك الأشرف قد بعث الى الملك الكامل بعد عودته سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م
الى مصر كتابا يقول له : " أخذت الشرق بأمطيته لولده وقد افتقرت أوصلنا
دمشق الا بستان وطالي فيها رزق "[3] فبعث اليه الملك الكامل بعشرة
آلاف دينار فردها قائلا : " أنا أعطي هذه لأمير " .[4]

ولما بلغ الملك الكامل قول الملك الأشرف ، قال : " والله لأشرفنه
قدره " [5] كما ان نائب الملك الأشرف في خلاط كان قد تصحه بعد وفرة
الشرق مقابل دمشق وذلك للامتيازات التي يتمتع بها الشرق ومنها ، أن سنجار
أفضل من دمشق ، فتى بسط البلاد ، كما ان الدولة الخوارزمية المعاندة للملك
المعظم لا تتاني عن مساعدة ابنه الناصر بمهاجمة خلاط ، كما أن الملك الأشرف
نفسه سيكون في بلاده بالشرق طامعا على الشام ايضا وأهل الموصل وسلاجقة
الروم يقدمون له المساعدة كلما دعت الضرورة الى ذلك .[6]

---

(1) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٩٩/٨ وابن كثير : البداية والنهاية ،
١٠٤/١٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٨٢/٦ .

(2) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٩٩/٨ وابن تغري بردي : النجوم
الزاهرة ٢٨٢/٦ وابن العماد : شذرات الذهب ٢٢١/٥ .

(*) ذكر ابن ايبك : ان الملك الأشرف طلب الرقة ، بعد ان قويت شوكته
باستخدام الخوارزمية الذين كانوا من عسكر السلطان جلال الدين الخوارزمي .
ينظر : كنز الدرر ٢١٧/٧ .

(3) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٩٩ـ ٧٠٠ .
(4) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٧٠٠/٨ وابن ايبك : كنز الدرر ٢١٨/٧ .
(5) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٧٠٠/٨ وابن ايبك : كنز الدرر ٢١٨/٧ .
(6) للمزيد ينظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٦٤/٨ .

ويتبين لنا ان الملك الكامل كان قد ضم الى مملكته عدة مناطق ، منها : حرّان ، والرها ، وسروج ، ورأس العين ، وجميع أملاك الملك الاشرف بالشرق ، فضلا عن المواضع التي أخذها من دمشق فأدت بالنهاية الى زيادة خلافه مع الملك الاشرف .[1]

ولابد من الاشارة الى ان الملك الاشرف كان يتحمل كل سنة نفقات كثيرة في تضييف الملك الكامل وأصحابه في دمشق عند ذهابه الى بلاده الشرقية[2] ، كما أنه الملك الكامل عندما فتح آمد سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢١ م بمساعدته هو لم يعطه منها ، وكذلك لم يقف الملك الكامل الى جانبه عندما طلب منه مساعدته في محاربة سلطان سلاجقة الروم[3] ، وكل هذه الخلافات حملته على الاتصال بصاحب حلب وحماه ، وبلاد الشرق يطلب منهم الوقوف معه بوجه الملك الكامل .[4]

لم يكن الملك الاشرف أفضل من أخويه الكامل والمعظم ، فعندما تحالف الأول مع الافرنج ، والثاني مع الدولة الخوارزمية اتفق هو مع ايات الدين كيخسرو سلطان الروم لمحاربة الملك الكامل .[5]

اما بقية الملوك الايوبيين ، فقد انضم كل منهم الى الحلف الذي يحقق له أطماعه ، فقد اتفق الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص مع الملك الاشرف[6] وانضمت اخته ضيفة خاتون صاحبة حلب الى حلفها بسبب

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٢٧ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٢٢ .

(2) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٧٠٠ وابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٢٧ .

(3) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٢٣ .

(4) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٢٧ وابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٤٥ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٦ .

(5) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥/٣٣ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٢٣ .

(6) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٢٧ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٢٢ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٦ .

تقديم الملك الكامل الصالح بن الظاهر صاحب عين تاب[١] على عسكر حلب وارسال خلعة الملك الناصر بن العزيز بدلاً من مركوب[٢]، وارسال خلعة الملك الصالح مع رسول آخر فلم تسرّ والدة الناصر وأرباب الدولة بما فعله الملك الكامل.[٣]

اما الملك الظافر صاحب حماة، فقد كان ميالاً الى خاله الملك الكامل لموقفه الايجابي منه، فهو الذي ملّكه حماة وسمح له بانتزاع بعرين من أخيه الناصر[٤]. الا أن الملك الأشرف وحلفاءه قرروا استمالته وتهديده، اذا رفض الانضمام اليهم فوجد نفسه مضطراً لمساعدتهم، وبذلك اكتمل حلف الملك الأشرف.[٥]

اما الملك الناصر بن المعظم، فقد بعث اليه الملك الأشرف يطلب منه الانضمام اليه، بعد ان وعده بأن يكون ولي عهده، ويزوجه ابنته، وسمع الملك الكامل بعروض الأشرف، فأرسل من طرفه رسالة الى الملك الناصر يبيّن له فيها غدر الملك الأشرف عندما طلب منه مساعدته في الحفاظ على دمشق فأخذها لنفسه، ثم وعده بعودة دمشق وأملاك أبيه المعظم في حالة انضمامه اليه.[٦]

---

(١) عين تاب: قلعة حصينة تقع بين انطاكية وحلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/١٧٦.

(٢) المركوب: وهي الخيول المسومة النفيسة الأثمان التي يركبها الأمراء ومن يلحق بشأوهم. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/٤١.

(٣) للمزيد انظر: ابن العديم: زبدة الحلب ٣/٢٢٦ وابن واصل: مفرج الكروب ٥/١٢٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل ١٢/٤٨٧، ابن الوردي: تاريخه ٢/٢١٨ والمقريزي: السلوك، ج ١/ ق١/٢٤٤.

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب ٣/٢٢٧ وابو الفدا: المختصر ٣/١٥٩، الذهبي: دول الاسلام ٢/٢٤٨.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب ٥/١٢٥ – ١٢٦، ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٣٦.

ووصلت الرسالتان الى الملك الناصر من عمّيه في وقت واحد ، فاحتار الى من ينضم ، فأشارت عليه والدته بالانضمام الى حلف الملك الكامل لئلا يكسر ما حدث له [1]. وسمع الملك الاشرف بانتماء الملك الناصر الى الملك الكامل ، فغضب عليه ، وانتقم منه بأخذ اعماله التي في نابلس[2] وبعد انقسام الأيوبيين الى حلفين ، أرسل حلف الملك الاشرف رسالة الى حلف الملك الكامل يقول فيها : " أننا قد اتفقت كلمتنا ونطلب منك أنك لا تعود تخرج من مصر ولا تنزل الى الشام وتحلف لنا على ذلك "[3] ، فلما سمع رسالتهم اجابهم: " أنتم اغلقتم كلكم تالمون مني بعضي ؟ احلفوا لي أنتم ايضا ان لا تقصدوا بلادي ولا تتعرضوا لشيء مما في يدي ، وانا ابا قسم على خاطرين "[4] ، وأضاف قائلا: " الكاتي اختلاف ملوك الاسلام وأضحكني كونتا الجميع ضايع ، وما بقي لنا فسحة في الأجل تحتمل القال والقيل ..." [5].

وهكذا لعبت الأطماع الشخصية لدى ملوك بني أيوب دورا واضحا في رسم سياسة التحالف والاستقطاب التي كانت نتائجها ظاهرة الانقسام داخل الأسرة الأيوبية مثلما حصل بين شهاب الدين يوسف صاحب شيزر ، وكمال الدين بن نصر اللذين حاولا اقناع الملك الاشرف بانتزاع حلب وحماه بمساعدته بالأموال الا انه رفض العرض قائلا : " لايمكن أن يبدو مني غدر ولا قبيح في حق ذرية الملك الظاهر" [6] ، وفي هذه الظروف الحاسمة توفي الملك الاشرف سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م .[7]

---

(1) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٢٦.
(2) المقريزي : السلوك ، ج ١/ ق١/ ٢٥٥.
(3) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/ ٢٢٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٢٧ ، المقريزي : السلوك ، ج ١/ ق١/ ٢٥٥.
(4) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/ ٢٢٨ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٢٧.
(5) الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٧ .
(6) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/ ٢٢٨ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٢٨.
(7) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٢٠٤ وابو شامة : ذيل الروضتين ، ١٦٥ وابن ايبك : كنز الدرر ٧/ ٣٢٠ .

وكان الملك الاشرف قد أوصى بولاية العهد لأخيه الملك الصالح عماد الدين بن العادل [١] فاستولى على ممتلكات الاشرف في بلاد الشام ، وأرسل ابنه الملك المنصور نور الدين الى الشرق ليتسلم من نواب الملك الاشرف سنجار والخابور ونصيبين ، وطلب من الملوك الأيوبيين الذين كانوا في حلف الملك الاشرف ان يحلفوا له ويتفقوا على ما سبق ان قرر الملك الاشرف [٢] وضاعت الفرصة على الملك الناصر الذي كان قد تحالف مع الملك الاشرف ليحصل على ما حصل عليه الملك الصالح [٣] وعلى اية حال فان حلف الملك الاشرف لم يبق على ما كان عليه ، فقد خرج الملك المظفر وانحاز الى الملك الكامل ، ولكي يتسنى له الانفصال عن الحلف احتج بسلمية وقلعتها شميميش من الملك المجاهد أسد الدين شيركوه [٤] وفي الوقت نفسه أرسل الى الملك الكامل رسولا يعلمه أنه مازال منتميا اليه وانه مافعل ذلك الا بسبب خوفه من الملك الاشرف . [٥]

وبعد ذلك اتجه الملك الكامل بجيوش مصر سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م من مصر الى دمشق لحصارها ، وسار معه الملك الناصر داود على أمل ان يملكها [٦] ، وسمع الملك الصالح بقدومهما ، فاستعد للحصار ، فقسم الأمراء على الأبراج وحصنها وأغلق ابوابها [٧] وقسم الذخائر والأقوات والحطب ، ونقل الأحجار

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/٨٦ ، الذهبي : العبر ٥/١٤٦ ، الصفدي : الوافي ١/٩٤ ، اليافعي : مرآة الجنان ٤/٨٧ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٣٣ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٤٧ ، المقريزي : السلوك ، ج ١ ق١/٢٥٦ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٤٧ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٣٣ — ٢٣٤ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٤٩ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٢٦٧ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٤٣ ، المقريزي : السلوك ، ج ١ / ق١/٢٥٦ ، الصفدي : تاريخ دول الاسلام ٢/٢٤٨ .

(٦) ابو شامة : ذيل الروضتين ١٦٥ وابو الفدا : المختصر ٣/١٦٠ ، اليافعي : مرآة الجنان ٤/٨٧ .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٧١٧ وابن ايبك : كنز الدرر ٧/٢٢٥ .

والمجانيق الى ابواب البلد ، ووصلت نجدة من حمص وحلب[١] استعدادا للمقاومة بالتحصين ، ووصل الملك الكامل دمشق في جمادى الاولى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م وطوّق عسكره دمشق من جميع الجهات ، وقطع الماء عنها ، فاشتد الحصار ، وارتفعت الاسعار[٢] وكاد الملك الناصر يستولي على دمشق عندما اتجه اليها من العقيبة وباب توما ، الا ان الملك الكامل اوقفه من هذا التقدم .[٣]

يبدو ان الملك الكامل لم يكن ميالا الى ان يعجل فتح دمشق والسيطرة عليها باسم الملك الناصر .

ونتيجة لسوء الاوضاع في دمشق وقصد ان الملك الصالح الاشرف في المحافظة عليها قام بتخريبها باحراق المناطق المحيطة بها كالعقيبة وما فيها من أسواق ودور[٤] ، وأرسل الى الملك الكامل يقول : " متى فتحتها عنوة ... رميت النار في اربعة جوانبها لأحرقها جميعا لا لي ولا لك " .[٥]

بعد ان رأى الملك الصالح رجحان كفة الملك الكامل ، استخدم عسكرا مختلف العناصر للدفاع عن دمشق منهم الخوارزمية ، والتركمان الذين اشتركوا مع بعض مقاتلي المعسكر الكاملي في حلب[٦] ، فضلا عن ارسال الملك المجاهد أسد الدين شيركوه قوة تقدر بخمسين مقاتلا تمكن الملك الكامل من شنقهم بعد القبض عليهم ، وكان فعله تعبيرا عن غضبه على الملك المجاهد صاحب حمص[٧] ووصوله

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٢٣٦/٣ وابن الوردي : تاريخه ٢٢٨/٢ ، المقريزي : السلوك ، ج ١/ ق٢٥٧/١ .

(٢) ابن ايبك : كنز الدرر ٣٢٤/٧ والمقريزي : السلوك ، ج ١/ ق٢٥٧/١ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٧٠٢/٨ وابن ايبك : كنز الدرر ٣٢٥/٧ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥١/٥ وابو الفدا : المختصر ١٦٠/٣ .

(٥) ابن ايبك : كنز الدرر ٣٢٥/٧ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ٢٣٦/٣ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥١/٥ وابو الفدا : المختصر ١٦٠/٣ .

الى درجة عالية من الاستعداد والقوة بتحطيم كل ما يحول دون تقدمه الى دمشق ، وفي الوقت نفسه تقدم السلطان غياث الدين كيخسرو نجدة للملك الصالح مما أعان على ثلثيه ، وبرهن عليه استعداده التام لارسال المزيد من العساكر الا أن الملك الصالح اكتفى بذلك .[1]

ولم يحرز الملك الصالح اي نصر على الرغم من استمالته لعدة أطراف وفقط وجد انتفاء جدوى المقاومة ، طلب الصلح مع الملك الكامل ، فتم الصلح على يد ابن الجوزي[2] رسول الخليفة المستنصر بالله العباسي[3] على أساس تسليم دمشق للملك الكامل وإعطاء الملك الصالح بعلبك ، وبصرى والبقاع وأرض السواد .[4]

ودخل الملك الكامل دمشق في التاسع عشر من جمادي الآخر سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٢ م[5] وقام بتصفية الأوضاع والقضاء على البقية الباقية من الحلف المعادية ، ثم اتجه الى حمص لانتزاعها من الملك المجاهد أسد الدين شيركوه

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٢٣٦/٣ .

(٢) ابن الجوزي : يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابو المظفر محي الدين البكري البغدادي ، ولد سنة ٥٨٠ هـ ، اشتغل في الديوان ، وأرسله الخليفة العباسي رسولا الى ملوك الشام ومصر والجزيرة والموصل . وكان الخليفة المستنصر بالله قد أرسله سنة ٦٣٤ هـ لاقرار السلام بين الملوك الأيوبيين وسلطان الروم ، الا أن المنية عجلت بوفاة الملوك (المعز ، الأشرف والكامل) فضلا عن علاء الدين سلطان الروم ، ينظر : اليونيني ، موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ، ط ١ ، (الهند : ١٩٥٤) م ٢٣٢/١ـ ٢٣٣ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٢/٥ والحنبلي : شفاء القلوب ٣١٨ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٧١٢/٨ وابن خلكان : وفيات الأعيان ٨٢/٥ ، الشعابي ، محمد راحد : الدرر الحسان في تواريخ حوادث الأزمان (مصر : ١٩٠٠) ٤١٢/١ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٨٢/٥ وابن واصل : مفرج الكروب ١٥٢/٥ ، ابن الوردي : تاريخه ٢٢٨/٢ .

بساعده في ذلك الملك الظافر ، فخاف الملك المجاهد وطلب الصلح ، الا أن الملك الكامل رفض الطلب ، وجاءت وفاة الملك الكامل سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٨ م لتنقذ الملك المجاهد من قبضته .[١]

جـ - علاقة الملك الكامل مع اليمن :

تطلع الأيوبيون الى مد سلطانهم الى خارج مصر وذلك من أجل حماية دولتهم من طريق تولي الشق الشرقي بالأمن لها ، فتطلعت أنظارهم الى اليمن لتأمين تجارة البحر الأحمر .

وتحدث المصادر بأن السلطان صلاح الدين تمكن من فتح اليمن واخضاعها لحكمه سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م بعد ارساله حملة عسكرية بقيادة أخيه الأمير توران شاه بن أيوب[٢] . ان المتتبع لسير الحملة يلحظ ان المحطة الاولى لقوات توران شاه كانت مكة ، فقد وصلها [٣] ولقي ترحيبا من أميرها ، فزار الكعبة وخلع على أميرها وأقره على منصبه [٤] ، وتابع تقدمه نحو اليمن بعد ان سلك طريقي البر والبحر تدخلها دون مقاومة .[٥]

وكان أول من أصطدمه من أهل زبيد ، الأمير عاشم بن غانم السليماني وجموع كثيرة من أشرافها [٦] وشكا اليه السليماني ، عبد النبي بن مهدي الذي قتل أخاه ، لذلك قرر توران شاه تصفية الأوضاع في اليمن واعادة ترتيبها ، بتوجيه تحركه الى زبيد ولتحقيق هدفه استعد سنة ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م وتوجه نحو زبيد التي يتحصن فيها صاحب اليمن عبد النبي بن مهدي [٧] ففتحها عنوة والقى القبض

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٥٢ - ١٥٣ ، والمقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/٢٥٧ .

(٢) ابو شامة : الروضتين ١/٢١٦ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ١١/٣٩٦ - ٣٩٧ ، وابو شامة : الروضتين ١/٢١٧ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ١١/٣٩٦ - ٣٩٧ .
(٥) ابو شامة : الروضتين ١/٢١٧ .
(٦) ابو شامة : الروضتين ١/٢١٧ .
(٧) ابو شامة : الروضتين ١/٢١٧ .

علي عبدالنبي بن مهدي [١] ، وقد واصل توران شاه اكمال فتح اليمن ، بتوجيه حملة عسكرية الى عدن والتي كان يحكمها بقية آل زريع ، وما ان سمع صاحبها حتى أسرع للقائه ودارت بينهما معركة انهزم فيها عسكر عدن التي دخلها العسكر الايوبي فكانت ثاني مدينة اسقطها الايوبيون بعد زبيد [٢] وتوجه توران شاه في محرم سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م الى صنعاء وضمها الى ملكه ، وبهذا تمكن من تصفية المعارضة . [٣]

وتمكن الملك توران شاه ، من كسب ود أهل اليمن باتباعه سياسة طيبة أدت أخيرا الى استقرار الاوضاع السياسية فيها [٤] ثم غادر البلاد سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٦ م تاركا نوابه فيها [٥] ، ولما توفي سنة ٥٧٤ هـ/ ١١٧٩ م ، ظهرت الفتن والخلافات بين نوابه [٦] ، فخاف السلطان صلاح الدين ان تخرج اليمن من حكم الايوبيين فأرسل سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م الملك سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين ليعيد الاستقرار فيها [٧].

تولى المعز اسماعيل طغتكين الحكم ، بعد والده الملك سيف الاسلام في ٣ شوال ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م . [٨]

ومن المفيد ان نشير هنا الى ان صفات الملك الجديد بما فيها عقله تحسو اللهو ، انعكست على الاوضاع السياسية ، ومما زاد الامر صعوبة : نشوءه وسعدم

---

(١) ابن الاثير : الكامل ١١/ ٣٩٧.
(٢) ابن الاثير : الكامل ١١/ ٣٩٧ وابن خلدون : تاريخه ٥/ ٢٨٧ .

(٣) الشريفي ، محمود ياسين : قيام الحكم الايوبي في اليمن ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد الثالث والثلاثين (١٩٨٢) ٢٠٢ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ٣١٨ وابن واصل : مفرج الكروب ١/ ٢٤٣ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٢/ ١٠٢ - ١٠٣ .

(٦) الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : محمد بسيوني عسل (مصر : ١٩١١) ١/ ٢٩ .

(٧) ابن الاثير : الكامل ١١/ ٤٨٠ وابن واصل : مفرج الكروب ٢/ ١٠٥ .

(٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩ وابو الفدا : المختصر ٣/ ٩٣ ، العبدلي ، احمد فضل بن علي محسن : هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن ، ط ٢ ، (بيروت : ١٩٨٠) ٧٥ .

تقديره للشؤون السياسية بادعائه انه قرشي ودعا الى الخطبة بالخلافة لنفسه [١] .

ان حاكما بهذه الصفات ، لايمكن ان يسيّر امور البلاد بصورة صحيحة ، فانتشر الاضطراب وعمّت الفوضى في ارجاء البلاد وانتهى عهده بالقتل سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م في اطراف زبيد [٢] وبعد مقتله اعتلى عرش اليمن أخوه الناصر بن طغتكين ، وكان صغيرا [٣] فقام اتابكا عليه سيف الدين سنقر [٤] الذي أعاد الخطبة للخلافة العباسية ، وبفضله عاشت اليمن في هدوء واستقرار نسبي ، ولكن سرعان ما تدهورت أوضاع اليمن بوفاة الاتابك سنقر سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م واستقلال الناصر بن طغتكين ، فما لبث ان توفي سنة ٦١١ هـ/١٢١٤م ، بعد ان سمّم بيد ، زوجه غازي بن جبريل [٥] ، وأصبحت اليمن خالية من ملك يحكمها ، وفي هذه الفترة وصل سليمان بن تقي الملك بالصوفي حاجا ، فطلبت ام الناصر سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م ان يقوم بالحكم ، فوافق على ذلك فكان حكمه ضعيفا ، واشتغل باللهو فازدادت المشاكل الداخلية ، وكثرت الفتن والاضطرابات وانعدم الاستقرار في البلاد [٦] . وسمع الملك العادل بما جرى في اليمن من الفوضى والاضطرابات ، فأرسل الملك المسعود بن الكامل الملقب بأقسيس الى اليمن في جيش كثيف وأموال كثيرة [٧] وكتب الى الامير شمس الدين علي بن رسول بالسـ

---

(١) ابن الديبع ، ابو الضيا عبدالرحمن بن علي الشيباني : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي (القاهرة: ١٩٧١) ٤٠٢ ــ ٤٠٣ وبغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق : عبدالله الحبشي (صنعاء : ١٩٧٩) ٧٦ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٢٩/١ .
(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٢٩/١ وابن الديبع : قرة العيون ٤٠٥ .
(٤) ابن الديبع : قرة العيون ٤٠٤ ــ ٤٠٥ وبغية المستفيد ٧٦ .
(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٢٩/١ وابن الديبع : بغية المستفيد ٧٧ .
(٦) ابن الديبع : قرة العيون ٤١١ وبغية المستفيد ٧٨ .

(٧) اليماني ، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق : مصطفى حجازي ، تقديم : ابراهيم الحضراني (اليمن : ١٩٦٥) ٥٨ ، وابن الديبع : بغية المستفيد ٧٨ ، محمود حسن سلطان : تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي ، ط ١، (العراق : ١٩٦٩) ٢٥٣ .
باوزير ، سعيد عوض : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ط٢ (عدن : ١٩٦٦) ١٩٧ .

سائر الأمراء المصريين باليمن يأمرهم بحسن صحبته والقيام على خدمته [١] وقد وصل الملك المسعود مكة سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م وحج فيها [٢] ثم اتجه إلى زبيد ودخلها سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م ، ونزل الدار السلطانية [٣] وبعد أن استقر الملك في زبيد أرسل إلى سليمان بن تقي ، وكان يومئذ في حصن تعز يخاطبه بالصلح على أن تكون الجبال لسليمان والتهائم للمسعود [٤] فلما سمع الأمير نور الدين عمر بن رسول مقالة الملك المسعود ، حثه ذلك على النزول إلى تعز ، فاستجاب الملك المسعود وحاصر حصن تعز ، إلا أنه لقي مجابهة من قبل عسكر الحصن فعزم عليه بدر الدين مرة أخرى بأن يكتب إلى العسكر في حصن تعز يطلب منهم مساعدته ، فاستجابوا وقبضوا على سليمان بن تقي الدين وأرسل إلى مصر [٥] وبهذا النصر حظي بدر الدين وأخوته بمكانة كبيرة عند الملك المسعود [٦] وبعد أن تمكن من بسط سيطرته على سائر اليمن ، عين فيها نوابه ، فولى الأمير بدر الدين صعدة ، وجعلها إقطاعا له ، والأمير نور الدين الحصون الوصابية ، ثم ولاه مكة سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م [٧] . وقرر الملك المسعود سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م الاتجاه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ولكنه في موسم عرفة قام بتقديم أعلام أبيه الملك الكامل على أعلام الخليفة العباسي ، فكان لهذا العمل أثر كبير أغضب الخليفة العباسي الناصر لدين الله [٨] وفي الوقت نفسه دخل راجح بن قتادة مع جمع كبير يحاول الاستيلاء على مكة إلا أن

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/٣٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/٨٢ والبطاني : تاريخ اليمن ٨٢ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/٣١ وابن الديبع : بغية المستفيد ٧٨ ، العرشي ـ حسين بن احمد : بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام (القاهرة : ١٩٣٩) ٤٢ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/٣١ وابن الديبع : قرة العيون ١/٤١٣ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/٣١ وابن الديبع : قرة العيون ١/٤١٣ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/٣١ وابن الديبع : قرة العيون ١/٤١٣ .

(٧) للمزيد ، ينظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/١٣٣ .

(٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٦٢٤ وأبو الفدا : المختصر ٣/١٣١ ـ ١٣٢ .

العسكر الكاملي بقيادة الملك المسعود تمكن من ابعاده عنها دون قتال [١] ولم تضعف الأحداث التي مرّت بالملك المسعود علاقته مع والده الملك الكامل وانما كانت زياراته لمصر مستمرة وذات طابع ايجابي ، ومما يدل على حسن هذه العلاقة ، دفع الملك الكامل نفسه بالحروب الى اليمن دون اية منطقة أخرى خاضعة للتبعية السياسية الأيوبية وذلك عندما حاول ابن الشطوب خلعه عن الحكم [٢] ، فقد اتجه الملك المسعود في نصف شهر رمضان سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م من زبيد لزيارة أبيه حاملاً معه عددا كبيرا من الهدايا والتحف الثمينة [٣]. وقد عيّن الملك المسعود الأمير نور الدين عمر بن رسول نائبا عنه في زبيد وأخاه بدر الدين في صنعاء [٤]. ومكث في مصر فترة طويلة ، واستطاع بهيبته وسطوته ان يقيم حرمة وابهة لأبيه ، فخافه جميع الأمراء والأجناد . [٥]

ولو رجعنا الى اليمن لوجدنا ان الفوضى والاضطرابات قد عمّت ارجاءها في غياب الملك المسعود وهذا يدلنا على ان السلطان صلاح الدين في تقديره الدقيق لأوضاعها كان على علم ودراية بأنها لا يمكن ان تدار الا بملوك أقوياء كما أشرنا سابقا .

---

(١) الحوادث الجامعة ٤٢ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/٢٤٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ١/٤٦ ، وللمزيد ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ٤/١٢١ - ١٢٥ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٦٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤/١٢ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/١٦٦ .

(٣) الحمري : التاريخ العصري ٢٩٥ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/٢٥٢ ، اليماني : تاريخ اليمن ٨٤ . يذكر سبط ابن الجوزي : كان من الهدايا التي أخذها المسعود ومعه الى مصر فيلة وبخت خاد وبخور مسك ، ينظر : مرآة الزمان ٨/٦٣٢ . كما ذكر ابن اياس : ان أهل اليمن أهدت الملك الكامل شمعدانا من نحاس ، ينظر : محمد بن احمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، المعروف باسم تاريخ ابن اياس ، ط ١ (مصر : ١٣١١) ١/٨١ .

(٤) اليماني : تاريخ اليمن ٨٤ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/٣٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ٤١٦ .

(٥) للمزيد ينظر : ابن الفرات : تاريخه م ٥ / ج ١/٢٢٨ .

ومن أهم الاضطرابات والمشاكل قيام مرغم الصوفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م في زبيد وجبل بني مسلم بادعائه انه امام الحق ، فانضم اليه غوغاء الناس ، الا ان حركته انتهت بالفشل [1] .

واستمرت الاضطرابات والقلق في اليمن بحدوث نزاع آخر سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م بين نواب الملك المسعود والمقربين له في اليمن وعلى رأسهم الأمير نور الدين عمر بن رسول وبين المعارضين للحكم الايوبي فيها [2] ، فعندما سمع الملك المسعود بهذه المشاكل خاف على اليمن من بني رسول لما فيهم من الشجاعة والاقدام فرجع اليها سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وقبض على أخوة نور الدين وأرسلهم الى مصر ، وأبقى على نور الدين الملقب بالمنصور لعلاقته الحسنة وجعله نائبا على اليمن [3] ، ومما يؤكد أنه جعل الأمير نور الدين نائبا عنه الرسالة التي ارسلها اليه سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م وعندما قرر السفر الى بلاد الشام ، وقد قال فيها " قد عزمت على السفر فأنت أولى بملك اليمن من اخوتي لأنه خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وان عشت فأنت على حالك واياك ان تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ... فقال له نور الدين أخشى من اخوتي ان يعارضوني ، فقال له الملك المسعود أنا أكفيك أمرهم فقيد هم حينئذ ... " [4] .

يتضح لنا من هذا العهد ان الملك المسعود قد وضع ثقته المطلقة بالأمير نور الدين عمر الى حد تفضيله على اخوته ، وكما صرّح له بانتقال الحكم اليه اذا قدّر له ان يموت [5] .

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٢٤/١ ، ابن الديبع : قرة العيون ٤١٦/١ـ ٤١٧ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٢٥/١ ، ابن الديبع : قرة العيون ٤١٨/١ ، ابن المـ[illegible]ـو ، محمد بن محمد مصير : الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد ، مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (١٢١٤) ورقة ٤ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ١/ق ٢٢٧/١ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٢٩/١ ، ابن الديبع : قرة العيون ٤٢١ ، ابن الحسين ، يحيى بن القاسم بن علي : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور ، راجعه : محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٦٨) ٤١٧ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٤٠/١ ـ ٤١ ، ابن الديبع: بغية المستفيد ٧٩ .

(٥) ابراهيم محمد كريم: عدن دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية (البصرة ١٩٨٥) .

وفقد ا استعد الملك المسعود لمغادرة اليمن تجهز بجهاز عظيم ، وسافر في موكب ضخم من زبيد قاصدا مصر ، فعندما وصل مكة اشتد عليه المرض ، وتوفي فيها سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م [١] ، وبوفاته انتهى الحكم الأيوبي في اليمن ، الذي دام سبعا وخمسين سنة وأسس الأمير نور الدين عمر بن رسول في أعقابه دولة جديدة عرفت بالدولة الرسولية [٢] ولما سمع الأمير نور الدين بوفاة الملك المسعود ، قام بأمر اليمن وأظهر بأنه نائب الملك المسعود وأبقى الخطبة والسكة له [٣] وأرسل الى الملك الكامل عدة هدايا وقال له : " أنا نائب الملك المعود " [٤] واتبع سياسة جديدة وذلك بعزل بعض الولاة الذين لم يثق بهم وولى غيرهم " [٥] ، وتمكن سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م من السيطرة على اليمن وتصفية الأوضاع وخلع طاعة بني أيوب وأعلن استقلاله بأمر اليمن • [٦]

فقام سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م بإرسال ابن صدان مع الشريف راجح بن قتادة في أول جيش يجهزه الى الحجاز وحاصروا الأمير طغتكين [٧] الأيوبي الذي كان قد أجزل العطاء لأهل مكة وطلب منهم مساعدته فاستجابوا له الآن راجح بن قتادة وأسلمهم وذكرهم باحسان السلطان نور الدين اليهم في ولايته سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م فطلبوا اليه فتركها الأمير الأيوبي الذي خاف وهرب الى ينبع [٨] ، وأرسل من هناك الى الملك الكامل يخبره بقدوم عسكر اليمن اليه ، فجهز الملك

---

(١) اليماني : تاريخ اليمن ٨٥ ، الذهبي : دول الاسلام ٢ / ١٣٣ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤١٨ •

(٢) اليماني : تاريخ اليمن ٨٥ •

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١ / ٤٦ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤١٨ •

(٤) المقريزي : السلوك ج ١ ق١ / ٢٣٢ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ٨١ •

(٥) المقريزي : العقود اللؤلؤية ١ / ٤٦ •

(٦) للمزيد ، ينظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١ / ٤٦ ـ ٤٩ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤٢٠ •

(٧) الأمير طغتكين : وهو الأمير الأيوبي ، الذي ارسله الملك الكامل واليا على مكة ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م ، ابن أيبك : كنز الدرر ١ / ٣٠١ •

(٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١ / ٥٠ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤٢٠ •

الكامل عسكرا كثيفا وقدم عليه الأمير فخر الدين ، وفي الوقت نفسه أرسل الى الشريف صاحب المدينة المنورة يطلب منه المسير معه الى مكة . فلما وصلوا مكة حاصروا بن عبدان ، والشريف راجح بن قتادة وقتل عدد كبير من اتباعهما وأظهر الأمير طغتكين حقده بنهب مكة ثلاثة أيام فغضب عليه الملك الكامل وعزله [1] وأرسل أميرا غيره يقال له : ابن محلي ، فدخل مكة سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م [2] .

وبقي السلطان نور الدين مستقلا بالسلطة باليمن استقلالا فعليا ، فقد أمر سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م بضرب السكة باسمه وأمر الخطباء ان يخطبوا له [3] ، واستمرت محاولات نور الدين للقضاء على النفوذ الأيوبي في مكة ، وتم له ذلك بارساله عسكرا جرارا الى راجح بن قتادة سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣ م تمكن به من القضاء على العسكر الأيوبي [4] .

ثم استمرت الحرب سجالا في مكة بينه وبين الأيوبيين ، فقد وصل ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م عسكر من مصر قدره خمسمائة فارس [5] التقى مع عسكر اليمن بقيادة شهاب الدين بن عبدان سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م في موضع يسمى بالخريقين ، وانهزم عسكر نور الدين وأسر شهاب الدين وأرسل الى مصر [6] .

ونتيجة لما حصل في مكة من اضطرابات وحروب ، قرر الملك الكامل سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م المسير اليها في الف فارس ، وأطلق مكافأة قدرها الف دينار وكسوة لكل جندي يصل من المقيمين في مكة ، فاستجاب له عدد كبير من الجند ، فاتفق راجح بن قتادة مع السلطان نور الدين على مواجهة الملك

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤٢٠ .
(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠ ، المقريزي : السلوك ج ١/ق ١/ ٢٤٥ .
(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٥١ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤٢١ .
(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٥٤ ، ابن الحسين : غاية الأماني ٤٢١ .
(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٥٥ .
(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١/ ٥٥ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/ ٣١٢ ، المقريزي : السلوك ج ١/ ق١/ ٢٥٠ و ٢٥٣ .

الكامل فالتقيا على طريق الساحل [1] وعلم الامير جبرائيل المصرى وعسكره بقدوم السلطان نور الدين وكان واليا للأيوبيين في مكة فأحرق ماكان عنده من الاثقال واتجه الى مصر [2] فدخل نور الدين مكة سنة ٦٢٥ هـ/١٢٢٧م [3].

وبعد ما وصل عسكر جبرائيل المصرى وهو في طريقه من مصر الى المدينة المنورة بلغهم خبر وفاة الملك الكامل فقدم بعضهم لعدم ملجأهم الى السلطان نور الدين [4] واستمرت الحروب بين السلطان نور الدين والعسكر المصرى في حياة الملك الصالح الأيوبي الى ان هرب آخر جندي مصرى سنة ٦٣٨ هـ/١٢٤٠م بعد أن أحرقوا دار الامارة وما فيها من الخزائن [5].

ومما سبق ذكره ، يتضح لنا ان العلاقة كانت طيبة بين الحكم الأيوبي في مصر والشام وبين نوابه على اليمن ، الا انها لم تستمر ، فقد اصبحت ذات طابع عدائي قائم على أساس الأطماع الشخصية والرغبة في الاستقلال بالسلطة ، وأضاف عيها كبيرا على سياسة الملك الكامل الأيوبي الذى كان مشغولا في تلك الفترة مع القوى الموجودة في بلاد الشام والجزيرة وذلك بارساله بين فترة وأخرى عساكر لاعادة النفوذ الأيوبي في اليمن ، كما انها تبين لنا عمق اخلاص الملوك الأيوبيين الذين حكموا اليمن لدولتهم ، وذلك بعدم قيامهم بأية محاولة استقلالية عن الدولة الأيوبية ، بل استمروا في تبعيتهم لها ولملوكها .

وعاشت اليمن حالة صراع بين حكامها والنواب الذين أرادوا التوسع والحصول على الأموال الطائلة ، ووصل الحد بهم الى قتل الملك الناصر أيوب أحد الملوك الأيوبيين من قبل وزيره غازى بن جبريل والسيطرة على البلاد . وتولى الحكم بعض الصغار السن ، فكانوا ضعافا مما أدى الى تدهور احوال البلاد الداخلية وعدم قدرة الدولة على اصلاح احوالها والعيش بسلام [6].

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٦١/١ .
(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٦١/١ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ٨١ .
(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ٨١ ، ابن الحسين : غاية الاماني ٤٢٣ .
(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٦٢ .
(٥) ابن الحسين : غاية الاماني ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .
(٦) كريم : عدن ٢٥٠ .

ثانيا : علاقة الملك الكامل مع الخلافة العباسية :

استمرت علاقة الملك الكامل بالخلافة العباسية على غرار ماكانت عليه سابقا من احترام الخليفة العباسي وتقديم الولاء له .

ومن الملاحظ ان الخلافة العباسية كانت في تلك الفترة قد خرجت من تجربة قاسية حددت من امكانياتها المالية والعسكرية ، فقد أصيب العراق بتخلف سياسي بسبب السيطرة البويهية والسلجوقية التي استمرت حوالي ثلاث قرون ، فقدت الدولة خلالها سيطرتها على دويلات الأطراف ، والدليل على ما أوردناه ان تحرك الخلافة كان في بعض الأحيان بالقدر والكيفية التي تسمح به ظروفها لأن أي تحرك يحتاج الى المال ، والمال غير متوفر ، مع هذا فان الخلافة كانت تقدم دعما معنويا يسهم بشكل ما في مساعدة المسلمين الذين كانوا لا يجدون امامهم شيئا يتمسكون به غير الخليفة العباسي لحل بعض مشاكلهم .

يتضح موقف الخلافة العباسية من الغزو الافرنجي (الصليبي) من خلال سياسة الخليفة العباسي الناصر لدين الله المساندة للملك الكامل ، فعندما استولى الافرنج على دمياط سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ارسل الملك الكامل صدر الدين[١] بن شيخ الشيوخ الى الخليفة الناصر لدين الله يستنجد بجيشه على الافرنج الا ان الرسول توفي بالموصل وهو في طريقه الى بغداد[٢] . واتفق ان سمع الخليفة بما فعله الافرنج في دمياط ، فقام سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م بارسال الرسل الى ملوك الأطراف يطلب منهم الاسراع لنجدة الملك الكامل .[٣]

---

(١) صدر الدين : ابو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ بن عماد الدين بن حمويه ، وكان فقيها فاضلا ، حظي بمكانة كبيرة عند ملوك بني أيوب وقد أرسل في مهمات كبيرة الى مختلف دول العالم الاسلامي ، توفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ٩٣ .

(٢) الذهبي : العبر ٥ / ٧٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ٩٣ .

(٣) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٨٠ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦ / ٢٢٢ .

وللظروف السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها الخلافة العباسية آنذاك الخليفة الناصر لدين الله بارسال بعض عناصر الفتوة لاجراء مراسيم الفتوة ورمي[1] البندق ٠[2]

اما موقف أهل بغداد ، فقد بقي مساندا لاخوانهم في مصر ، فما كادت أخبار انتصار الملك على الافرنج تصل بغداد حتى أخذ شعراؤها ينشدون قصائد المهنئة بهذا النصر الميمون[3] وأنشد الشاعر العراقي راجح الحلي[4] قصيدة هنأ بها الملك الكامل في الحفل الذي أقامه في المنصورة ٠[5]

وقد عبرت هذه القصيدة عن أجمل صورة تجلّت فيها الوحدة الاسلامية أبان الحروب التي خاضها المسلمون مع الافرنج ، فقد بيّن الشاعر فيها ان هذا النصر الجليل كان لجميع المسلمين مهما اختلفت ديارهم باستعمال ضمير المتكلمين في

---

(١) البندق : آلة تتألف من قوس يلف عليها الحرير ، ويوجد وسطها قطعة مستديرة يوضع فيها البندق عند الرمي ، والبندق كرات صغيرة من الطين ترمي بهذا القوس ٠ الديوه جي ، سعيد : الفتوة في الاسلام (الموصل : ١٩٤٠) ٦٨ ٠

(٢) ينظر : الحموي : التاريخ المنصوري ٢٧٧ ٠

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ١٩٥/١ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٢١٥/٧ مؤلف مجهول : في ذكر الدولة الايوبية وغيرها ، مخطوطة في مكتبة : اوقاف الموصل برقم ١٧ / زيباري ، ورقة ٤ ٠

(٤) راجح الحلي : ابو القاسم راجح بن اسماعيل الحلي ، ولد سنة ٥٩٠ هـ كان مغرما بالشعر ، دخل دمشق والقاهرة ومدح ملوكها ، ابن شاكر الكتبي ، محمد بن احمد : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : احسان عباس (بيروت : ١٩٧٤) ٧/٢ ٠ ومما جاء في القصيدة قوله :

هنيئا فان السعد راح مخلدا ؛ وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حباها اله العرش فتحا بدا لنا ؛ مبينا وانعاما وعزا مؤيدا

ينظر : ديوانه ، تحقيق : اميرة محمود عبدالله ، مطبوعة على آلة الرونيو ، (الموصل : ١٩٨٧) ٨٠١ ٠

في قوله " حيا بنا ، ولبنا " [١] فضلاً عما قاله الشاعر ابو الفضل زهير محمد المعروف بالبهاء زهير في قصيدته لتهنئة الملك الكامل [٢] وكذلك ما قاله الصرصري [٣] ببغداد عندما جاءهم من مصر كتاب يبشر بنبأ انتصار المسلمين على الافرنج ، واسترجاع دمياط [٤] .

ولم تنحصر علاقة الخلافة العباسية بالملك الكامل فقط ، بل اخذت تشمل باقي الملوك الأيوبيين ، ففي سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م طلب جلال الدين الخوارزمي من حليفه الملك المعظم مساعدته في محاربة الخليفة العباسي فرفض قائلا : " أنا معك على كل أحد الا الخليفة فانه امام المسلمين " [٥] .

وقد استمرت علاقة الخلافة العباسية مع الملك الكامل طيبة ، فبعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله ، ارسل الخليفة الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م مع رسوله ابن الجوزي الخلع والتقليد بالسلطنة للكامل

---

(١) العبيدي ، عبد الكريم توفيق : الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد (بغداد : ١٩٧٦) ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) جاء في قصيدته ما يلي :

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر	وردت على اعقابها ملة الكفر
وما فرحت مصر بذا الفتح وحدها	لقد فرحت بغداد اكثر من مصر
فلو لم يقم بالله حق قيامه	لما سلمت دار السلام من الذعر

ديوانه ، (بيروت : ١٩٦٤) ١٢٢ .

(٣) الصرصري : يحيى بن يوسف ابو زكريا جمال الدين الضرير البغدادي من العلماء والأدباء والزهاد ، اهتم بالشعر ونظم عدة قصائد في مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتاز شعره بالجودة ، قتل على يد المغول ، وله من العمر ٦٨ سنة .
ينظر : اليونيني : ذيل مرآة الزمان م ٢٥٧/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢١١/١٣ ، ومما جاء في قصيدته قوله :

أتانا كتاب فيه نسخة صورة	ألذ معانيها لذي فطن جلد
يقول ابن ايوب المعظم حامدا	لرب السماء الواحد الفرد الصمد

(٤) ينظر : السيوطي : حسن المحاضرة ٢ / ٣٤ .
(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٦٣٤ .

وأخوته [١] فبدأ الرسول بزيارة الملك الأشرف بالشرق ثم الملك المعظم بدمشق [٢] ومعه رسالة من الخليفة الى المعظم يطلب منه الرجوع عن موالاته لجلال الدين الخوارزمي والصلح مع أخوته . [٣]

يتضح مما سبق ، ان الخليفة العباسي كان على علم بمجريات الأحداث في تلك المنطقة ، وكان يرغب في ان تكون العلاقة بين ابناء البيت الأيوبي جيدة لأنهم يحكمونه في مصر وبلاد الشام والجزيرة .

وقد اتجه الرسول بالخلع الى مصر ، فخرج الملك الكامل وأولاده الى ظاهر القاهرة لاستقباله ولبسوا خلع الخليفة [٤] ومنها طوق الذهب والمركوب السني [٥].

وكان الملك الكامل متمسكا بعرى الخلافة العباسية مؤيداً لها بل كان يجسد نفسه في مقام العبودية للخليفة الذى كان بالنسبة للمسلمين اكبر سلطة روحية في الدولة الاسلامية ، وان تأييد الخلافة للسلطان معناه اكتساب سلطته الصفة الشرعية فبغير هذه الصفة لا تعتبر سلطة شرعية ، وقد عبرت رسالة التعزية التي ارسلها الملك الكامل سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م الى الخليفة المستنصر بالله بوفاة الخليفة الظاهر بأمر الله بصحبة معين [٦] الدين عن ذلك التمسك المتين بالخلافة العباسية التي ذكرها بقوله : " عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات ،

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ١٧٥/٤ ، الذهبي : دول الاسلام ١٢٨/٢ ، العبد ، الكين جرجيس : اخبار الأيوبيين أ دمشق : ١٩٥٨) ١٣٥ ، ابن ابي عذيبة : مختصر التاريخ الكبير ، مخطوطة بوتنة ٣٧ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٩٧/٣ ، المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

(٣) للمزيد ، ينظر : ابو شامة : ذيل الروضتين ٣٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٦٢/٦ ــ ٢٦٣ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١٩٧/٣ ، المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٢٠ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١٧٦/٤ .

(٦) معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ ، أحد اولاد صدر الدين ، وكان من أعيان الدولة الأيوبية ، وقد شغل عدة مناصب ادارية فيها . المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٢١ ، الحاشية الأولى .

التي يستشفي بتقبيل ثراها ويشفي بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها ... (١)

وبعد مرور سنتين على تسلم الخليفة المستنصر بالله مقاليد الدولة ، أرسل سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م كتاب التقليد بالسلطنة للملك الكامل الذي عكس ما كانت عليه الأعراف السياسية آنذاك من صيغ مخاطبة الخليفة العباسي لملوك العالم الاسلامي . (٢)

ومما تجدر الاشارة اليه ان الخليفة العباسي كان السند القوي الذي يلتجيء اليه باقي الملوك الأيوبيين عندما تلم بهم الأخطار ، وقد أثبتت الأحداث ذلك الموقف الايجابي من الملك الكامل ، ومما يؤكد ذلك ان حالة الصراع بين الملوك الأيوبيين على السلطة قد تأزمت الى درجة جعلت الملك الناصر داود صاحب الكرك يلتجيء سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م الى الخليفة العباسي طالبا منه مساعدته بالوقوف بجانبه بوجه الملك الكامل .. فأمر الخليفة العباسي باكرامه وحسن استقباله ، والتمس الملك الناصر الحضور بين يديه أمام الجميع ، الا ان الخليفة رفض ذلك اكراما للملك الكامل . (٣)

فأنشأ الملك الناصر قصيدة بيّن فيها رغبته في مقابلة الخليفة وطلب العون منه اذا اتفق على مقابلته سرا حتى لا يؤثر ذلك على علاقته مع الملك الكامل . (٤)

---

(١) المقريزي : السلوك ج ١ / ق ١ / ٢٢١ .

(٢) لمعرفة مضمون كتاب التقليد ، ينظر : القلقشندي : مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبدالستار احمد فراج (بيروت : ١٩٨٠) ٣ / ٦٩ ، السيوطي : حسن المحاضرة ٢ / ٢٥ .

(٣) الحوادث الجامعة ٧٧ ، ابن الوردي : تاريخه ٢ / ٢٣٥ ، ابو الفدا : المختصر ٣ / ١٥٧ ، البغدادي : غاية المرام ٦٦١ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٥ / ١٠٢ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ١٢ / ١٢٢ .
ومما جاء في القصيدة الناصرية ، قوله :

ودان الهدى بالكتب ذوائبه	وجنح الدجى وحف تجول غياهبه
كما عاد بالمستنصر بن محمد	نظام المعالي حين قلّت كتائبه

ينظر : ديوانه ، تحقيق : الدكتور ناظم رشيد ، مطبوعا على آلة الرونيو (بغداد : ١٩٨١) ٤٠٢ .

لقد وصف الملك الناصر طريقة استقبال الخليفة له وما دار بينهما من حديث لاسيما في أساليب الشعر وعلوم أخرى [١] وبعد ذلك خلع عليه الخليفة، ولدى عودته بعث معه رسولا وعددا من خواصه لتصفية خلافه مع الملك الكامل [٢]، ولم يكن اللقاء الذي تم بين الخليفة والملك الناصر لغرض سياسي أو عسكري، وإنما كان لاحلال الوئام والصفاء بين الأيوبيين، وقد أسهم الخليفة أيضا في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م في اقرار الصلح بين الملك الكامل والملك الصالح اسماعيل بن أيوب، وذلك بارسال ابن الجوزي الذي أقر بحكم الملك الكامل دمشق [٣]، وفي اثناء ذلك تعرضت بغداد لهجوم المغول، فاستنجد الخليفة المستنصر بالملك الكامل وأرسل اليه مبلغا من المال لتجهيز العساكر، الا ان الملك الكامل أعاد الأموال الى الخليفة وانفق مائتي الف دينار من بيت المال، وأرسل ولدي الملك الأمجد صاحب بعلبك والسعيد شاهنشاه، والملك المظفر ومعهما الف فارس لمساعدة الخليفة في هذه المحنة • [٤]

ان ما فعله الملك الكامل على الرغم من صعوبة احوال الأيوبيين في مصر والشام كان استجابة لضرورة فرضتها الظروف الجديدة، فضلا عمّا يدل عليه هذا التصرف في حقيقته من استمرار العلاقة الطيبة بين بني أيوب من ناحية والخلافة العباسية من ناحية أخرى حتى آخر حلقة في تاريخ كلا الجانبين، لاسيما فيما يتعلق بتبادل المساعدات لمواجهة أكبر خطرين هددا المسلمين آنذاك، المغول والافرنج [٥]

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ١٠٢/٥ •

(٢) للمزيد عما تم بين الملك الناصر والخليفة العباسي، ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ١٠٧/٥ ـ ١٠٩ •

(٣) ابو الفدا : المختصر ١٦٠/٣ •

(٤) الحوادث الجامعة ١١١ ـ ١١٢ •
في حين ذكرت مصادر أخرى ان الملك الكامل جنّد عشرة آلاف جندي من مصر والشام وجعل الملك الناصر قائدا للقوة العسكرية التي بلغ مقدارها حوالي ثلاثة آلاف فارس، ينظر : المسعيد : أخبار الأيوبيين ١٤٣، المقريزي : السلوك، ج ١/ ق ٢٥٧/١ ـ ٢٥٨ •

(٥) عاشور : دراسات وبحوث في تاريخ العصور الوسطى (بيروت: ١٩٧٧) ٨١ •

ثالثا : علاقة الملك الكامل مع الدولة الخوارزمية [1] :

تعود علاقة الدولة الأيوبية مع الدولة الخوارزمية الى سنة ٦١٥ هـ / ١٢٢٨ م ، وذلك لوصول رسول خوارزم شاه الى الملك العادل وهو بمرج الصفر [2] .

ولم تذكر المصادر التاريخية الغاية التي قدم من أجلها الرسول ، ومن المرجح أن تكون لاقامة علاقة ودية بين الجانبين [3] ومما يؤكد ذلك قيام الملك العادل بارسال رسولين الى خوارزم شاه وصلا همذان ولم يلتقيا به بسبب اشغاله بمجابهة المغول ، وفي اثناء ذلك توفي الملك العادل ، فعاد الرسولان دون أن يلتقيا بخوارزم شاه [4] ، وبعد ايفاد هذه السفارة ساد العلاقة الجمود وذلك لانشغال الطرفين في مواجهة المشاكل التي اعترضتهما ، فقد انشغلت الدولة الخوارزمية بصد الغزو المغولي ، في حين كان بنو ايوب في صراع دائم فيما بينهم على السلطة . [5]

وظهرت القضية الخوارزمية مرة أخرى على مسرح الأحداث السياسية سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، من خلال بحث الملك المعظم عن حلف يساعده على أخويه الملكين الكامل والأشرف [6] ، فشرع سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م بارسال الصدر البكري محتسب دمشق ومعه جماعة من الصوفية الى جلال الدين الخوارزمي ، بحجة استقدام بعض الطيور المسمى " السمرمر " الذي يأكل الجراد ، وذلك لمكافحة

---

(1) الخوارزمية : احدى الدولات الاسلامية التي سكنت اقليم خوارزم شاه ، كونت لها سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م دولة مستقلة عن السلاجقة مستغلين ضعفهم بتوسيع دولتهم التي ضمت بخارى والري واصفهان وخراسان ، ينظر : زامباور : تاريخ الدول الاسلامية ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٥ .

(2) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٥٩٣ ، ابو شامة : ذيل الروضتين ١٠٩ .

(3) العبود ، نافع توفيق : الدولة الخوارزمية (بغداد : ١٩٧٨) ١٥٢ .

(4) ابو شامة : ذيل الروضتين ١١٠ .

(5) الكبيتي : الأيوبيون ٢٨٨ .

(6) حسين ، محسن محمد : اربل في العهد الاتابكي (بغداد : ١٩٧٦) ٧١ .

الجراد الذى انتشر في بلاد الشام ، وكان قصده سياسيا للوصول الى اتفاق او لقاء مع جلال الدين الخوارزمي [١] .

وتكشف لنا المصادر التاريخية ان علاقة الملك المعظم بالسلطان جلال الدين اصبحت علنية ، وذلك بارسال المعظم سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م رسولا يقال له الطبق برسالة يعرض فيها على جلال الدين اتفاق معه على الملك الاشرف فوافق على ذلك [٢] ، ولتوثيق اواصر العلاقة بشكل أقوى عزم الملك المعظم على تزويج ابنته الكبرى من جلال الدين الخوارزمي [٣] .

وأثار هذا التحالف مخاوف أخيه الملك الاشرف سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م الى الملك المعظم واصطلحا على أساس مغادرة السلطان جلال الدين خلاط ، فاستجاب لذلك ورحل بعد حصار دام اربعين يوما [٤] .

كان الملك الاشرف على يقين بأن السلطان جلال الدين عازم على تجديد هجومه على خلاط فاتفق مع الملك الكامل وبقية الملوك الايوبيين وسلطان سلاجقة الروم على محاربته فساروا الى خلاط ، والتقى الطرفان قرب أرزنجان [٥] وتم هزيمة جيش السلطان جلال الدين الذى هرب الى أذربيجان [٦] ثم ارسل الملك الاشرف رسالة اليه يطلب منه الصلح على ان يحتفظ كل منهم بما حوزته [٧] بعد جاء في

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ / ٦٢٣ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ / ٦٢٣ ، ابو شامة : ذيل الروضتين ١٤٢ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ / ٦٦٩ .

(٤) ابو شامة : ذيل الروضتين ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٥) ارزنجان : بلدة مشهورة تقع في أرمينيا بين خلاط وبلاد الروم ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ١ / ١٥٠ .

(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ / ٦٦٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٦ / ٢٧٣ .

(٧) للمزيد عن اجراءات الصلح ، ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٢٩٧ ـ ٣٠١ .

هذه الرسالة ما يأتي : " ان سلطانك سلطان الاسلام والمسلمين وسد هم بالحجاب ودونهم دين التتار وسدهم ، وليس خافٍ عليك ما تم على حوزة الاسلام وبيضة الدين ... ونحن نعلم ان ضعفه ضعف الاسلام ، وضرورة عائد الى كافة الانام ... فهلاّ نرغب الى جمع الكلمة لنا هو أهدى سبيلا بالموافقة ولم لا ندعو الى الالفة التي هي أحمد في البدء والعاقبة ... وما أمنا من السلطان من جهة علاء الدين كيقباذ وأخي الملك الكامل ما يرضيه من الانجاد والاسعاد والمواليات على حالتي بالقرب والبعاد والقيام بما يزيل عارض الوحشة ويمحو شمس الفرقة " .[1]

وما أن تم الصلح بين الجانبين يرجع السلطان جلال الدين الى خلاط حتى دهم الخطر المغولي اران واتجه الى تبريز ، فخاف جلال الدين وطلب المساعدة من الحكام المسلمين الذين لم يستجيبوا لندائه فبقي وحيدا حتى قتل سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م[2] .

بمقتل السلطان جلال الدين الخوارزمي سقطت الدولة الخوارزمية وانزاح المانع الذي كان بين المغول والعراق والجزيرة وبلاد الشام[3] . وعرض بقية جيش جلال الدين خدماته على مختلف حكام المسلمين ، فدخل قسم منها في خدمة الخليفة المستنصر بالله العباسي[4] واتجه القسم الآخر الى آسيا الصغرى لخدمة سلطان الروم علاء الدين كيقباذ ، وعند استلام كيخسرو بن كيقباذ السلطة اساء اليهم فعبروا نهر الفرات واتجهوا الى حرّان والرها ، وتصيبين وأقاموا فيها[5] .

وقد استغل الملك الصالح نجم الدين ايوب وجودهم في هذه المنطقة فاستأذن والده سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦ م باستخدامهم ، فأذن له فأقطع لهم مناطق في الشرق[6] ، ولكنهم بعد ذلك تنكروا له وعزموا القبض عليه فهرب الى

---

(١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ٢٢٣ - ٢٢٤ .
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٦٦٩ .
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦/ ٢٢٧ .
(٤) الحميري : التاريخ المنصوري ٤٦٠ .
(٥) ابن العبري : تاريخه ٢/ ٢٢٧ .
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٣٥ ، المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٢٥ .

سنجار فنهبوا خزائنه [١] ، واستغل صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فاحصل للملك الصالح فاتجه الى سنجار وحاصرها ، وفي نفس الوقت قرر كيخسرو الاستيلاء على سميساط وآمد ، وعندئذ شعر الملك الصالح بأن الخطر يحدق به فأرسل الى الخوارزميين قاضي سنجار بدر الدين يوسف الزرزاري سرا وشرط لهم ما أرادوه وبذلك تخلص من الخطر الذي كان يتهدده [٢] وتقديرا للجهود التي قدموها له ، كافأهم باقطاعهم حران ، والرها ، ومناطق أخرى من الشرق ليستقروا بها [٣] ، ولم تقتنع البقية الخوارزمية بذلك ، واستمرت في توجيه الهجمات الى بلاد الشام والجزيرة حتى بعد وفاة الملك الكامل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م [٤] .

---

(١) الذهبي : العبر ٥/١٤١ ، وكان سبب تغيرهم على الملك الصالح ، هو ان الملك الصالح كان قد اتجه مع الخوارزميين الى الرحبة لحصارها ، وعندما سمع الخوارزميون بوفاة الملك الكامل حصل تخاذل في صفوفهم وانسحبوا عن حصار الرحبة وبقي الملك الصالح وحده .
للمزيد ، ينظر : المقريزي : السلوك ج ١/ ق١/ ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ١/ق١/ ٢٧٠ – ٢٧١ ، ابن خلدون : تاريخه ٥/٣٥٥ .

(٣) المقريزي : السلوك ج ١/ ق١/ ٢٧١ .

(٤) للمزيد من المعلومات عن نقله الخوارزميين ، ينظر : العبود : الدولة الخوارزمية ١٧٠ – ١٨٠ .

رابعا : علاقة الملك الكامل مع الأراتقة :

استمرت العلاقة بين الأيوبيين والأراتقة في عهد الملك الكامل على ما كانت عليه سابقا • وذلك ببقاء العلاقة الودية بين الأيوبيين وصاحبي آمد وكيفا ، اذ اكتسب ناصر الدين محمد قرا أرسلان صاحب آمد مكانة كبيرة لدى الأشرف بسبب الخدمات التي اسداها له [1] في حين استمرت امارة ماردين تناصب الأيوبيين العداء حتى انها اصبحت ملجأ لايواء الأمراء المناوئين للحكم الأيوبي والدليل على ذلك التجاء الأمير مبارز الدين الصلاحي اليها سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م [2] ، ومع هذا فقد لعبت المصالح الشخصية والمطامع الاقليمية دورا كبيرا في تغيير هذه السياسة لأن امارة ماردين قد وجدت الأجدى من سياستها العدائية للأيوبيين ، فبادرت سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م بمراسلة الملك المعظم ، فتم الصلح بينهما وتعزز بالمصاهرة التي جرت بين ناصر الدين الأرتقي صاحب ماردين بالملك المعظم [3] وخلال الفترة السابقة • كانت علاقة الأراتقة بالأيوبيين مقتصرة على الملكين المعظم والأشرف • اما بعد تسلم الملك الكامل سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٢٨ م البلاد الشرقية المتمثلة بحرّان ، والرقة ، وسروج ، ورأس العين [4] وتمكنه من فرض سيطرته على هذه المنطقة أصبح طرفا في هذه العلاقة ، وبذلك أعلن اصحابها ولاءهم له ، فقامت امارة ماردين بالخطبة له وضربت السكة باسمه [5] • وبهذا اتسع نفوذ الملك الكامل ، فقررسنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م وبعد ان استأذن الخليفة المستنصر بالله

---

(1) ابو شامة : ذيل الروضتين ١٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/ ٩٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٠ •

(2) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٦٢٧ ، ابو شامة : ذيل الروضتين ١٢٤ •

(3) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٦١٨ ـ ٦١٩ ، ابو شامة : ذيل الروضتين ١٢٨ •

(4) الذهبي : ذيل الاسلام ٢/ ١٣٣ ، اليافعي : مرآة الجنان ٤/ ٥١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦/ ٢٢٣ •

(5) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٨١ ، المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٣٦ •

العباسي الاتجاه الى آمد فانتزعها من الملك المسعود ركن الدين مودود الأرتقي [١] ، وقد تجمعت عدة عوامل ساعدت على تنفيذ هذا الاتفاق منها ان الملك المسعود كان ظالما سيء السمعة والصيت [٢] فضلا عن خروجه على طاعة بني ايوب بانتقاله الى جلال الدين الخوارزمي والخطبة له بالبلاد ، وكان قد أساء جوار الملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، كما أساء الى زوجة أبيه وهي ابنة الملك العادل [٣] ، ويضيف عماد الدين خليل سبب آخر هو رغبة الملك الكامل في توسيع نفوذه والعمل على توحيدها للصمود امام الغزو المغولي [٤] ولابد من الاشارة هنا الى ان آمد كانت في الأصل تابعة للأيوبيين وان صلاح الدين منحها للأراتقة سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ هدية منه لأمير حصن كيفا [٥] .

واجتاز الكامل والاشرف نهر الفرات ونزلا آمد سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م ، وضربا عليها الحصار ، ونصبا المجانيق [٦] ، فبعث الملك المسعود الأرتقي الى الملك الكامل يستعطفه ويبذل المال له ولأخيه الاشرف فرفض الاستجابة له [٧] .

وجد الملك الكامل في حصارها ومنع دخول الأقوات اليها حتى أضعفها [٨] ، وعندئذ شعر الملك المسعود الأرتقي ، بأن لا مناص له من تسليم

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/٨٠ ، الحوادث الجامعة ٤٢ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧/٣٠٦ .

(٢) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة – قسم الجزيرة ، ج ٣/ ق ٢/ ٥٢٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/ ٩٢ .

(٣) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة – قسم الجزيرة ، ج ٣/ ق ٢/ ٥٢٢ – ٥٢١ .
(٤) خليل : الامارات الأرتقية ١٨٢ .
(٥) خليل : الامارات الأرتقية ١٨٢ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٦٧٥ ، الذهبي : دول الاسلام ٢/١٣٥ ، المقريزي : السلوك ، ج ١ / ق ٨ / ٢٤٣ .

(٧) المقريزي : السلوك ج ١/ق ١ / ٢٤٣ .
(٨) الغساني : العسجد المسبوك ٢/٤٥٢ .

آمد ، لاسيما بعد ان وجد أهلها متعاطفين مع الملك الكامل كارهين له ، فقرر تسليمها [1] فتسلم الملك الكامل آمد وجميع قلاعها ولم يبق له الا حصن كيفا [2] الذي تمكن من تسلمه بعد اتباعه اسلوب الخداع بأن بعث الملك المسعود الأرتقي الى الحصن وأظهر لهم بأنه يتعذب بسبب امتناعه من التسليم سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م [3] ، ورتب الملك الكامل نوابه في آمد ، بعين في البداية ابن أخيه شمس الملوك سيف الاسلام احمد بن الملك الاعز شرف الدين بن الناصر صلاح الدين ، الا انه توفي بعد ان حكم اثني عشر يوما [4] ، فعين شهاب الدين غازي وأشرك معه شمس الدين صواب العادلي ، فلما بلغه اتفاق شهاب الدين غازي مع الروم على تسليم آمد لهم عزله وأمر بحبسه [5] ، ثم ولاها ابنه الملك الصالح نجم الدين ومعه شمس الدين العادلي الى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م بعد وفاة شمس الدين العادلي استقل الملك الصالح بحكم البلاد الشرقية [6].

اما الملك المسعود الأرتقي فقد أقام في مصر واعطاه الملك الكامل اقطاعا الا انه أساء فسجنه وبقي في السجن الى ان توفي الملك الكامل ، فأطلق الملك العادل بن الكامل سراحه ، ولكنه قتل على يد المغول ، وهو في طريقه الى الشرق [7].

وعلى الرغم من الولاء الذي أظهره ناصر الدين الأرتقي صاحب ماردين للملك الكامل الا انه عاد الى سياسته العدائية للملوك الأيوبيين ، وذلك بالتحالف

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٦٧٥ - ٦٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٥/ ٢٣٤ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٦٨٦ ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة قسم الجزيرة ، ج ١ : ق٢/ ٥٢١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٩ .

(٣) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة ، ج ٣/ ق٢/ ٥٢١ .

(٤) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة ، ج ٣/ق٢/ ٥٢١ .

(٥) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرا ، ج ٣/ق٢/ ٥٢١ .

(٦) الذهبي : العبر ٥/ ١١٧ ، ابن الوردي : تاريخه ٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/ ١٨ ، ابو الفدا : المختصر ٣/ ١٥٢ .

مع علاء الدين سلطان الروم فحاصروا سنة ٦٢١ هـ/١٢٢٣ م الرها والرقة وحرّان واستولوا عليها [١] ، ووقفت امارة خرتبرت الأرتقية موقفا ايجابيا وذلك بمساعدة الأيوبيين في حربهم لسلاجقة الروم . [٢]

واستمر عداء امارة ماردين للأيوبيين حتى بعد وفاة الملك الكامل وذلك بالهجوم على مدن الجزيرة وطرد نوابها الرقة والرها . [٣]

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٧٧/٨ .
(٢) سيرد تفاصيل هذا التعاون ضمن العلاقة مع سلاجقة الروم ص ٧٠ ـ ٧٥ .
(٣) للمزيد من المعلومات ، ينظر : خليل : الامارات الأرتقية ١٩١ وما بعدها .

خامسا : علاقة الملك الكامل مع سلاجقة الروم [١] :

يقتضي الحديث عن علاقة الملك الكامل مع سلاجقة الروم ، الاشارة الى جملة خصائص سياسية سيكون لها الأثر في تحديد العلاقة بين الطرفين :

أولا : بعد وفاة السلطان كيكاوس تولى حكم سلاجقة الروم سنة ٦٢٥ هـ / ١٢١٨ م أخوه علاء الدين كيقباذ .[٢]

ثانيا : ان السلطان علاء الدين كيقباذ كما يرى الحموي ، أراد اقامة علاقة ودية مع الملوك الأيوبيين .[٣]

ثالثا : ان الملك المعظم لم يكن راغبا في اقامة علاقة مع سلطان الروم لامتنع عن مقابلة الرسول الذى أرسله اليه علاء الدين سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م[٤] .

رابعا : استقبل الملك الكامل رسول السلطان علاء الدين كيقباذ [٥] .

---

(١) سلاجقة الروم : يعيد الفضل الى سليمان قتلمش في تأسيس دولة سلاجقة الروم سنة ٤٠٧ هـ / ١١٠٦ م ، بعد موقعة ملازكرد التي دحر فيها البيزنطيين ، وترك امبراطور الروم " رومانوس " آسيا الصغرى بعد ان تعهد بدفع الجزية للسلاجقة ، ويعتبر السلاجقة أسرة من سلالة ملكية يرجع نسبها الى سلجوق بن دقاق أحد الأمراء التركمان ، وأصبحت مملكة كيقباذ الأول الذى تولى السلطة بعد وفاة كيكاوس سلطان سلاجقة الروم سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م تشمل قونية ، ملطية ، اقصرا ، سيواس ، وغيرها . للمزيد عن سلاجقة الروم وأصولها ، ينظر : رايس ، تامارا : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة : لطفي الخوري ، مراجعة : عبد الحميد العلوجي (بغداد : ١٩٦٨) ١٧ – ١٩ ، حسنين عبد المنعم محمد : سلاجقة ايران والعراق (القاهرة : ١٩٥٩) ٥٥ – ٥٨ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٥٩٨/٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٠/٤ .

(٣) الحموي : التاريخ المنصوري ٢١٥ .

(٤) الحموي : التاريخ المنصوري ٢١٥ .

(٥) الحموي : التاريخ المنصوري ٢١٥ .

ومن أجل استجلاء طبيعة العلاقة بين الملك الكامل وسلاجقة الروم يتطلب الأمر منا اجراء مناقشة لكل الظروف الضاغطة على سلوك الملك الكامل وعلاقته بأخويه الملك المعظم والملك الأشرف . ولذلك نقول : ان رفض الملك المعظم الاجابة على رسالة السلطان علاء الدين كيقباذ قد يكون سببها علاقته الطيبة مع جلال الدين الخوارزمي [١] في حين ان علاقة علاء الدين بجلال الدين كانت سيئة .

ولعل مايشير الى ذلك ان الملك الأشرف بعد ان بلغه اتفاق أخيه المعظم سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م مع مظفر الدين كوكبري والسلطان جلال الدين الخوارزمي والملك المسعود صاحب آمد على محاربته [٢] طلب من السلطان علاء الدين الذي كانت تربطه بسه علاقة ودية ان يقوم بالتوجه الى آمد لاشغال صاحبها عن الملك الأشرف . [٣]

واستجاب سلطان الروم لطلبه ، فقد كان خائفا من جلال الدين وأطماعه التوسعية [٤] فاتجه بعساكره من ملطية الى آمد وتمكن من فتح عدة حصون منها حصن الحسين وعندها شعر الملك المسعود بالخطر ، وأرسل الملك الأشرف يبين له انفصاله من حلف الملك الاعظم وانتماءه اليه ، فطلب الملك الأشرف من سلطان الروم انهاء عملياته الحربية واعادة ما أخذه من حصون الى الملك المسعود بن صالح الأرتقي . [٥] ورفض السلطان علاء الدين كيقباذ طلب الأشرف قائلا : " لم أكن نائبا للأشرف يأمرني وينهاني " [٦] وحاول الملك المسعود بمساعدة عسكر الملك الأشرف محاربة سلطان الروم الذي كان يحاصر قلعة الكختا وهي من أمنع الحصون والمعاقل ، وهكذا عادت القلعة الى الملك المسعود . [٧]

---

(١) ينظر : ص٦٢-٦٣ ضمن علاقة الملك الكامل مع الخوارزمية .
(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢/٤٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٠٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ١٢/٤٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٠٣ .
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٠٣ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ١٢/٤٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٠٣ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ١٢/٤٥٩ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ١٢/٤٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٠٣ .

ومع ذلك فقد بقي الشام يظلل علاقتهما لوجود عدو مشترك لهما هو جلال الدين الخوارزمي ، ففي سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م سمع السلطان علاء الدين كيقباذ ، باتفاق صاحب ارزن الروم مع جلال الدين الخوارزمي على حصار خلاط ، فخاف من جلال الدين أن يأخذ بلاد الروم ويعطي قسما منها لصاحب ارزن الروم وذلك للعداوة المستحكمة بينهما [١] ، فأرسل الى الملك الكامل وهو بحران يطلب منه ارسال أخيه الملك الأشرف من دمشق ومن شدة خوفه بعث اليه في يوم واحد خمسة رسل طالبا الملك الأشرف حتى وإن كان وحده ، [٢] ، فاجتمعت عساكر الشام والجزيرة ومصر وسارت الى السلطان علاء الدين ، وأقامت بسيواس ، وعندما رأى السلطان جلال الدين كثرة العساكر خاف وترك خلاط عائدا الى أذربيجان [٣] ، وتمكن السلطان علاء الدين من أخذ صاحب ارزن الروم أسيرا لاتفاقه مع جلال الدين الخوارزمي ، وأخذ مدينته ارزن الروم وخزائنها [٤] ، ان نشوة الانتصار الباهر الذى حققه السلطان علاء الدين بمساعدة الأيوبيين جعله يتنكر لموقفهم في التصدي للخطر المشترك الذى كان يهدد المنطقة ، فحاول سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م التوجه الى خلاط والاستيلاء عليها [٥] واتفق الملك الكامل مع الملك الأشرف على الحد من أطماع سلطان سلاجقة الروم وذلك بالعزم على انتزاع بعض أراضي سلاجقة الروم من يده [٦] ، ولما سمع الملوك الأيوبيين بالخطر الذى يهدد دولتهم

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٦٨/٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٤٨٩/١٢ ـ ٤٩٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٩٠/١٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٦٨/٤ ـ ٢٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٤٩٠/١٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٦٠/٨ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٦/٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٤/٥ ، المقريزي : السلوك ، ج ١ / ق ٢٤٧/١ .

(٦) الذهبي : ذيل الاسلام ١٣٦/٢ ، اليافعي : مرآة الجنان ٧٢/٤ .

سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٣ استعدادا للدفاع عنها ، فلم يبق ملك منهم إلا وانضم الى الجيش المتجه الى اراضي الروم[1] ، ومن كثرة العساكر قال ابن واصل : " لم يجتمع مثلهم لملك قبل الملك الكامل " .[2]

اما سير العمليات العسكرية للملك الكامل ، فقد بدأت بتركه دمشق والنزول شمالي سلمية ٦٢١هـ/١٢٢٣ م[3] ثم الاتجاه الى حلب ، ومنها الى منبج[4] ، وعندما تقدم بعساكره من جهة الدربند[5] وجد بلاد الروم مطوقة بالعساكر والرجال ، وكانت طرقها وعرة يصعب على العساكر اجتيازها[6] ، فنزل على النهر[7] الأزرق[8] ، وفي الوقت نفسه تقدم عسكر الروم بقيادة سلطانهم الى الدربند فصعدوا الى اعلاه وأقاموا سورا وقاتلوا منه حتى منعوا عسكر الملك الكامل من الدخول اليهم[9] ومن جهة أخرى تأزمت الأوضاع لدى الملك الكامل وعسكره ، فضلا عن قلة الطعام وعدم تعود عساكره الحرب في مناطق وعرة[10] حدث مالم يكن بالحسبان ، فبعد ان كان الملوك الأيوبيون

---

(1) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٨/٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٦/٣ ـ ٢١٧ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان م ١٣٠/١ .

(2) ابن واصل : مفرج الكروب ٧٥/٥ .

(3) ابن واصل : مفرج الكروب ٧٥/٥ .

(4) منبج : مدينة تبعد عن حلب عشرة فراسخ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٠٦/٥ .

(5) الدربند : وهي باب الأبواب ، وكانت سابقا مدينة على شاطئ بحر قزوين ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٤٩/٢ .

(6) ابن واصل : مفرج الكروب ٧٦/٥ ـ ٧٧ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ١٣٠/١ .

(7) النهر الأزرق : نهر في اطراف بلاد الروم من جهة حلب ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣١٧/٥ .

(8) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٨/٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٢١١/٧ ، ابو الفدا : المختصر ١٥٥/٣ .

(9) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٧/٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٧٧/٥ .

(10) المقريزي : السلوك ، ج ١/ق ٢٤٨/١ .

يدا واحدة معه تفرقوا عنه بسبب الوشاية التي انتشرت بينهم ، بأنه بعد أن يحقق النصر على سلطان الروم سيوزع الروحية عليهم ويتفرد هو بحكم مصر وبلاد الشام والبلاد الشرقية ، فحصل التخاذل في صفوفهم واتفقوا مع سلطان الروم عليه [1] ، وشعر الملك الكامل بالخطر المحدق به ، فترك القتال باتجاه الى السويداء ، وفي هذه الظروف جاءه صاحب امارة خرتبرت الارتقي وعرض عليه فكرة الدخول الى بلاد الروم من جهة بلاده [2] واستحسن الملك الكامل هذه الفكرة ، وتقدم صوب آمد ونزل السويداء وأمر الملك المظفر بالاتجاه بالعساكر بصحبة الامير شمس الدين صواب العادلي الى خرتبرت للدخول الى بلاد الروم ، فالتقى بعسكر السلطان علاء الدين الذي بلغ حوالي اثني عشر الف فارس ، وحدثت معركة ضارية ابلى فيها جيش الملك الكامل بلاءا حسنا واستمرت المعركة حتى آخر النهار ، ولكن جيش الملك الكامل مني بالهزيمة [3] ، وعاد الملك المظفر ببقية العسكر الى خرتبرت فجاء عسكر الروم والقى القبض على البقية الباقية من عسكر الملك الكامل واستولوا على خرتبرت . [4]

وبعد هذه الهزيمة الساحقة التي حصلت للايوبيين رأى الملك الكامل ألا جدوى من القتال فطلب الامان له ولمن معه فاستجاب سلطان الروم وأحسن معاملة الملك المظفر وأطلق سراحه [5] وعوض صاحب خرتبرت اقطاعا في بلاد الروم [6] ولم يكف السلطان علاء الدين اطماعه التوسعية ، بل استمر

---

(1) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٨٤/٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٧٥/٥ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، م ١٣٠/١ — ١٣٢ .

(2) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٨٤/٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٨/٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٧٨/٥ .

(3) ابن واصل : مفرج الكروب ٧٨/٥ ، العميد : اخبار الايوبيين ١٤١ .

(4) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٨/٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٧٩/٥ — ٨٠ ، المقريزي : السلوك ، ج ١/ ق ٢٤٩/١ .

(5) ابن واصل : مفرج الكروب ٨٠/٥ — ٨١ .

(6) ابن العديم : زبدة الحلب ٢١٨/٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٨٠/٥ — ٨١ .

بمحاولاته التوسعية على حساب الدولة الأيوبية ، فاستغل التغير الذي حصل في علاقتهم معهم ، فقد وسنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م الى البلاد الشرقية واستولى على حرّان والرها ، وسروج [١] .

سمع الملك الكامل بتحركات السلطان علاء الدين ، فتوجه سنة ٦٣٣ هـ/١٢٣٥م بعساكره من مصر وسار معه الملك الأشرف والملك المجاهد والملك المظفر وعبروا نهر الفرات الى الشرق [٢] وتمكنوا من استرجاع البلاد الشرقية من السلاجقة الروم وأسروا عددا منهم أخذهم الملك الكامل الى مصر [٣] وسلّم البلاد الشرقية لابنه الملك الصالح نجم الدين [٤] . وقد توفي السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م فتولى ابنه غياث الدين كيخسرو الحكم ، فبعث اليه ملوك الشام يعزونه بوفاة أبيه ، ويطلبون منه اقامة حلف على الملك الكامل [٥] ، فوافق وأكّد لهم استمراره على سياسة والده ، والشاهد على ذلك وقوفه بجانب الملك الصالح اسماعيل سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٧ م في ارسال العساكر لمحاربة الملك الكامل الذي تقدم لانتزاع دمشق من الملك الصالح وأبدى استعداده لارسال المزيد من العساكر اذا اقتضت الحاجة ، وهذا طبيعاه سابقا [٦] . وما لبث ان انشغل سلاطين سلاجقة الروم في خلافاتهم التي كان لها الأثر في اضعاف حكوماتهم وأدت الى قيام المغول بسلسلة من الهجمات العنيفة على المناطق المجاورة ، وقد استمرت تلك الهجمات الى ان سقطت دولة السلاجقة سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م [٧] .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٦٤/٨ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة قسم الجزيرة ، ج ١/ ق ١٠٨/١ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٩٥/٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٨٣/٥ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ١١٠/٥ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٣١٥/٧ .

(٤) ابن ايبك : كنز الدرر ٣١٦/٧ ، المقريزي : السلوك ، ج ١/ ق ٢٥٦/١ .

(٥) ابو الفدا : المختصر ١٦٠/٣ ، المقريزي : السلوك ، ج ١/ق ٢٥٤/١ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ٢٣٦/٣ .

(٧) للمزيد ، ينظر : رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ٨٣ ـ ٨٥ ، حلمي ، احمد كمال الدين : السلاجقة في التاريخ والحضارة (الكويت : ١٩٧٥) ٩١ ـ ٩٣ .

الفصل الثالث

علاقة الملك الكامل مع الافرنج

الفصل الثالث

علاقة الملك الكامل مع الافرنج

أ- العلاقات العسكرية :-

تمثلت العلاقة العسكرية بصورة رئيسية في الحملة الافرنجية التي وجهها الغرب للاستيلاء على مصر، وبدأت بالسيطرة على دمياط سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م

١- محاولات الافرنج للاستيلاء على دمياط :-

قبل الحديث عن هذه الحملة لابد من القاء الضوء على اهمية المدينة التي امتدت الحرب بجبهيها مدة ثلاثة سنوات من حيث اختيار المدينة واهمية الموقع فمن ناحية الاختيار فان الافرنج كانوا على معرفة بهذه المدينة بحكم المحاولات [1] السابقة التي قاموا بها للاستيلاء على المنطقة وقد وضعوا على الطريق الذي الذي سلكه عموري الاول باعتماده على القاعدة الحربية في عسقلان .

(١) لقد تعرضت دمياط لعدة محاولات من قبل الافرنج لغرض الاستيلاء على مصر فكان اول من فكر في الاستيلاء عليها (جود فري دي) سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م الا انه هلك قبل ان ينفذ فكرته . وجاءت المحاولة الفعلية على يد بلدوين الاول سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م و ٥١٢ هـ / ١١١٨ م واستمرت هذه المحاولات الى سنة ٥١٥ هـ / ١١٦١ م في عهد وزارة صلاح الدين الايوبي الا انها لم تحقق غرضها .
للمزيد عن هذه المحاولات ينظر : ابن الاثير : الكامل ٣٠١/١١ و ٥٤٣/١٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٥٣) ١٣٧/١ — ١٣٨ .

اما في هذه الحملة فلم يجد الافرنج قاعدة يمكنهم الارتكاز عليها لغزو مصر بها فاختاروا دمياط أقرب الموانىء المصرية لهم نحو بلاد الشام فضلا عن سهولة الاتصال منها بحرا بقواعدهم في الشام [١] برا وبحرا بعكس الاسكندرية والرشيد اللتين يتعذر منها الاتصال بتلك القواعد الاعن طريق البحر [٢] فضلا عن كون دمياط احدى المدن المهمة في مصر وان الاستيلاء عليها يسهل لهم السيطرة على مصر بخفضها ((قفل الديار المصرية)) [٣] .

اما بالنسبة للموقع ، فتقع دمياط بين مصر وبحيرة تنيس ، وهي عبارة عن شبه جزيرة يحدها من الشمال البحر المتوسط [٤] الذى يبعد حوالي ميلين عن فرع دمياط [٥] ويبلغ عرض النيل عندها حوالي ١٠٠ ذراع [٦] .

ان هذا الموقع الطبيعي اكسبها اهمية اقتصادية كبيرة فازداد فيها الانتاج الزراعي الذى اعتبره قادة الحملة مصدر تمويل لهم ، وهي كذلك من اهم الموانىء التي تكثر فيها الاسماك والطيور وبذلك صلحت ان تكون مصدرا غذائيا مهما لهم [٧] ومركزا تجاريا كبيرا يتحكم بالسفن التجارية المصرية [٨] .

ومع هذا الموقع الطبيعي الممتاز هناك بعض الوسائل التي زادت من حصانتها ومنها الاسوار التي تحيط بها من كافة الجهات ، علاوة على الخندق والابواب الابيضة طبقا للخارطة المعاصرة للحوادث [٩] .

(١) عاشور : الحركة الصليبية ٢ / ٩٢٤ .
(٢) ... عمران : الحملة الصليبية الخامسة ٢٠٢ . ...
(٣) مؤلف مجهول : اخبار الدولة الايوبية وغيرها ـ مخطوطة ـ ورقة ٩ .
(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢ / ٤٧٢ .
(5) Setton, Kennth.M., Ahisory of the crusades, ed., Wolf R.L. Hazard, H.W., the University of wisconsin press, 1969 , Vol ., II, P.387 .
(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢ / ٤٧٢ .
(٧) الظاهري ـ غرس الدين خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق : بولس راويس (باريس : ١٨٩٢) ٣٥ ، عمران : الحملة الصليبية الخامسة ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٨) ابن دقماق ـ صارم الدين ابراهيم بن ايدمر : الانتصار لواسطة عقد الامصار ط١ (بيروت : ١٨٩٣) ق١ / ٨٠ ـ ٨١ .
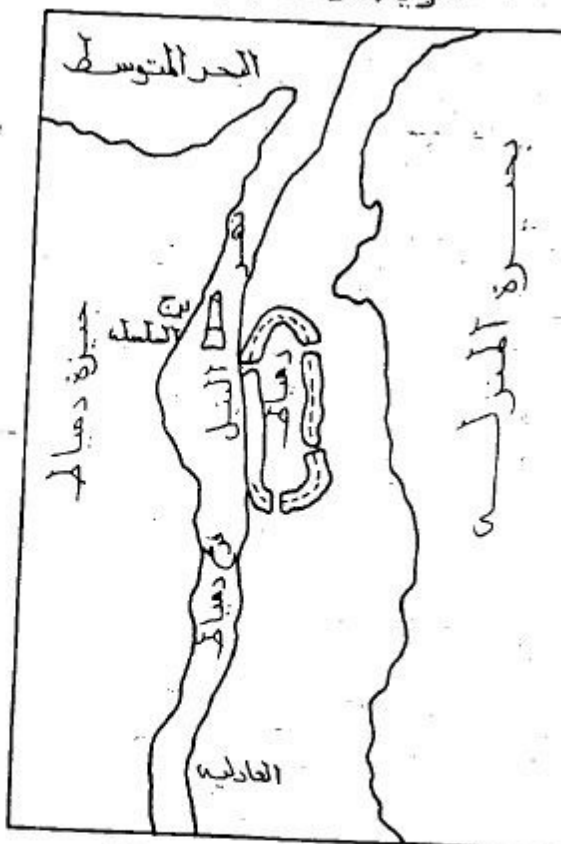
دمياط القديمة زمن الحملة الافرنجية الخامسة

وتحوى المدينة برجين في وسط النيل (١) احدهما برج السلسلة (٢)(٣) والاخر مقابل له تربط بينهما سلسلة من حديد عليها حراس اقوياء (٤) مسؤولون عن رفع السلسلة اذا ارادوا ان تدخل السفن الى النيل وعن غلقها اذا ارادوا منعها من ذلك (٥) . وكل هذه الخصائص زادت من اعتقاد الافرنج بان اية حملة ناجحة على دمياط ستعطي لهم موطئ قدم بالغ الاهمية يمكنهم من السيطرة على الشرق الادنى باسره (٦) .

وفي صفر سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م وصلت طليعة الاسطول الافرنجي ميناء دمياط الواقع على الضفة اليمنى للفرع الرئيسي لنهر النيل وكان الافرنج قد اختاروا الكونت سيمون الثاني لورد ساربروكن قائدا موقتا (٧) لان جان دي برين قائد الحملة قد بقي مع رؤساء الهيئات الدينية في سواحل بلاد الشام ينتظر باقي السفن الافرنجية (٨) وقد اختارت القوات الافرنجية جيزة (٩) دمياط لتكون مقرا لها . وكان هذا الموقع نموذجيا من الناحية الدفاعية لارتباطه بمراكز التجهيز البحرية بصورة يسيرة ويحميه النيل من جهة الجنوب والشرق من اية هجمة مباغتة . ولكنه من الناحية الهجومية محتاج الى امور كثيرة منها حاجة الجيوش الى ان تعبر النيل لمواجهة العدو (١٠) .

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ق١/ ٨٠ ـ ٨١ .
(٢) برج السلسلة : ((برج عالي في وسط النيل في ناحية سلسلة .... تمتد احدهما على النيل الى دمياط وتمتد الاخرى على النيل الى الجزيرة ....) ينظر : ابن ايبك : كنز الدرر ٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧ . ويبلغ طول السلسلة ٥٣ درجة ونصف وعرضها ٣٠ درجة وربعا . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .
(٣) ابن دقماق : الانتصار ق١/ ٨٠ ـ ٨١ .
(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢/ ٤٧٣ ؛ الظاهرى : زبدة كشف الممالك ٣٥ .
(٥) الظاهرى : زبدة كشف الممالك ٣٥ .
(6)Setton., Ahistory of the crusades,Vol.II,P.397.
(7)Setton,Ahistory of the crusades, Vol,ll,p 397.
(8)Setton., Ahistory of the crusades,Vol,ll,p.397.
(٩) جيزة دمياط : تقع في الجهة الغربية من مدينة دمياط ويبدو انها سميت بالجيزة لانها يجاز منها الى دمياط . ابن واصل مفرج الكروب ٣/ ٢٥٨

أما فيما يتعلق بالملك جان دى برين ، حاكم بيت المقدس فقد اتجه الى الساحل بعد وصول التعزيزات الاوربية[١] وبلغ عدد قوات الافرنج حسب قول المقريزى : ((اربعين الفا من المشاة ومائة وسبعين الفا من الفرسان)) [٢] .

وقد اقام الملك الكامل بعسكره في العادلية* [٣] التي اصبحت معسكرا ، ثم أخذ يرسل الامدادات لأهل دمياط فضلا عن قيامه ببعض العمليات العسكرية التي كان الغرض منها اشغال الافرنج واشعارهم بوجود مقاومة من قبل المصريين [٤] .

أما الملك العادل الذى كان في بلاد الشام ، فقد أخذ بارسال العساكر الى الملك الكامل [٥] وأمر ابنه الملك المعظم بالقيام ببعض العمليات العسكرية لاشغال الافرنج في بلاد الشام عن تقديم المساعدة للمحاصرين لدمياط [٦] وفي الوقت نفسه اتجه الملك الاشرف الى صافيتا وحصن الاكراد [٧] ولكنه اضطر للعودة الى بلاده بسبب خوفه من اطماع الملك الافضل - وكيكاوس سلطان الروم [٨]

---

(٢) المقريزى : الخطط المقريزية ١/٣٤٨ .
(٣) العادلية : قرية قديمة اسمها الملك العادل سنة ٦١٤ هـ/١٢١٧م لتكون حصنا ، يحافظ على مدينة دمياط من غزو الافرنج ، رمزى - محمد : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ (القاهرة : ١٩٥٥) ج ١/ق١/٢٤٢ ، وينظر : ابن الجيعان - شرف الدين يحيى بن المقر : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية (القاهرة : ١٨٩٨) ٦٢ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ١٢/٣٢٣ ؛ المقريزى : السلوك ج ١/ق١/١٨٩ ، ابن الفرات : تاريخه م٥/ج ١/٢٣٠ .
(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٥٩٢ ؛ الذهبي : العبر ٥/١١٧ ؛ العليمي : الانس الجليل ١/٤٠١ .
(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/٥٩٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٧٦ .
(٧) ابو شامة : ذيل الروضتين ١٠٩ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٧/١٩٦ .
(٨) ابن ايبك : كنز الدرر ٧/١٩٦ .
(*) ينظر خريطة رقم (٢) .

خريطة رقم (٣)

مستقاه من كتاب الحملة الصليبيه الخامسه - للدكتور محمود سعيد عمران

البحر المتوسط

جيزة دمياط

مواقع القوات الافرنجيه

الخليج الأزرق

دمياط

العادليه

مواقع قوات المسلمين

نهر النيل

فارسكور

بحيرة المنزلة
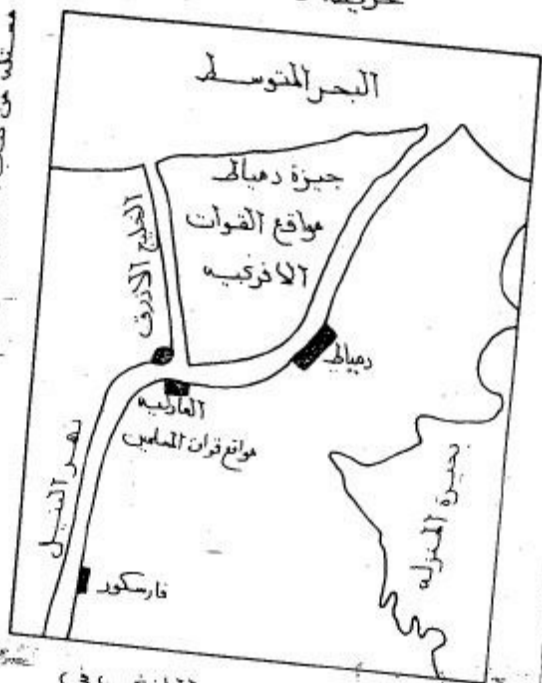
مواقع القوات الاسلاميه والافرنجيه في الحملة الخامسة

وقد حاول الافرنج الزحف الى دمياط ولكن برج السلسلة حال دون تقدمهم لانه كما قيل قفل الديار المصرية فوضعوه نصب اعينهم وايقنوا بعدم تمكنهم من الاستيلاء على دمياط الابالسيطرة عليه [١].

وقد حاولوا ذلك سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م وذلك بتوجيه سبعين أو ثمانين سفينة افرنجيه شنت هجوما عنيفا على جدران المدينة ، ولكن هذه الطريقة في الهجوم على الرغم من الذعر الذى سببته للسكان لم تكن فعالة ازاء تحصينات المدينة ولم تنقطع محاولات الافرنج للاستيلاء على برج السلسلة ، فقد مد دوق النمسا وفرسان الداوية [٢] سلمين لتسلق اسوار المدينة واقاموا كل سلم على بارجة ضخمة ، وهيأ الالمان سفينة لشن هجوم جديد على برج المدينة المحصنة [٣] لكن كرات النار والحجارة التي قذفها المصريون عليهم واستبسال جيش الملك الكامل في الضفة الشرقية [٤] اجبرت السفينة على الانسحاب وفي اثناء ذلك انكسر السلمان تحت وطأة ثقل الجنود الافرنج فسقطوا في البحر [٥] ونتيجة لفشل المحاولات السابقة عمد الافرنج الى ربط

---

(١) عمران : الحملة الصليبية الخامسة ٢١٢.

(٢) الداوية : وهي منظمة عسكرية دينية تطلق على جماعة المعبد ، وقد اسست هذه الجمعية سنة ١١١٩ م لحماية طريق الحجاج المسيحيين ، وتحولت مع الزمن الى هيئة حربية دينية ، ينظر : المقريزى، السلوك ج ١ /ق ١ /٦٨ (الحاشية الرابعة).

السفن بعضها وانشاء قلعة فيه فضلا عن جسر متحرك محمول بمحاذاة النهر على حافة البرج (١) وبعد قتال مرير تمكنوا في ٢٤ جمادى الاولى سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م من الاستيلاء على برج السلسلة (٢) وبسقوط هذا البرج اصبح الطريق مفتوحا للسيطرة على دمياط.

---

(٢) ابن الاثير : الكامل ١٢/٣٢٤ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/٥٩٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥/٣٣١ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٣ (القاهرة : ١٩٦٤) ٤٥٦.

٢ـ محاولات الملك الكامل في التصدي لغزو الافرنج لدمياط

وفي ظل هذه الظروف تحمل الملك مسؤولية لاتخلو من الصعوبة وهي طرد الافرنج من البلاد المصرية ، فقد اتجه نحو دمياط (١) وقام بانشاء جسر عائم (٢) بلغت كلفته سبعين الف دينار (٣) ورماه في النيل للحيلولة دون مرور السفن الافرنجية وشن هجمات متكررة على مواقع العدو ، ولكنه لم يحقق من هذه الهجمات هدفا نهائيا فقد تمكن الافرنج بعد قتال عنيف من قطع ذلك الجسر (٤).

واستمر ثبات الملك الكامل وعسكره امام هجمات العدو فقام بمحاولة اخرى لصد غاراتهم وذلك باغراق عدة سفن في النيل لعرقلة مرور السفن الافرنجية (٥).

وقد ساعدتم الظروف على الحاق الهزيمة بالافرنج ، فقد كانت فيضانات النيل من جهه وانتشار الحمى في صفوف الافرنج من جهه اخرى بالاعداء اذى بالغا (٦) فلما راى الافرنج شدة حماس الملك الكامل واتباعه خططا محكمة لتحطيم محاولتهم للسيطرة على دمياط عمدوا على العبور مهما كانت التضحيات والمخاطر ، فاتجهوا الى خليج يعرف بالخليج الازرق (٧) وكان النيل يجري فيه قديما للانحدار منه والاتجاه الى البورة (٨) التي تقع شمالي دمياط حتى يكونوا مواجهين لمعسكر المسلمين في الضفة الغربى للنيل فقاموا بحفر هذا الخليج وربطوه بالمجرى الرئيسي للنيل واجروا الماء الى البحر وعندما حل موسم الامطار ارتفعت المياه فامتلاء الخليج فدخلت سفنهم واصبحت على مسافة ثلاثة

---

(٢) ابن الاثير : الكامل ٣٢٤/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٥/٤ .
(٣) المقريزي : السلوك م ١/ق١/١٩٤ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ٣٢٤/١٢؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٥/٤ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ٣٢٤/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٦/٤ . السلوك ج ١/ق١/١٩٤ .

(٧) الخليج الازرق : نهر يجرى بين بلدة البورة والمنزلة العادلية : المقريزي : السلوك ج ١/ق١/١٩٥ الحاشية الثانيه .
(٨) البورة : حصن يقع على ساحل البحر قرب دمياط ، ياقوت الحموي : معجم

على مسافة ثلاثة عشر ميلا الى الجنوب من دمياط [١] مقابل العادلية ولكن محاولتهم الاولى قد احبطت باصطدامها بالقوات الكاملية التي قاتلتهم بالضفة المقابلة [٢].

ان العمليات العسكرية التي دارت بين الطرفين لم تحبط من عزيمة اهالي دمياط فقد كانت الامدادات والمؤن تصل اليهم من اقاليم مصر وذلك لوجود النيل الذي يحجز عنهم الافرنج فضلا عن ابواب المدينة التي كانت مفتوحة امام عسكر الملك الكامل [٣].

ومع هذا فقد تعرضت مصر لبعض الظروف التي مكنت الافرنج من الاستيلاء على العادلية منها الخسارة التي مني بها المسلمون بوفاة الملك العادل سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م بعد استيلاء الافرنج على برج السلسلة فكان ذلك صدمة كبيرة للمسلمين في مصر وبلاد الشام ، وابدى ملوك بني ايوب مخاوفهم حول املاكهم ولاسيما الملك الكامل الذي خاف أن يتخلى عنه اخوته ، الى جانب استغلال بعض الامراء اصحاب المصالح الشخصية والاطماع الفردية تلك الوفاة فتحركوا بالتآمر على الحكم والدعوة الى خلع الملك الكامل من الحكم بعد أن اصبح ملكا بدل الملك العادل ويوصية منه فترك الملك الكامل العادلية متجها الى مصر ليتحقق من الامر [٤].

ان حصيلة هذه الظروف تمثلت بترك المقاتلين معسكرهم بالعادلية بعد فقدان ملكهم حاملين معهم بعض الاسلحة [٥] حتى قال عنهم ابن الاثير : ((وركب كل منهم هواه ، ولم يقف الاخ على اخيه ...)) [٦].

ونقف هنا ، ونقول ، من خلال ماقدمته الدراسات التاريخية التي رصدت متحققات المعارك الحربية بأن لوجود القائد

---

(٢) ابن الاثير : الكامل ٣٢٤/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٦/٤ ؛ المقريزي : السلوك ج ١/ق ١٩٥/١ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٣٢٤/١٢ ؛ المقريزي : السلوك ج ١/ق ١٩٥/١ .

(٤) ينظر الفصل الاول ص ٢١ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ٣٢٥/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٧/٤ ؛ الذهبي : دول الاسلام ١٢٣/٢ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ٣٢٥/١٢ .

وثباته في ارض المعركة اثرا كبيرا في حماس المقاتلين واستبسالهم من اجل النصر لذا فان انشغال الملك الكامل بتصفية مؤامرة ابن المشطوب في مصر ادى الى انتشار الفوضى بين المقاتلين وتخليهم عن مهمة الافرنج (١) . واستغل الافرنج هذه الثغرة في التوجه الى العادلية والاستيلاء عليها وذلك في ذى القعدة سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م (٢).

واقبل الشتاء والقتال مستمر بين الطرفين ، فهاج البحر على معسكر المسلمين واغرق خيامهم فاستغل الافرنج هذا المازق في توجيه ضربة قوية لهم كادوا بها يمتلكوا البلاد ، الا أن رياحا قوية قطعت مراسي سفنهم واغرقت اهمها ، ومنها السفينة مرماة (٣) التي كلفت الافرنج خسارة فادحة وعد استيلاء المسلمين عليها من اهم الغنائم التي حصلوا عليها (٤).

واستعد الافرنج بعد ذلك ، لحصار دمياط فتقدمت العساكر وقاتلت اهلها في الجبهتين البرية والبحرية وشرعت في حفر الخندق

---

(١) ابن الاثير : الكامل ١٢/٣٢٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٤/١٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٨٣.

(٢) ابن الاثير : الكامل ١٢/٣٢٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٤/٧.

(٣) السفينة مرماة : تتكون هذه السفينة من ست سفن مشدودة الى بعضها وعليها ابراج قوية تقوم بمهمة قذف النار على السفن المعادية ولهذه السفينة مكانة كبيرة عند الافرنج لانها قد حققت لهم نجاحا كبيرا في الاستيلاء على برج السلسلة ، وعلى الرغم من استيلاء المسلمين عليها وقتلهم اربعة عشر بحارا من الستة عشر بحارا لم يستغلوها عسكريا وانما احرقوها خوفا من سيطرة الافرنج عليها مرة اخرى.

(٤) المقريزي : السلوك ج ١ /ق١ /١٩٥.

حتى يكون جاهزا بينهم وبين المسلمين وبنت عليه سورا (١).

واستمر اهالي دمياط في مقاومة الافرنج واستبسلوا استبسالا عظيما في سبيل الدفاع عن ارضهم وضربوا امثلة رائعة في البطولة والثبات والفداء ولكن شدة الحصار جعلهم في عزلة تامة فبعد ان كانت الامدادات تصلهم من الملك الكامل عن طريق العادلية فقد انقطعت بسبب سيطرة الافرنج عليها فضلا عن شحة المواد الغذائية الموجودة في الداخل فهي لم تعد تكفي فبلغ ((رغيف الخبز بقطعة فضة)) (٢) ووصف المقريزي حالة أهل دمياط بقوله ((وانزل الله عليهم الصبر فثبتوا مع قلة الاقوات عندهم وشدة غلاء الاسعار)) (٣) ورافق قلة المواد الغذائية انتشار الامراض والاوبئة بين السكان (٤).

واقترب الخطر وكاد الافرنج أن يحتلوا على دمياط لأنّ الملك الكامل كان مشغولا بتصفية مؤامرة ابن المشطوب ، حين تمكن من القضاء عليها ، عاد ليهيئ نفسه لمواجهة الافرنج الذين احاطوا بدمياط وقطعوا الاتصال نهائيا باهلها (٥) ، وبدأ باستخدام

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٣٢٦/١٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ م٥/ج ٢٣٠/١ ؛
الحميري : الاخبار المنيفة ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٣٢٦/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٨/٤ - ١٩ .

(٣) المقريزي : السلوك ١ /ق١ /١٩٨ .

(٤) الذهبي : دول الاسلام ١١٩/٢ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٢ ؛ الشهابي : الغرر الحسان ٣١٦/١
Grousset, Rene. Histoire Des Croisades, Paris: Librai rie Plon, 1936. P. 227 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١٩/٤ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٠٠/٧ ؛
الدويهي : تاريخ الازمنة ١٠٥ .

مهارته العسكرية • لاعادة الاتصال الذى قد انقطع بسبب ماذكرناه آنفا وذلك لتقديم المساعدة والاطلاع على أحوال أهل دمياط واحوال العدو بعدة وسائل منها ارساله جملا مذبوحا مملوءا جوفه بالطعام واطلقوا جثته في مياه النيل ليلتقطها اهل دمياط (١).

واشتهر في حصار دمياط الشاب الفدائي علم الدين شمايل وهو من قرية من قرى حماة اتصف بالشهامة والشجاعة والصبر • كان يخاطر بنفسه ويسبح في النيل ومراكب الافرنج محيطة به فيدخل المدينة ويطلع على احوالها ويطمئنهم بوصول النجدة ثم يأخذ رسائل أهلها ويعود سابحا ورماة الافرنج تصب عليه وابلا من السهام الى ان يصل معسكر المسلمين (٢).

بمرور الايام ازدادت حالة أهل دمياط سوءا بسبب تأخر النجدة • فأرسل الامير جمال الدين الكناني • قصيدة طويلة يصف بها الحالة التي يحياها أهل دمياط الى الملك الكامل يحثه على الاسراع في نجدة اهلها وقد القاها بمهم شعاب وجاء فيها :

ياما لكي : دمياط ثغر هدمت	شرفاته كانت تجت اصوله
اشكو اليك عدو سوء احدقت	بجميعه فرسانه وخيوله
فالبرقد منعت اليه طريقه	والبحر عز لنصره اسطوله (٣)

---

(١) المقريزى : الخطط المقريزية ١/٢١٧.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/١٨ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٧/٢٠٠ ؛ ابن الفرات تاريخه م٥ /ج ١/٢٥٣ ؛ المقريزى : السلوك ج ١/ق١/١٩٨.

(٣) للمزيد ينظر : السلوك ج ١ /ق١ /١٩٨ — ١٩٩ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٢.

وادرك الملك الكامل بسوء الاوضاع العسكرية وحاجة كفة القوة الافرنجية فكر بارسال الكتب الى اخوته وبقية الملوك الايوبيين يطلب منهم الاسراع لنجدته (١).

..... وصلت كتب الملك الكامل الى اخيه الملك الاشرف متضمنة ابياتا من الشعر يحثه بها على الاسراع (٢).

واختلفت الروايات التاريخية في تحليل ومعرفة موقف الملك الاشرف من طلب الملك الكامل ، فذكر ابن الاثير ، ان الملك المعظم عندما ذهب الى اخيه الاشرف يستدعيه وجده مشغولا في مشاكل الشرق فاعتذر عن مساعدته (٣) بيد ان ابن واصل قد أشار الى ان الملك الاشرف ارسل اليه سنة ٦١٦ هـ/١٢١٩م بعض مماليكه من الامراء للتخلص منهم امثال مبارز الدين سنقر الحلبي، وابن كهدان فاتجهوا الى مصر واقاموا عند الملك الكامل (٤) واورد بعض المؤرخين ان الملك الاشرف تأخر عن مساعدة اخيه الملك الكامل بسبب المنافرة التي كانت بينهما (٥).

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٣٢٧/١٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٠٢/٨-٦٠٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٣/٤.

(٢) ياسعفي ان كنت حقا مسعفي فارحل بغير تلبث وتوقف
واحث قلوصك مرقلا او موجفا بتجشم في سيرها وتعسف
الحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٣ وينظر : الحوادث الجامعة ١٠٧ وابن كثير : البداية والنهاية ١٤٩/١٢ ، النعيمي عبد القادر الدمشقي : الدارس في تاريخ المدارس تحقيق : جعفر الحسني (دمشق ١٩٥٤) ٢٨٠/٢.

(٣) ابن الاثير : الكامل ٣٢٧/١٢.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٣/٤ - ٢٤.

(٥) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ٦١٩/٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٣٣١/٥ ابن كثير البداية والنهاية ٩٥/١٣ والصابوني : تاريخ حماة ٦٣.

ولعل السبب في تأخر الملك الاشرف سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م عن مساعدة أخيه في صد هجمات الافرنج انشغاله في المشاكل التي تواجهه في الشرق ولاسيما من حكام سنجار واربيل ، والموصل والارائقه في آمد وماردين فضلاً عن مشاغبات ابن المشطوب وخطر كيكاوس في بلاد الروم [١] ومما يؤكد ذلك استجابته للنداء الذي وجهه اليهم الملك الكامل سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م وهذا ماستوضحه تباعا .

كان اول من وصل معسكر الملك الكامل سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م الملك المظفر بن المنصور [٢] فأحسن اليه الملك الكامل ((وانزله ميمنة عسكره وهي منزلة ابيه وجده في الايام الناصرية الصلاحية)) [٣] وكان الذي أبداه له هذا دلالة قوية على مدى تقديره لموقفه فقد كان بأمس الحاجة الى أية مساعدة ترفع من معنويات اهالي دمياط وعسكره والشواهد التاريخية على تقدير الملك الكامل لهذه المساندة التي جاءت في اصعب الظروف مساندته للملك المظفر طيلة حكمه ولاسيما عندما وقف بجانبه عندما اراد انتزاع حماة سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م من يد أخيه الناصر قلج

---

(١) ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٢٢ ـ ٣١ ؛ جب ـ هاملتون : صلاح الدين الايوبي (بيروت : ١٩٧٣) ٢١٢ .

(٢) الحموي : التاريخ المنصوري ٢١٠ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٦٤ ؛ ابو الفداء : المختصر ٣ / ١٢٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ / ٦٥ .

ارسلان (١) .

أما الافرنج فعلى الرغم من محاصرتهم دمياط ، ومديومة قتالهم للمسلمين فإن انظارهم كانت تتطلع نحو القدس وبلاد الشام ، وقد ادرك بوعي عال الملك المعظم تطلعهم هذا وأحس بخطرهم ، فعمد سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م الى تخريب اسوار بيت المقدس وابراجه القوية (٢) وطلب من عز الدين ايبك القيام بذلك فقال له ((نحن نحفظه)) (٣) فكتب الملك المعظم مرة اخرى يؤكد ضرورة تخريب سور بيت المقدس ويوضح عواقب استيلاء الافرنج عليه ، فهو يؤدي الى تمكنهم من السيطرة على دمشق وسائر بلاده وتشريد وقتل أعداد كبيرة من المسلمين (٤) .

وكان لهدم السور اثر كبير في نفوس الناس ، فقد خرج الرجال والنساء والصبيان والشيوخ الى قبة الصخرة والمسجد الاقصى يصرخون ويقطعون شعورهم لجسامة الخطر الذي حل بهم (٥) وانشد مجد الدين الحنفي قاضي الطور قصيدة في خراب

---

(١) ينظر : الفصل الثاني ص ٢٦ - ٢١ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ١٢ / ٣٢٧ ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٦٠١ ؛ ابو شامة : ذيل الروضتين ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٣ / ١٨٨ ؛
(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٦٠١ .
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٦٠١ .
(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٦٠١ ؛ ابو شامة : ذيل الروضتين ١١٥ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٧ / ٢٠٢ .

سور القدس (١) وهرب عدد كبير من اهالي القدس الى مصر والكرك ودمشق ومات عدد كبير من الجوع والعطش ونهب اموالهم في القدس (٢). وخلال المرحلة الاخيرة من الحصار المفروض على دمياط واستمرار القتال بين الطرفين على الطريق المتد الى فارسكور* (٣) حيث يقيم الملك الكامل (٤) غادر القديس فرنسيس (٥)

---

(١) مما جاء في القصيدة ما يأتي

مررت على القدس الشريف مسلما ... على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين مني صبابة ... على ما مضى من عصرنا المتقدم

ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/٢٤٥؛ وذم الشعراء الملك المعظم فقال احدهم:

في رجب حلل الحميا ... واخرب القدس في المحرم

الحنبلي: شفاء القلوب ٣٠٥.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨/٦٠١ - ٦٠٢؛ ابن ايبك: كنز الدرر ٧/٢٠٢؛ الحنبلي: شفاء القلوب ٣٠٥.

(٣) فارسكور: قرية تقع قرب دمياط. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٢٢٨.

(*) ينظر خريطة رقم (٣).

(٤) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ٣/٢٨٣؛ الصداوي: الحرب والسلام ٦٩.

(٥) فرنسيس الاسيسي ولد سنة ٥١٢ هـ / ١١٨١ م في أسيزي وتعلم قراءة وكتابة اللغة اللاتينية والادب واللغة الفرنسية وفي عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م اشترك مع القوات البابوية على حرب الامبراطور فردريك الثاني في ايطاليا. وبعد عودته انقطع الى الصلاة والعبادة وحضر سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م قداسا ذكر فيه القس اقوال المسيح فتأثر بها وبدأ يلقي مواعظ مماثلة للناس فالتف حوله المريدون وفي عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م بلغ عدد اتباعه في نظام الاخوة ١٢ مريدا رحلوا الى روما للحصول على موافقة البابا انوسنت الثالث وهكذا تأسست الطريقة الفرانسيسكية وهي الطريقة التي كان اتباعها يلقون مواعظهم في الشارع ولايملكون اي شيء واستمر القديس على حياة الزهد الى ان توفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م قديسا رسميا من قبل البابا جريجوري التاسع.

See;Brady.,I.C.(Prancis of Assis) The new Encyclopae-dia Britannica, VOL ., 7,P.P. 682 -683 .
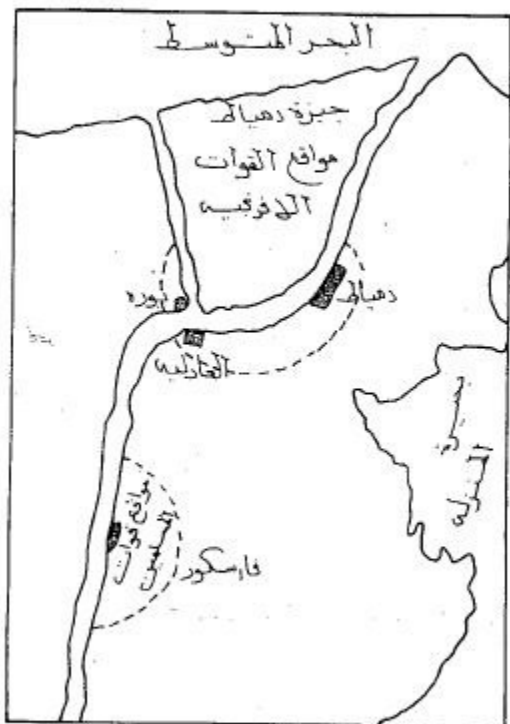
خريطة رقم (٣)

مواقع القوات الاسلامية والافرنجية بعد استيلاء الافرنج على العادلية

الاميس معسكر الافرنج وقرر المثول بين يدى الملك الكامل والدخول في معسكره(١) .

وفي طريقه الى معسكر المسلمين ، القى حراس الملك الكامل القبض عليه فطلب منهم مقابلة الملك الكامل ، فدار بينهما نقاش تخللته مواعظ عن المسيح واستمر اللقاء عدة أيام ويعد هذا اللقاء من الحوادث المهمة لانها تلقي ضوءاً على شخصية ذلك القديس الذى دخل معسكر المسلمين دون سلاح ومعسكره المعادي يشتبك مع المعسكر الاسلامي بقتال ضار(٢) . ثم غادر معجباً بمقابلة الملك الكامل وبقية المسلمين (٣) ولقد كانت هذه الزيارة التي جاءت بعد تردد من قبل بلاجيوس نائب البابا في الشرق خطوة تمهيدية ادت الى تأسيس مقاطعة فرانسيكية في الاراضي المقدسة(٤) .

---

(1) Pernoud, Regine The crusaders, Tr.: Enid grant . Edin burgh and london : Clever & Boyd. LTD., 1963, P. 220 .

(2) See: Pernoud , OP. CIT ., P.P. 221 - 222

(٣) السعداوى الحرب والسلام ص ٧١ - ٧٢ .

(4) Parmo, M.W. (The Decline of the Crusading Movement) E.B., VOl., 5,P. 307 .

بيد أن التوجه الجديد نحو السلام لم يأت من المحاولات التبشيرية للقديس فرانسيس بل جاءت من شخصية تختلف عنه وهي شخصية الامبراطور فردريك الثاني (١) . وفي اثناء ذلك كله وصلت امدادات بحرية الى الافرنج مكنتهم من الاستيلاء على دمياط سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م بعد حصار دام اربعة اشهر (٢) . وكان المسلمون قد جهزوا قوة لمقاومة الافرنج تتكون من خمسمائة رجل ولكن الافرنج تمكنوا من قتل الجميع ووضعوا رؤوسهم على الخنادق (٣) .

بعد دخول الافرنج دمياط ، اساءوا معاملة اهلها فقتلوا قسما منهم واسروا قسما ورفعوا اعلامهم على الابراج والاسوار ثم أخذوا المنبر والمصاحف وارسلوها الى الجزائر علاوة على اعتداءاتهم الكثيرة (٤) وتحويلهم الجامع الى كنيسة (٥) .

وفي اثناء ذلك قام الملك الكامل ببناء قلاع وتحصينات عديدة على نهر النيل وكانت ابرز هذه التحصينات القوية التي وضعها فيما بعد السمدينة المنصورة الواقعة على بحر اشمون (٦) .

---

(1) Atiya, Aziz.S., Crusade. Commerce and Culture . Blomingtion, Indiana University Pless, 1962, P.67

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٣/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٢٢/٣ ؛ المقريزي : السلوك ج ١ /ق ٢٠١/١ .

(٣) ابو شامة : ذيل الروضتين ١١٦ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٠٣/٧ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٩ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٠٨/٨ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٠٣/٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ٦٦/٥ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٣/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٢٢/٣ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٣/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٢٢/٣ ؛ المقريزي : السلوك

Lane-Poole; History of Egypt., 223 .

بيد أن التوجه الجديد نحو السلام لم يأت من المحاولات التبشيرية للقديس فرانسيس بل جاءت من شخصية تختلف عنه وهي شخصية الامبراطور فردريك الثاني (١) . وفي اثناء ذلك كله وصلت امدادات بحرية الى الافرنج مكنتهم من الاستيلاء على دمياط سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م بعد حصار دام اربعة اشهر (٢) . وكان المسلمون قد جهزوا قوة لمقاومة الافرنج تتكون من خمسمائة رجل ولكن الافرنج تمكنوا من قتل الجميع ووضعوا رؤوسهم على الخنادق (٣) .

بعد دخول الافرنج دمياط ، اساءوا معاملة اهلها فقتلوا قسما منهم واسروا قسما ورفعوا اعلامهم على الابراج والاسوار ثم أخذوا المنبر والمصاحف وارسلوها الى الجزائر علاوة على اعتداءاتهم الكثيرة (٤) وتحويلهم الجامع الى كنيسة (٥) .

وفي اثناء ذلك قام الملك الكامل ببناء قلاع وتحصينات عديدة على نهر النيل وكانت ابرز هذه التحصينات القوية التي وضعها فيما بعد المدينة المنصورة الواقعة على بحر اشمون (٦)

---

(1) Atiya, Aziz. S., Crusade. Commerce and Culture . Blumingtion, Indiana University Press, 1962, P.57

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٢/٤ وابو الفدا : المختصر ١٢٢/٣ ؛ المقريزي: السلوك ج ١ /ق ٢٠١/١ .

(٣) ابو شامة : ذيل الروضتين ١١٦ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٠٣/٧ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٤ .

(٤) ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٠٨/٨ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٠٣/٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤٦/٥ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٢/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٢٢/٣ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٢/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٢٢/٣ ؛ المقريزي : السلوك

Lane-Poole; History of Egypt., 223 .

وكلف الملك المعظم المؤرخ سبط بن الجوزي بالوعظ يحث الناس يحرضهم على الجهاد ويطلعهم على حالة اهالي دمياط ويبادي العواقب التي تترتب فيما اذا سيطر الافرنج على مصر (١) وشن الملك المعظم سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م عدة غارات على الافرنج في بلاد الشام فاستولى على قيسارية وهدمها وعلى حصن عثليت ايضا (٢) علاوة على تخريب سور بيت المقدس للسبب الذي عرضناه فيما سبق ، واستجاب الملوك الايوبيون سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م لنداء الملك الكامل وكان أول من تقدم الملك الاشرف الذي خرج على رأس الجيش وقد اشار عليه بعض خواصه بعدم ترك الشرق خوفا من المشاكل التي يمكن أن تحدث ولكنه رفض هذه الاشارة وقال : ((قد خرجت بنية الجهاد ولابد من اتمام هذا العزم)) (٣) وكان الملك المعظم على ساقة الجيش الذي ضم عسكر حلب وحماة وبعلبك بملوكها (٤) .

وبذلك وحد الملك الكامل صفوفهم ، ووثق عرى التضامن فيما بينهم لمواجهة العدو المشترك وهكذا فقد شكلت الاسرة الايوبية مرة اخرى جبهة قوية امتدت على ضفة النيل لصد الافرنج ودحرتهم تماما مثلما فعل جدهم صلاح الدين في الدفاع عن عكا من قبل (٥) وكانت المعركة الحاسمة سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م فقد اشتد القتال بين الطرفين واصبح الموقف لصالح المسلمين الذين ارتفعت معنوياتهم بقدوم النجدات ولم تقتصر المقاومة

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٠٦/٨ ، ...

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٠٦/٨ ؛ جب : صلاح الدين ٢١٢ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٩٣/٤ ؛

(٤) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٩٠ ، ابو الفدا : المختصر ١٢٩/٣ ؛ ابن خلدون : تاريخه ٣٤٩/٥ ؛ العليمي : الانس الجليل ٤٠٣/١ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٥) العطوي - محمد العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (تونس : ١٩٥٤) ٢٨ ؛

(6) Lane-Poole, History of Egypt, P., 223 .

على المعسكر النظامي بل امتدت لتشمل ابناء الشعب الذين كروا على الافرنج وزادوا من اقلاقهم [(١)] ثم تقدمت قوة من عسكر المسلمين الى خليج في الجانب الغربي يعرف ببحر المحلة وقاتلت شواني الافرنج [(٢)] وتمكن المسلمون من الاستيلاء على ثلاث قطع برجالها واسلحتها ففرحوا بذلك واستبشروا بالنصر [(٣)] .

واخذت الرسل تتردد بين الطرفين في طلب الصلح فعرض الملك الكامل على الافرنج تسليمهم ((بيت المقدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ماعدا الكرك والشوبك وان يسلموا دمياط ويرحلوا عن مصر)) [(٤)] . وكانت الغاية من استثناء الملك الكامل الكرك والشوبك ان تظل الوحدة قائمة بين الشرق ومصر وتظل دولته محيطة بالافرنج [(٥)] . ورفض الافرنج تسليم دمياط على هذه الشروط . وارادوا ان تكون الكرك والشوبك ضمن ممتلكاتهم وأضافوا شرطا آخر بان يأخذوا خمسمائة الف دينار تعويضا عما خرب من سور بيت المقدس [(٦)] وهكذا اضاع الافرنج فرصة لاتعوض واغراهم عنادهم بمهاجمة مصر [(٧)] .

---

(١) المقريزي : السلوك ج ١ /ق١/ ٢٠٣ .
(٢) الشواني : نوع من السفن استخدمها المسلمون والافرنج . وسيرد ذكرها في الفصل الرابع ص ١٤١
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٩٥/٤ ؛ المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٦ .
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٩٥/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٢٦/٣ ؛ المقريزي ج ١/ق١/ ٢٠٦ لامب ـ هارولد : شعلة الاسلام ، ترجمة : محمود عبدالله يعقوب ، مراجعة جمال الدين الشياز (بغداد : ١٩٦٧) ٤١٣ .
(٥) عمارة ـ محمد : معارك العرب ضد الغزاة (بيروت : ١٩٧٢) ٧٨ .
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٩٥/٤ ؛ المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٧ . في حين ذكر ابوالفدا ان مقدار التعويض الذي طلبوه كان ثلاثمائة الف دينار . ينظر : المختصر ١٢٦/٣ .
(٧) العطوي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ٧٨ .

واستفز غرور الافرنج كبرياء الملك الكامل ، فأطلق العنان للــــروح القتاليــة التي حشدهـــا ، فاتجهت القوات الاسلامية الى الافرنج الذيـــن كانت القنوات المنتشرة في الاراضي المنبسطة في دلتا النيل قد عرقلـــت تحركاتهم العوقيـة ومكنت المسلمين من تحريك اسطولهـــم (١) . وعندمـــا ارتفعت مياه النيـل فتح المسلمين مجراه ، وقطعوا السدود التي تمنـــع تدفقهـــا ، وهكذا اصبحت المنطقة اشبه ببحيرة ووجد الافرنـــج انفسهم في شبه جزيرة تحيطهـا المياه والقوات الاسلاميـة (٢) واصبحوا فـــي مصيدة لايقدرون معها على التقدم او الانسحاب ، وفي الليل قاموا بانسحاب يائس نحو دمياط من خلال الممر الضيق ، وعندئذ أمر الملك بنصب الجسور عند بحر أشمون طناح فنصبوا جسرا وانتقلوا الى الافرنـــج (٣) الذين كان فرسانهم يكافحون للخروج من القنوات العميقة والبرك المائيـة كفاحـــا يائســا واستمر هذا الكفاح نهارين وليلتين (٤) وازداد المسلمـــون قــوة وارتفعت معنوياتهـم بأسرهـــم سفينة عظيمة مشحونة بالســـلاح (٥)

وايقن الافرنج بصعوبة محنتهم لاسيما بعد استمرار المسلميـــــن في قتالهم فعزموا على شن هجمة قوية واستعدوا لذلك (٦) ولكنهـــم فشلوا لكثرة الوحل وقلــة الارزاق فالتمسوا الصلح وتسليم دميـــاط بــدون مقابـــل (٧)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٩٦،
Lane-Poole, History of Egypt, P. 223 .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٢٢١/١٢ ، المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٧،

(٣)- ابن واصل : مفرج الكروب ، المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٧،

(٤) Lane-Poole, History of Egypt., P.224.

(٥) المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٧،

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٩٧ ، المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٧،

(٧) المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٠٧،

ودار نقاش بين المسلمين حول الصلح • فقد ابدى بعض المسلمين فكرة ابادتهم بضربة واحدة ولكن الملك الكامل الذى ورث حنكة والده ودهاءه السياسي اوقفهم عن المضي في محاولة ابادة الافرنج • وفضل اقامة السلام الذى سينهي الحرب بين الطرفين لان الاستمرار في قتال الافرنج قد يؤدى الى حملة اخرى هدفها الانتقام أيهنج حامية دمياط حماسا جديدا • فتستمر المقاومة [١] ثم جرى الاتفاق على السلام في رجب سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ على ان يسلم الافرنج دمياط واحتفظ كل طرف بعدد من اسرى الطرف الآخر الى انتهاء اجراءات الصلح [٢] وتم تبادل الاسرى بين الطرفين وكان الملك الصالح نجم الدين ايوب من بين اسرى المسلمين وجان دى بيين ملك عكا وبلاجيوس نائب البابا من بين اسرى الافرنج [٣] وحضر عدد من قساوسة الافرنج ورهبانهم الى دمياط ليسلموها الى المسلمين وتقررت بينهما الهدنة لمدة ثماني سنوات واطلاق الاسرى وكانت هذه الشروط ليست سخية مقارنة بالعروض الذى قدمه المسلمون في البداية ورفضه الافرنج [٤] وكان من بنود هذه الهدنة أن من حق اي ملك اوربي يتوج في المستقبل أن ينقض الهدنة [٥] • وفي اثناء ذلك رست تعزيزات الماتية جديدة بالقرب من دمياط [٦]

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ١٧ •

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٩٨ ؛ ابو الفدا : المختصر ٣/ ١٣٠ ؛ والحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٧ •

(٣) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ٣٣٠ ؛ وسبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨/ ٦٢١ • ابو الفدا المختصر ٣/ ١٣٠ ؛ الشهابي : الغرر الحسان ١/ ٤٠٣ ؛ الدويهي : تاريخ الازمنة ١٠٩ •

(٤) المقريزى : السلوك ج ١ / ق ١ / ٢٠٩ ؛ Parmo., 2.37; vol 3, 5.306

(5) Lane -Poole, History of Egypt. P.225 .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٦٦ ؛ والمقريزى : السلوك ج ١ / ق ١ / ٢٠٩ •

غير انها فوجئت بأخبار الهدنة وقبلت بها على مضض لتعذر نقض بنود بعـد التوقيع عليها ولأن الاسرى والجزء الاعظم من جيش الافرنج كان تحت سيطـرة المسلميـن (١) .

وصف ماحدث بين الطرفين في شأن تسليم دمياط بأنه هدنـة وليس صلحا لانه ماكان لحاكم مسلم أن يعقد مع الاعداء صلحا في وقـت مايزالون يحتلون فيه ارضه ومنها القلاع والحصون على الساحل الشرقـي للبحر المتوسط لاسيما في فلسطين ولذلك كانت هذه الهدنة التي عقدهـا الملك الكامل فقط نهاية لصفحة من صفحات الصراع ارتبطت احداثها وامجادهـا بمصر ومدينتهـا دميـاط (٢) .

وغادرت الحملة الافرنجيـة خلال ايلول مواحل مصر بعد اربعة اشهر من الآمال العريضة التي باءت بالخيبة والهزيمـة (٣) فدخل المسلمون دمياط التي كان الافرنج قد بالغوا في تحصينهـا بحيث يصعب على اية قوة استرجاعها (٤) وتولى ادارتهـا الامير شجاع الدين جلدك الذي رفض تسليم الصواري التـي طالب بها الافرنج الابإعادة منبر دمياط الذي اهدوا كل قطعـة منـه الى ملك من ملوكهـم وعندمـا تعذر تسليم المنبر ((أعرضوا عن ذكر الصواري)) (٥) .

وأقام الملك الكامل بعد جلاء الافرنج احتفالا كبيرا في القصر الـذي بناه في المنصورة حضره عدد من الملوك الايوبيين والشعراء والقضاة ابتهاجـا بالنصر العظيم (٦) وتقدم الشعراء لتهنئة الملك الكامل واخوته علـى

---

(١) Lane - poole, History of Egypt , p. 224 .

(٢) عمـارة : معارك العرب ٨٠ .

(٣) Lane-poole, History of Egypt, p. 224 .

(٤) ابن الاثير الكامل ٣٣١/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٩٩/٤ ؛ ابو الفـداء : المختصر ١٣٠/٣ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٩٩/٤ ـ ١٠٠ .

البطولة النادرة التي اثبتوها بجدارة فائقة (١) وتبارى الشعراء بالقاء القصائد التي تعبر عن فرحة النصر وبمدح الملوك الايوبيين ، الكامل والمعظم ، والاشرف وحفلت ببطولات الاخوة الثلاثة واكدت على روح الوحدة والتضحية التي غمرت الايوبيين في تصديهم للافرنج (٢) وكان شرف الدين بن عنين (٣) اول من ارسل قصيدة يهنئ الملك الكامل وعدت قصيدته درة الدرر فقد اطرى جمال الدين الشيال هذه القصيدة بقوله : ((نحس ان قائلها شاب باسل في عنفوان شبابه خاض غمار الوغى وامتطى صهوة الجياد وامتشق الحسام)) (٤) .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٢١/٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٠٠/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٣٠/٣ ؛ المقريزي : السلوك ج ١/ق ٢٠١/١ - ٢١٠ .

(٢) ابن ايبك : كنز الدرر ٢١٥/٧ - ٢١٤ ؛ المقريزي : السلوك ج١/ ق١/ ٢١٠ وجاء في ابيات القصيدة مايلي :-

ونادى لسان الكون في الارض رافعا — عقيرته في الخافقين ومنشدا

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه — وموسى جميعا يخدمون محمدا

ينظر ديوانه ١٠٨ .

(٣) سوف يرد الحديث عن سيرته في الفصل الرابع ضمن الحياة الثقافية في عهد الملك الكامل ، ص

(٤) الشيال - جمال الدين : دراسات في التاريخ الاسلامي (بيروت ١٩٦٤) ٧٠ وجاء فيها مايلي :-

سلو صهوات الخيل يوم الوغا عننا — اذا جهلت اياتنا والقنا اللدنا

غداة التقينا دون دمياط جحفلا — من الروم لايحصى يقينا ولاظنا

قد اتفقوا رأيا وعزما وهمة — ودينا وان كانوا قد اختلفوا لسنا

ينظر ديوان ابن عنين (دمشق ١٩٤٦) ٢١ - ٣٠

وهكذا انتهت الحملة الافرنجية بالفشل الذي يعود سببه الى القيادة العسكرية المتمثلة بالملك الكامل الايوبي وبسالة عسكره فقد كانت للروح القتالية التي تمتع بها المقاتلين وصمود اهالي دمياط دور كبير في افشال مخططات الافرنج الذين حاولوا بشتى السبل السيطرة على مصر ، اضافة الى اتخاذ القوات المصرية النيل ركيزة دفاعية ملائمة ، فضلا عن الانقسامات التي حدثت بين صفوفهم بسبب اختلاف مصالحهم الشخصية ، والشاهد التاريخي الذي يؤكد لنا دور الخلاف في فشل الحملة ماقاله باركر : ((ان اللوم يقع على فردريك الذي لم يحضر لأهميته الكبيرة ولكن لسوء الحظ آثر ان يلتفت الى تنظيم ممالكه بصقلية كما ان المندوب البابوي رفض ان يوافق جان دي بريين على قبول عرض الملك والاسبتارية[1] لانهما ارادوا الترك والشوك[2]

---

(١) الاسبتارية : والكلمة تحريف للفظ الافرنجي (Hospitallers) وكان يطلق في عصر (الحروب الصليبية) على طائفة من الفرسان الدينيين وكان نظامهم اول مسيرة نظام بوليسي اي من شرطة عسكرية لقطاع الطرق ، وذكر انها اسست من اجل القيام بحرب المسلمين ينظر : المقريزي : السلوك ج ١ق١/٦٨ (الحاشية الرابعة)

(٢) باركر ارنست : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ط ٢ (بيروت : ١٩٦٧) ١١٠.

ب :- العلاقات السياسيـــة

١- الامبراطور فردريك الثاني والاوضاع السياسية قبل توجهه الى الشـرق :

لابد من القاء الضوء على اوضاع مصر والشام وعلى شخصية الامبراطور فردريك ليتسنى لنا معرفة الظروف التي ادت بالملك الكامل الى تسليم بيـت المقدس للافرنج سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م .

اذا اخذنا الظروف السياسية للايوبيين في مصر وبلاد الشام لوجدنا ان الوئام والتعاون الذي كان بين ملوكهم سنة ٦١٥ هـ - ٦١٨ هـ / ١٢١٨- ١٢٢١م سرعان ما انفرط عقده بسبب الاطماع الشخصية التي ظهرت لديهـــم وادى الى اختلال ميزان القوى، ومن ثم الى تحالف الملك المعظم مع الخوارزمية(١) وكان هذا الحلف لدوره الضاغط على الملك الكامل ليضم له حلفا من الامبراطور فردريك الثاني .

ان اعطاء فكرة عن شخصية الامبراطور فردريك الثاني لها اهمية بالغة فـــي ابراز رغبته في القيام بحملة جديدة تستهدف الاستيلاء على بيت المقـــدس، ((تعد حياة فردريك الثاني احدى اهم النقاط المثيرة للجدل في تاريخ اوربـــا باسرها ، فقد عاش عند مفترق الطرق التي تفصل الشرق عن الغرب وشملت امبراطورية المانيا بكل مقاطعاتها فضلا عن ايطاليا وصقلية)) (٢) وهو ينحدر من عائلة هونشتاوفن(٣) من اب الماني هو هنري السادس، وام نصف ايطالية هي كونستانس وريثة عـــرش صقلية (٤) وقد تمكن هنري السادس من الاستيلاء على مملكة صقلية باســـم زوجته كونستانس واقام بصقلية ، وبعد وفاته سنة ٥٩٥ هـ/١١٩٨م تم تتويـــج ارملته كونستانس في بلرمو على عرش صقلية الا ان المنية عجلت بوفاتها ايضـــا في نهاية سنة ٥٩٥ هـ /١١٩٨م تاركة ابنها الذي لايتجاوز الثالثـــــــة .

(١) ينظر الفصل الثاني ص٥٢-٧٢

(٢) Kantsrowicz, Ernist: The Regin and lifeof Friedrich II, Manetus Apulien, Bonn,1985 p.119-122

(٣) عاشور : اوربا العصور الوسطى ١٩٣/١ .

(٤) الطيبي - امين توفيق : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس (تونس، ١٩٨٤) ٦٧ ؛ عاشور : الامبراطور فردريك الثاني والشرق العربـــي ، (المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادي عشر ١٩٦٣) ١٦٦ .

من العمر تحت وصاية البابا أنوسنت الثالث (١) وقد عاش الامبراطور في صقلية وتميز منذ طفولته بميل خاص نحو الشرق وبولع بأساليب الحياة الشرقية وأتقن اللغة الايطالية والالمانية والعربية • وربما كان اتقانه العربية أكثر من الالمانية لكون جزيرة صقلية جزءاً من العالم العربي الاسلامي من الناحية الحضارية كما أن العرب المسلمين كانوا اغلبية بين سكانها في ذلك الوقت(٢) وكان يتحدث باللغة الفرنسية واليونانية واللاتينية ايضا (٣) وفي النصف الاول من القرن الثالث عشر اعتلى بمساعدة البابوية عرش الامبراطورية الالمانية وقد شهد ذلك القرن نزاعا بين السلطتين الدينية والدنيوية لسيادة العالم (٤).

وتجسد هذا النزاع في شخصية فردريك والبابوية • فقد رفض فردريك الانصياع لنزعة البابوية الى الاستئثار بالسلطتين الدينية والدنيوية هذا من ناحية • ومن ناحية اخرى فقد عارضت البابوية توحيد فردريك صقلية والمانيا لأن ذلك التوحيد قد ادى الى تهديد ممتلكاتها في ايطاليا (٥) وظلت البابوية تنظر الى فردريك نظرة ريب بسبب علاقته القوية الودية مع ملوك العرب وقد وصلت تلك العلاقة الى اتخاذه قسما من العرب حرسا خاصا له لحمايته من دسائس البابا(٦) وكانت صقلية في تلك الحقبة التاريخية تزخر بمعطيات وآثار الحضارة العربية التي ازدهت الامبراطور فردريك وجعلت بلاطه ذا سمة عربية اكثر من سمته اليونانية وكان لشخصيته اثر كبير في جعل الحضارات العربية واليونانية واللاتينية تعيش جنبا الى جنب في تسامح وسلم في صقلية (٧) أن هذه الخلفية الموجزة عن فردريك ستفيدنا فيما بعد ولاسيما بعد زيارته للشرق تلك التي انتهت برفد العالم الاوربي بمعطيات الحضارة الاسلامية •

---

(١) احمد عزيز : تاريخ صقلية الاسلامية • ترجمة : امين توفيق الطيبي (الدار العربية للكتاب : ١٩٨٠) ٩٤ •

(2) Kantorowicz, Ernist, OP. Cit., P. 122.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣ /٢١٢ •

(٤) عاشور : اوربا العصور الوسطى : ٣١٤ – ٣١٥ •

(٥) الطيبي : دراسات وبحوث ٦١ •

(6) Kantorowicz , Ernist, OP. Cit ., P. 122 .

(٧) الطيبي : دراسات وبحوث ٦٩ •

٢- الاتصالات التي تمت بين الامبراطور فردريك والملك الكامل وتسليم بيت المقدس

أما عن الظروف التي جعلت الامبراطور فردريك الثاني يتجه الى الشرق فهي تبدأ منذ الوعد الذى قطعه البابا بعد تتويجه امبراطورا على روما بالمشاركة في الحملة الخامسة المتجهة الى دمياط سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م (١) ولكن الامبراطور أخذ يماطل في تحقيق وعده الذى كانت البابوية تنتظره بفارغ الصبر ، وقد علل (عاشور) سبب مماطلته تلك بالخروج بحملة جديدة الى الشرق بعدة اسباب منها خوفه ان يترك بلاده ، وحرصه على الا يدخل في حرب مع المسلمين لان امبراطوريته في المانيا وايطاليا كانت تعيش حالة صراع فقد اشتدت سطوة كبار امراء الاقطاع في المانيا وتألبت المدن اللمباردية في شمال ايطاليا عليه ، فضلا عن رغبة البابوية في التصدي له ومحاولتها احتلال الكوارث بالمانيا وايطاليا (٢) ، اما بالنسبة لعدم رغبته في الدخول في حرب مع المسلمين ، فيرجع الى تأثره بالاسلام وتسامحه مع المسلمين في الوقت الذى اشتدت فيه كراهية الغرب الاوربي للعروبة والاسلام (٣) والشاهد التاريخي على ذلك ماقاله ابن واصل فقد وصفه بانه كان ((مائلا الى المسلمين لان مقامه في الاصل وعامة بلاد صقلية .. واهل تلك الجزيرة مسلمون)) (٤) وتصرفاته التي قام بها في بيت المقدس كانت خير دليل على تأثره بالاسلام والمسلمين وهذا ماسنوضحه تباعا واضاف عاشور سببا آخر هو كراهية فردريك للبابوية والكنيسة الغربية التي ناصبته واباه العداء (٥) ومما زاد من هذه الكراهية اقامته في الشرق وسوء الظن مركز الخليفة عند المسلمين فأجابه فخر الدين (٦) ابن شيخ الشيوخ بان نسب الخلفاء يرجع الى الرسول محمد (ص) وان الخلافة مستمرة في بيت النبوة (٧) فأعجب الامبراطور بهذا النسب الذى يتنافى مع البابا الذى لم تكن له علاقة مع المسيح

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ٢/ ٩٦٢.
(٢) عاشور : اوربا العصور الوسطى ج ١/ ٣١٦ -٣٤٢ والامبراطور فردريك والشرق العربي ١٩٨.
(٣) عاشور : الامبراطور فردريك والمشرق العربي ١٩٨.
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٣٤.
(٥) عاشور : الامبراطور فردريك والمشرق العربي ١٩٩
(٦) ورد ذكره في الفصل الاول ، الهامش (٢) ص ١٥.
(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٥١.

ولكنه يدعي الحق الشرعي في حكم المسيحيين (١).
ولم يستطيع الامبراطور فردريك الماطلة بعده أكثر من ذلك فقد سعى البابا هونوريوس الثالث الى اتمام زواجه من وريثة بيت المقدس ايزابيلا يولندي ابنه جان دي برين وتم الزواج سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م (٢) وبهذا حصل فردريك على لقب ملك بيت المقدس (٣) وفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥ م التقى في سان جرمان بمندوبين بابويين ووعدهما بأنه سوف يقود حملة جديدة ويتجه بها الى الشرق (٤) وتعهد ايضا سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م للبابا بادراة الحرب ضد الشرقيين لسنتين كما أمر بأن يبقى الف فارس افرنجي في بلاد الشام خلال تلك السنتين لخدمته الخاصة أودفع خمسين ماركا مقابل أي مقاتل يتطوع لأكمال هذا العهد . كما وافق على تجهيز خمسين سفينة سلحة ومائة سفينة أخرى لنقل المشاة تكفي لحمل عشرين الف مقاتل مع ثلاثة فرسان بكل سفينة ومعهم خدمهم ومرافقوهم وليؤكد حسن نواياه وضع مائة الف أوقية من الذهب في خزينة هرمان سالزا في روما على أن تعاد هذه الاموال اليه حال وصوله عكا لتسديد تكاليف الحربية واذا أخفق بسبب من الاسباب كالموت مثلا فتكرس هذه الاموال لاحتياجات القدس وأقسم على هذه الشروط واعلن في الوقت نفسه أن من ينكث بهذا القسم يستحق عقوبة الحرمان من الحقوق الدينية . فوافق الامبراطور ايضا على قرار العقوبة بصورة طوعية (٥).

ان شروط الاتفاقية تعد فريدة من نوعها من ناحية القسوة والصرامة لأن الامبراطور فردريك قدم موارد امبراطوريته الى البابوية بسخاء وتحمل مسؤولية لم يقدر العالم الاوربي كله على حملها

(١) عاشور : الامبراطور فردريك والشرق العربي ٩١ .
(2) Lane-poole, History of Egypt , P. 223, Setton .. OP .Cit ., P. 138 .
(3) Parmo., E.B., Vol. 5, P. 307

(٤) رينسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣/٢١٥ .
Setton, Ahistory of the crusades Vol., II.P. 40

ولم تحتو الشروط على اية فقرة تعفيه من العقوبة حتى المرض الذي لا يقبل ان يكون عائقا في سبيل تنفيذ ه الحملة • اما في حالة وفاته فان ابنه مسؤول عن تنفيذ هذه الحملة • ولم تنفذ هذه البنود في عهد اينوسنت الثالث المتشدد وانما نفذت خلال بابوية هونوريوس الثالث الذي اتصف بالسهولة • ومن المدهش ان فردريك نفسه الذي يعد اكثر الحكام استقلالية في القرون الوسطى قد قبل بصورة طوعية هذه المسؤولية (١) .

وعلى الرغم من القرار الذي كان قد قطعه على نفسه سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥م غير انه لم ينفذ من ذلك شيئا بسبب المشاكل التي اجتاحت ايطاليا والمانيا • ولكن وفاة البابا هونوريوس الثالث ومجيء البابا جريجوري التاسع الذي امتاز بصرامته وتعصبه قد ادت به الى اعداد العدة للاتجاه الى الشرق وظل طوال صيف سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م يحشد جيشا كبيرا في ايوليا (٢) .

وشاء القدر أن يؤجل الامبراطور هذه الحملة مرة اخرى فقد انتشر مرض الطاعون في صفوف جيشه • فأودى بحياتهم واصيب هو ايضا بهذا المرض (٣) فقرر العودة الى بوتشولي للاستشفاء في عيونها المعدنية (٤).

ولم يقتنع البابا جريجوري التاسع بما حدث للامبراطور فأصدر قرار الحرمان من الكنيسة ودعا الى حملة لمحاربته في اوربا في وقت كان فيه فردريك نفسه في الشرق (٥) ولم يكن ذلك بسبب المماطلة وانما بسبب خوف البابا نفسه من سياسة فردريك اتجاه البابوية (٦) ان العقوبة التي اصدرها البابا

---

(1) Setton ., Ahistory of the crusades Vol., II,P. 440

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٢١٦/٣ - ٢١٧.

(3) Atiya., Op. Cit., P. 88

(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٢١٧/٣.

(٥) فشر - هـ آ - ل : تاريخ اوربا العصور الوسطى • ترجمة : محمدمصطفى زيادة : • السيد الباز العريني • ط ٥ (القاهرة : ١٩٦٦) ق ٢٥٢/١.

(٦) عاشور : دراسات وبحوث في تاريخ العصور الوسطى ١١٨.

بحـــــــــق فرد يـــــــــــاء لـــــم تثنه عن عزمـــــــه
فأبحر سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م الى بلاد الشام على ظهر سفينة صغيرة يقودها
بحار مسلمون انطلقت من صقلية وبصحبته ٦٠٠ فارس (١) وصفهم جريجوري
التاسع بانهم اكثر قرصنة واتباعا لمحمد (ص) من اتباعهم لملكه وجنده الافرنج (٢)
وكان لتصرف البابا اثر كبير في تجريد فردريك من مساعدة العديد من الاوربيين
فقد رفض فرسان الاسبتارية قيادته ولم يكن في الشام يومئذ من يرغب باسترداد بيت
المقدس (٣) علاوة على ان البابا قد اراد العمل بكل وسيلة لافشال حملة الامبراطور
فأرسل الى الملك الكامل يطلب منه عدم التنازل عن بيت المقدس للامبراطور فردريك
الثاني (٤).

وعندما اتجه الامبراطور فردريك الى المشرق لم يكن راغبا في شن حرب
وانما اراد ان يصل اتفاق مع الايوبيين وهذا ماحدث فعلا.
ونود ان نبين هنا أن الاتصال الذي حدث سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٢٦م بين الملك
الكامل والامبراطور فردريك ، لم يكن اول اتصال فقد سبقته اتصالات دارت حول
المعاهدات التجارية المبرمة بين الطرفين فلقد ارسل الامبراطور سنة ٦١٢ هـ/
١٢١٥ م أسقف مدينة بيالرالى الملك الكامل الذي كان نائبا عن ابيــــه ،
يطلب منه تجديد المعاهدات التجارية المعقودة بين صقليا ومصر (٥) واستمرت
العلاقة الوديـة بيـن الطرفين ، مما ادى بالملك الكامل الى طلب المساعدة
من الامبراطور فردريك الثاني ، وذلك بارساله سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٢٦م فخر الدين
رسولا يطلب منه المجيء الى عكا لمساعدته في التصدي لاطماع الملك المعظم
الذي تحالف مع الخوارزميـــة وذلك بعد تجديد عرضه للامبراطور فرديـــــاء
بما قدمه للافرنج بعد استيلائهم على دمياط سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م وذلـــك
بالتخلي عن بيت المقدس وبلاد الســـــــــاحل (٦).

---

(1) Lane-Poole, History of egypt, P.225, Atiya, op Cit., 998.

(2) Lane- Poole, History of Egypt., P. 225 .

(3) Lane- Poole, History of Egypt ., P.225 .

(٤) هونكه سيغرد : فضل العرب على اوربا ، ترجمة : فؤاد حسين علي (القاهرة : ١٩٦٤) ٣٣١.

(٥) العدواي: الحرب والسلام ٨٠.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٠٦/٤ ـ ٢٠٧ ؛ ابوالفدا : المختصر ١٣٨/٣ ؛ ابن الوردي : تاريخه ٢١٣/٢ ؛ المقريزي: السلوك ج ١/ق١/ ٢٢٣.

واستجاب الامبراطور لطلب الملك الكامل ، فارسل قبل مجيئه الى بلاد الشام رسولا يحمل اليه هدية سنيه فيها عدة خيول منها ((فرس بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر)) (١) .

ان استجابة الامبراطور لطلب الملك وارساله الهدية الكبيرة له دلالة تاريخية على ان الامبراطور فردريك كان ميالا منذ البداية الى أن يكون السلام طريقه الى أخذ بيت المقدس وفكرة تسليم بيت المقدس لم تكن يومئذ جديدة ، فقد سبق أن عرضها ريتشارد على السلطان صلاح الدين والملك العادل ولكنها لم تنفذ (٢) .

واستقبل الملك الكامل رسول الامبراطور استقبالا عظيما ولدى عودة الرسول الى الامبراطور فردريك ارسل معه جمال الدين اسماعيل بن منقذ الشيزري يحمل جوابا وهدية من تحف الهند واليمن والعراق والشام وجواهر بعشرة الاف دينار مصري (٣) وكانت الهدايا التي تبادلها الطرفان دلالة على اتفاق مصالح الطرفين .

وقبل مغادرة رسول الامبراطور فردريك ، بلاد الشام اتجه الى الملك المعظم يعرض عليه فكرة تسليم بيت المقدس ، فرفض الملك المعظم قائلا : ((انا ماشئ للفرنج الا السيف)) (٤) وهذا التناقض بين موقف الملكين الايوبيين يكشف الاغراض السياسية والمصالح الشخصية المختلفة لكل منهما .

وقد وصل الامبراطور فردريك الثاني سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م الى بلاد الشام واقام بعكا (٥) وحين استقر مقامه فيها ارسل

---

(١) المقريزي : السلوك ج ١/ق١/٢٢٣ .
(٢) ينظر : لامب : شعلة الاسلام ٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(٣) المقريزي : السلوك ج ١/ق١/٢٢٣ .
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٣/٨ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٨٤/٧ .
وقد أورد ابو شامة النص نفسه ، ولكنه ذكر بدل : (الفرنج) كلمة (العزيز) ولعل المقصود بها الملك الكامل ، وينظر : ذيل الروضتين ١٥١ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ٤٧٧/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢٢٣/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٤١/٣ .

اليه الملك الكامل صلاح الدين الاربلي (١) رسولا لاجراء مباحثات تسليم بيت المقدس وبعد انتهاء الزيارة كتب الصلاح الاربلي الى الملك الكامل بيتين من الشعر يبين فيهما رأيه في هذه المباحثات جاء فيهما :ـ

زعم الزعيم الانبرور بانه ... ملم يدوم لنا على اقواله
شرب اليمين فان تعرض ناكثا ... فليأ كلن فداك لحم شماله (٢)

ويتضح لنا مما سبق ان الامبراطور فردريك رحب باقامة علاقات ودية مع الملك الكامل واعتقد ايضا ان السلم سوف يدوم بين الطرفين بعد ان الرسول اكد له : انه اذا خالف الاتفاق سيلقى مصيرا يقضي عليه وعلى ملكه .

---

(١) صلاح الدين الاربلي : ابو العباس احمد بن عبد السيد ابن قحطان الاربلي ، الملقب بصلاح الدين ، كان حاجبا عند مظفر الدين كوكبري صاحب اربل ، انجه سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م الى بلاد الشام ومنها الى مصر وتمكن بجهوده ان ينال منزلة كبيرة ووصل الى منصب لم يصله غيره من الذين خدموا الملك الكامل .
ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥ /١٨٤ ـ ١٨٥ .
في حين ذكر السعداوي : ان الملك الكامل ارسله سنة ٦٢٠ هـ /١٢٢٣م الى الامبراطور فردريك : لتقرير قواعد العلاقة الودية بينهما وذكر ايضا في الشعر بدل الزعيم كلمة ((اللعين)
ينظر : السعداوي : الحرب والسلام ٨٠ نقلا عن ((اماري ، المكتبة الصقلية ، ذيل الباب الثاني والسبعين من كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ص ١٩)) .ـ
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥ /١٨٦ .
وقد تكون كلمة (الزعيم) تصحيفا لكلمة الرتيم وهي كلمة سباب بقرينة اللعين وربما تكون الزعيم بمعنى مزعوم ، اي : دعي .

وفي الوقت نفسه ، استغل الامبراطور وفاة الملك المعظم سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م فقام سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م بالاستيلاء على صيدا التي كانت مناصفة بين المسلمين والافرنج (١) .

وكان لهذه الوفاة ، اثر كبير في تغيير مجاري المباحثات ، فنحن نعرف ان الملك الكامل كان قد استدعى الامبراطور عندما كان خائفا من اخيه الملك المعظم اما الان وقد توفي الملك المعظم فقد زال الخطر الذي يشكله اكبر منافس له فانتفت الحاجة الى مثل هذا القرار .

وشعر الامبراطور فردريك الثاني بالتغيير الذي حصل لدى الملك الكامل فأرسل اليه رسولا يوضح له اصراره على طلبه بتسليم بيت المقدس ويذكره بان هذا العرض كان قد عرض على نائبه جان دبرين في اثناء حصار دمياط ونائبه اقل منزلة منه فكيف يتراجع الملك الكامل الان عن ذلك ويرفض ماتم الاتفاق عليه (٢) ان كلام الامبراطور فردريك لم يكن خاليا من الوقاحة والغرور .

ولم يجزع الامبراطور فردريك الثاني من رفض الملك الكامل وانما استمر بارسال الرسل اليه ، ولاسيما وان وفاة الملك المعظم قد احدثت تغييرا في الظروف السياسية لصالح الملك الكامل فقد ترك الملك المعظم ابنه الملك الناصر داود وريثا له فتمكن الملك الكامل من انتزاع حكم بيت المقدس منه وفي نفس الوقت اتفق مع اخيه الاشرف على حصار دمشق (٣) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨ وابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٣٥ .

(٢) المقريزي : السلوك ج ١ / ق ١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . ولقد اورد لامب نصا يشبه ماذكره المقريزي جاء فيه ((عند حصار الصليبيين لدمياط ، عرضتم عليهم اعادة فلسطين باسرها وليس بامكانك الان ولاشك ان تقدم لي اقل مما وعدت به الفرنجة الاخرين ولو كنت اظن انك لم تقدم لي هذا الامتياز لما جئت وليس من مصلحتك ان تخيب آمالي)) . ينظر لامب : شعلة الاسلام ٤٣٨ .

(٣) ينظر الفصل الثاني ص ١٣٢ .

ونتصل الملك الكامل فعلا من وعده الذي كان قد قطعـــه للامبراطور فردريك مما ادى بفردريك الى استغلال محاصرة الملك الكامل لدمشق وارسال الناصر داود قوة عسكرية الى نابلس لقطع خط المواصلات الخلفيـــة من الملك الكامل [١] بالانتقال في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م من عكا الى يافـــا التي حصنها نتيجة معرفتهان الوصول الى تسوية نهائية قد يستغـــرق وقتا طويلا ولاسيما ان مراحل المفاوضات غير محدودة ، ومما زاد من حراجـــة موقف الملك الكامل خطر تحالف محتمل بين الامبراطور فردريك والملك الناصر داود[٢]. ولم يتأثر الملك الكامل بهذه المناورات العسكرية ، وانما قطع مفاوضاته العسكريـــة مع فردريك [٣] واشترط لاستئنافها دفع تعويضات عن خسائر المسلمين [٤] وايقـــن الامبراطور فردريك ان الملك الكامل عازم على عدم تسليمه بيت المقدس ، فالتجـــأ الى استخدام اسلوب الاستعطاف حتى انه كان يبكي في بعض مراحل المفاوضـــات[٥] بعد ذلك ارسل اليه كتابا لا موضحا فيه ظروفه جاء فيه ((انا عتيقك وتعلم انـــي اكبر ملوك الفرنج وانت قد كاتبتني بالمجيء وقد علم البابا والملوك باهتمامـــي فان رجعت خائبا انكسرت حرمتي وهذه القدس هي اصل دين النصرانية وانتم قـــد خربتموهـــا وليس لها طائل فان رأيت ان تنعم علي بقصبة البلد ليرتفع راسي بين الملوك وانا التزم بحمل دخلها لك فلان لـه الكامـــل ...))[٦].

ولقد خلق استعطاف فردريك الثاني جوا نفسيا اثر على الملك الكامل الذي عرف بتسامحـــه ، فضلا عن الاخطار التي كانت تحيط به من قبل الملك الناصر داود والخوارزمية الذين استنجد بهم الملك الناصر من جهة والافرنج من جهة اخرى [٧] علاوة على انه قد وعد الامبراطور باعطائه القدس حتى ان المقريزي وصف حالـــه بالقول : ((فتحير الملك الكامل ولم يمكنه دفعـه ولا محاربتـــه))[٨]

---

(١) رينسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣/٢٢٦ - ٢٢٠.

(2) W.B. Stevensor , M.A., The Crusaders in the East Cambridge University Press, 1958 , P. 311 .

(٣) السعداوي : الحرب والسلام ٩٣ .

(٤) رينسيما : تاريخ الحروب الصليبية ٣/٢٣٠.

(٥) عاشور : الحركة الصليبية ٢/٤٦١.

(٦) الذهبي : العبرة ٥٤/١٠٢.

(٧) عاشور : الحركة الصليبية ٣/٤٦٧.

(٨) المقريزي : السلوك ج ١ ق ١/٢٢٦.

ويحسن بنا قبل الحديث عن شروط تسليم بيت المقدس، ان نشير الى ان اتصالات الامبراطور فردريك الثاني لم تكن مع الملك الكامل فقط، بل شملت بقية الملوك الايوبيين في الشام، ومما يؤكد ذلك ما اورده القلقشندي من الرسالة التي بعثها الملك الجواد الايوبي [١] ردا على الرسالة التي ارسلها اليه الامبراطور وفيها ((واما ما ذكره المقام العالي السلطاني الكاملي الناصري ... من أن لافرق بين الملكين فهذا هو المعتقد من صدق عهده وخالص وده)) [٢].

وعقد الملك الكامل في ٦٢٧ هـ/ ١٨ شباط ١٢٢٩ م اتفاقية مع الامبراطور فردريك وحضر مراسيم توقيع الاتفاقية في يافا من الجانب الايوبي فخر الدين واخوه كمال الدين ، والشريف شمس الدين الارموي قاضي العسكر [٣]، والصلاح الاربلي ، والامير صفي الدين بن سودان [٤] ومن جانب الافرنج (هرمان فون سلزا) رئيس الطائفة الالمانية ، و (توماس فون اكين) ، و (الجراف فون اكير) [٥]

---

(١) الملك الجواد : يونس بن مودود بن محمد بن أيوب الملك الجواد مظفر الدين بن العادل خدم عند عميه الملكين الكامل والمعظم وفارق الملك الكامل في حصاره لدمشق وعند وفاة الملك الكامل تسلم دمشق الا ان الملك الصالح اخذها منه وعوضه عنها بسنجار ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ٣٦٦/٤.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ١١٧/٧ - ١١٨ ؛ عاشور : الامبراطور فردريك والمشرق العربي ٢٠٤.

(٣) المقريزي : السلوك ج ١/ق١/ ٢٣٠.

وكتبت صيغة الاتفاقية باللغتين العربية والفرنسية [1]. ووقع عليها الطرفان واقسما يمين الولاء والاحترام، وبعدا سبوع وقع الامبراطور على بنود المعاهدة. اما الملك الكامل فغير معروف متى وقعها ومن المحتمل انه وقعها في الوقت نفسه [2] وبذلك تم تسليم بيت المقدس للافرنج في شهر ربيع الاول سنة ٦٢٧ هـ/١٢٢٩م [3].

وقد شملت الاتفاقية عدة بنود منها:

اولا:- (ان تكون بأيدي الافرنج القلاع والنواحي التي ملكوها وهي جملة: بيروت، وصيدا، وقلعة الشقيف، وقلعة تبنين، وقلعة هوابين، والاسكندرية، وقلعة الطور، واللجون، وقلعة كوكب، ومجدل، ويافا، واللد، والرملة وعسقلان، وبيت جبريل) [4] وان يبقى القدس خربا ولايجدد سوره وتكون قراه للمسلمين ويكون مقام الوالي المسلم في البيرة فضلا عن احتفاظ المسلمين بقبة الصخرة والمسجد الاقصى ويسمح للافرنج بالزيارة فقط [5] وتقام في المسجد الاقصى الجمعة والصلوات الخمس كل يوم [6] وعلى الملك الكامل ان يحافظ على الافرنج من ان ينالهم احد المسلمين مع استثناء بعض القرى ليستخدموها عند ما يتجهون من عكا الى القدس [7].

ان تامين الملك الكامل طريق الافرنج يدل على انه كان على يقين من ان ماتعمله كان خطأ كبيرا لايرضي المسلمين لذلك اراد تأمين الطريق حتى لايقوم المسلمون باعمال تدل على سخطهم لفعله اولا والانتقام والثأر من الافرنج بالقتل والاغتيال ثانيا.

---

(1) Gottschik., Al-Malik -Al Kamil, P. 157.
(2) Gottschik., Al-M. .. Al Kamil P. 157 .

(٣) ابن الاثير: الكامل ٤٨٢/١٢، ابن شداد: الاعلاق الخطيرة تاريخ لبنان والاردن ٢٢٤، ابن ايبك: كنز الدرر ٢٩٢
(٤) القلقشندي: صبح الاعشى ٤٢١/٣.
(٥) ابن واصل: مفرج الكروب ٢٤١/٤، ابو الفدا: المختصر ١٤١/٣، الانس الجليل ٤٠٦/١، الحريري: الاخبار السنية ٣٣٢، الذويهي تاريخ الازمنة ١١١.
(٦) ابن ايبك: كنز الدرر ٢٩٢/٧.
(٧) ابن واصل: مفرج الكروب ٢٤٢/٤.
Lane-Poole, History of Egypt, P. 227 .

ثانيـــا :ـ اطلاق سراح الافرنج وبضمنهم الاطفال الذين اسروا (١) فـــي حملة الاطفال السابقة (٢) وتعهد الامبراطور بالمقابل المشاركة في الدفاع عن الملك ضد أي عدو حتى لو كان هذا العدو من الافرنج كما تعهـد ايضا بأن حكام انطاكيا وطرابلس وحكام غيرهما من مناطق بلاد الشام لـن يتلقوا اية مساعدة من اية قوة خارجية ولاسيما من اوربا (٣) وان علـى هذه المعاهدة أن تستمر عشر سنوات (٤) ووقـع الاتفاق بيـن الطرفين • وذكر ابن واصل أن الامبراطور بعد ان أحس بالحرج الـذي سببه للملك الكامل قال لفخر الدين : ((لولا أخاف انكسار جاهـي عند الافرنج ماكلفــت السلطان شيئا من ذلك ومالي غرض بالقدس ولاغيره وانما قصدت أن احفظ ناموسي عندهـــــم)) (٥) وبعد أن تم الاتفاق أستأذن الامبراطور فردريـك الثانـي الملك الكامل لزيارة القدس فدخل المدينة المقدسة يوم السبت ٦٢٧ هـ / ١١ آذار ١٢٢٩ م ليتسلمهـا من بعد شمس الدين قاضي نابلس الذي ارسله الملك الكامـل معـــه ودخل يوم الاحد كنيسة القيامـة ووضع التاج بنفسه

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٤٢•

(2) Lane-Poole, History of Egypt, p. 227, Stevenson, OP. Cit,P. 312,Atiya ., OP.Cit,P.29

(3) Lane-Poole, HHistory of Egypt, P.227, Stevenson ., OP. Cit., P.312

(4) Lane-Poole, History of Egypt, P. 227, Stevenson, OP. Cit., P. 312 .

وكانت مدة الاتفاقيـة بالتاريخ الهجري عشر سنوات وعدة اشهر•
See: Atiya., OP. Cit., P.29 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٤ /٢٤٣•

على رأسه [١] أن قيام الامبراطور بتتويج نفسه ((له مغزى عميق اراد أن يعلن به بطريقة صامتة في تلك الكنيسة ذات الاهمية العظمى أنه لم يتلق التاج الامبراطوري من رجال الدين وانما تلقاه من الله مباشرة دون وساطة أحد من رجال الكنيسة)) [٢].

يضاف الى أن هذا التصرف يدل على قوة شخصيته فهو لم يهزه اي تصرف خطير قام به البابا بل زاده ذلك حماسا لاكمال مابدأه ذاهبا عرض الحائط بقرار البابا في حرمانه من رضا الكنيسة .

ولدى زيارة الامبراطور فردريك لبيت المقدس وشاهدته الاماكن المقدسة اعجبته عمارتها ولاسيما عمارة المسجد الاقصى وقبة الصخرة [٣] ولكنه قام ببعض التصرفات التي لفتت انظار المسلمين فعندما دخل المسجد الاقصى ((رأى قسيسا جالسا عند الصخرة يأخذ من الافرنج القراطيس جاء اليه وكأنه يطلب منه الدعاء ، ثم لكمه فرماه الى الارض وقال له " ياخنزير " السلطان قد تصدق علينا بزيارة هذا المكان وتفعلون فيه هذه الافاعيل القباح أن عاد منكم أحد الى هذا العمل قتلته)) [٤] كما أن الملك الكامل أوصى القاضي شمس الدين بأن يأمر المؤذنين بالا يؤذنوا بالحرم طول فترة اقامة الامبراطور ونسي القاضي ان يعلم المؤذنين فصعد المؤذن في تلك الليلة وقت آذان الصبح وقرأ ايات تخص النصارى كقوله تعالى ((ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا " لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)) [٥] وقوله تعالى ((ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) [٦].

وفي اليوم التالي لم يسمع الامبراطور صوت المؤذن فسأل عن السبب فأجابه القاضي بأن الملك الكامل قد منع المؤذن من ذلك فقال ((لقد اخطأتم ياقاضي ...

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ٢ / ١٧٠ ، باركر : الحروب الصليبية ١٢٤
Parne., S.R., Vol ., 5,P. 307, Lane -Poole ..
History of Egypt . P. 227 .

(٢) عاشور : اوربا العصور الوسطى ١ / ٣٤٨ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٤ / ٢٤٤ .
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٦٥٥ - ٦٥٦ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٧ / ٢٩٣ ، في حين ذكر ابن واصل بهذه الصيغة ان الامبراطور رأى قسيسا وبيده انجيل يريد دخول المسجد فمنعه قائلا ((نحن مماليك هذا السلطان الكامل وعبيده وانما تصدق علي وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام فيه فلا يتعدى احدا منكم طوره)) مفرج الكروب ٤ / ٢٤٤
(٥) القرآن الكريم : سورة المؤمنين - الاية ٩١ .

تغيرون انتم شعائركم وشرعكم ودينكم لاجلي ؟ فلو كنتم عندي في بلادي هل كنت ابطل ضرب الناقوس لاجلكم الله الله لاتفعلوا)) (١)

٢- موقف المسلمين والافرنج من اتفاقية تسليم بيت المقدس

لقي خبر تسليم بيت المقدس صدى كبير في نفوس أهل الشام فقد كان كارثة كبيرة اصابت الناس بالذهول . فعندما نودي بالقدس بخروج المسلمين وتسليم القدس للافرنج . اشتد التضجيج والبكاء في بلاد الشام (٢) وانكروا على الملك الكامل هذا العمل الذي يتنافى مع الفتح الكبير والاثر العظيم الذي سبق ان قام به عمه صلاح الدين عندما تمكن من تحرير بيت المقدس من الافرنج (٣) واستغل الملك الناصر داود هذا الموقف بالتشنيع على الملك الكامل لكي يكسب باقي الملوك الايوبيين الى جانبه لمساعدته في فك حصار دمشق فقد امر سبط ابن الجوزي في [illegible] بجامع دمشق وحضره جميع أهل دمشق . يذكر فيه ماجرى على بيت المقدس ويعظم بفضائله ومكانته في الدين الاسلامي (٤) وجاء في الوعظ مانصه ((وانقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين . ياوحشة المجاورين ! كم كانت لهم في تلك الاماكن من ركعة وكم جرت لهم على تلك الاماكن من دمعة تالله لو صارت عيونهم عيونا لما وفت... ياخجلة ملوك المسلمين لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات . لمثلها تنقطع القلوب من الزفرات لمثلها تعظم الحسرات)) (٥) وعندما سمع الناس ماذكره سبط ابن الجوزي اشتد البكاء والضجيج في دمشق وتحركت موهبة الشعر لدى الشعراء

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٥٧/٨ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٩٤/٧.
ذكر ابن واصل رد الامبراطور فردريك على منع الاذان قائلا : ((اخطأتم ياقاضي ... والله ان اكثر غرضي من المبيت في القدس ان اسمع اذان المؤذنين وتسبيحهم بالليل)) . مفرج الكروب ٢٤٥/٤.
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٥٤/٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢٤٣؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٩٣/٧ ؛ المقريزي : السلوك م ١/ق٢٣١/١.
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٣٤/٤.
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٥٤/٨.
(٥) سبط ابن الجوزي : ٦٥٤/٨ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٢.

قيلت في ذلك عدة قصائد مأساوية حزينة منها القصيدة البائية التي وازن بها سبط ابن الجوزي قصيدة دعبل بن علي الخزاعي وضمنها ابياتا من تلك القصيدة :ـ

على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الارض من صخرات
((مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات)) (١)

واتهم الملك الكامل (بتهمة الخيانة الكبرى) لان العالم الاسلامي لم ينس الدماء التي سالت في القدس ، وهو يرفض ان يتصافح مع الايدي الافرنجية الملطخة بالدماء (٢) وان الاماكن المقدسة قد قدمت بصورة اختيارية للكفار كما ان الحرية الممنوحة لهم في زيارة القدس لم تكن كافية لارضائهم وان الاستسلام لم يؤثر بصورة كبيرة على الوضع العسكري ذلك لان اللاتيين في الجنوب ولعشر سنوات كانوا يلتزمون الحياد بينما كانت الحرب سجالا بين طرابلس وانطاكيا (٣).

ولقد واجه الملك الكامل في اثناء بقائه في فلسطين مشاكل عديدة ، فقد قام المسلمون بشن الهجمات والاغارة على الزوار في القدس وفي الطرقات المؤدية الى الاماكن المقدسة (٤) وبلغت حالة الاحتجاج والتأنيب على الملك الكامل اوجها فقد اتجه ائمة ومؤذنو القدس الى مخيمه

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٤٦/٤ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٢ .
والبيت الثاني لدعبل الخزاعي وهي مطلع لقصيدة يمتدح بها ال البيت ينظر ديوانه : ٥٠ الحاشية الاولى .
وانشد شاعر آخر ابياتا من الشعر جاء فيها :ـ

عزيز علينا ان نرى القدس تخرب وشمس مباديه تزول وتغرب
وقلت له: منا الدموع لانتنه على مثله تجري الدموع وتسكب

الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٢ .
وحكي ان فقيرا بات بالقدس فسمع قائلا يقول :ـ

ان يكن بالشام قل نصيري وتهدمت ثم دام ملوكي
فلقد اصبح الفداة ترابي سمة العار في حياة الملوك

ينظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٥٥/٨ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٢ـ٣١٣ .
وقد صححنا البيت الاول ، لانه جاء في المرآة : دام ملوكي وفي الشفاء ان لم يكن ...

(٢) سيغريد : فضل العرب على اوربا ٣٣٥ .

((واذنوا على بابه في غير وقت الاذان)) (١) فغضب عليهم وعنفهم واخذ كل ما معهم من قناديل الفضة والالات وغيرها وقال لهم : (امضوا حيث شئتم) (٢)
ورأى الملك الكامل رفض المسلمين لهذه الاتفاقية فحاول ان يبرر هذه الفعلة بان قال ((انالم نسمح لهم الا بكنائس وآدر خراب ، والحرم وما فيه من الصخرة المقدسة وسائر المزارات بايدي المسلمين على حاله وشعار الاسلام قائم على ما كان عليه ووالي المسلمين متحكم على رساتيقه واعماله)) (٣) .

واستمر رفض الجماهير الاسلامية للاتفاقية ، وامتد الى درجة جزع منها الملك الاشرف فأرسل الى اخيه الكامل يلومه ويعاتبه فرد عليه بالقول : ((ما احوجني الى ذلك الا المعظم مشيرا الى ان المعظم قد اعطى الامبراطور من الاردن الى البحر واعطاه الضياع التي من باب القدس الى يافا وغيرها)) (٤)

في حين ذكر ابن ايبك النص بالشكل الاتي : ((ما أحوجني الى ذلك الا المعظم فانه اعطى الانبرور من الاردن الى البحر ، والضياع من باب القدس الى يافا ، فاحتجت أنا ان اعطيه القدس ايضا)) (٥) ولايخفى ما في كلمات الملك الكامل التي ينقلها سبط ابن الجوزي من التبرير وتخفيف وقع المصاب ، ولعل الملك الكامل قد اغفل انه هو الذي استدعى الامبراطور سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦ م لمساعدته في الحد من نفوذ اخيه الملك المعظم الذي ازداد بتحالفه مع الخوارزمية (٦) يضاف الى هذا ان مثل هذا العمل لايمكن ان يصدر من الملك المعظم ، وذلك لما اتسمت به سياسته من مواقف دونتها المصادر التاريخية على النحو التالي :—

---

(١) المقريزي : السلوك ج ١/ق ١/ ٢٣١ .
(٢) المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٣١ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ٦٥٤ .
(٥) ابن ايبك : كنز الدرر ٧/ ٢٩٣ وستيفن سيتر : تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس (ليدن ١٩١٦) ٢٣٠ .
الا انه ذكر في النص ((الا ان المعظم صاحب دمشق اخونا ... الخ)) .
(٦) ينظر الفصل الثاني ص ٦٢ ـ ٦٣ .

ان العلاقة بين الملك الكامل واخيه المعظم ، قد تأزمت الى درجة ان الملك المعظم اقام سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م حلفا مع الملك الاشرف كان من شروطه ان يكون الملك الاشرف معه على اخيهما الملك الكامل [١] وفعلا استدعى الملك المعظم اخاه الملك الاشرف ليساعده على الملك الكامل [٢]. غير ان الاشرف مال الى اخيه الكامل لاتفاق مصالحهما [٣] فضلا عن رفض الملك المعظم استقبال البعثة الالمانية كما ذكرنا سابقا ، وقيامه بتجهيز قوة عسكرية سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦م ارسلها الى نابلس خوفا من اتفاق الامبراطور مع الملك الكامل [٤] مع العلم ان الملك المعظم قد تمكن من الحصول على كتب الامبراطور عن طريق امرأة استخدمها لهذا الغرض [٥] وفي نفس الوقت طلب الملك المعظم من والي الشوبك ان يقوم بنفي راهب ، يعيش في احد جبالها . فنفذ الوالي طلبه ثم امره بعد فترة باعادة الراهب وتكريمه باعطائه قطعة ارض ومائة دينار تقديرا للخدمة التي اسداها للملك وذلك بحصوله على معلومات عن تحرك الامبراطور وان قرار النفي ماكان الا وسيلة اتبعها الملك المعظم يخفي بها طريقة حصوله على اخبار الامبراطور فردريك [٦].

اما بالنسبة للافرنج فقد اعربوا عن سخطهم لما فعله الامبراطور ، لاسيما نبلاء الافرنج فقد شعروا بالخزي والعار لانهم لم يحصلوا على بيت المقدس بقوة السلاح ومما زاد من غضبهم وسخطهم احتفاظ المسلمين بالمسجد الاقصى وقبة الصخرة وتذكروا ان الملك الكامل قد عرض عليهم في مفاوضات الحملة

---

(١) ينظر الفصل الثاني
(٢) ابو الفدا : المختصر ١٣٨/٣ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٣١١.
(٣) ينظر الفصل الثاني
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٧/٨ - ٦٤٨ ، ابن ابي عذيبه : مختصر التاريخ الكبير مخطوطة - ورقة ٣٧.
(٥) للمزيد ينظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٦/٨ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٢٨٠.
(٦) للمزيد ينظر : الحنبلي : شفاء القلوب ٢٨٠.

على دمياط اهانة للمعاهدين كلها ورفضوا ذلك لعدم موافقته على اعطائهم الكرك والشوبك، فضلا عن رفض فرسان الداوية والاسبتارية التعاون مع امبراطور محروم من رضا الكنيسة (١) ومما زاد من سوء موقفه الاهانة الفعلية التي تلقاها من البطريرك جيرالد الذي أعلن قرار تحريم القدس على الزوار الافرنج (٢) مع تذمر حكام الامارات الافرنجية من الفقرة التي تنص على قطع المساعدات الاوربية عنهم، وكان هذا البند يبدو انتقاما "قام به فردريك منهم لعدم ولائهم له" (٣).

ولقد واجه الامبراطور فردريك الثاني اعمال شغب واهانات، فقد عدت الاتفاقية تسوية مخزية واستسلاما يائسا (٤) فأخذ رجال الدين يحرضون على اعمال السلب والنهب، وبلغت الخصومة ذروتها عندما القى رجال الدين الاوساخ على الامبراطور وفرسانه (٥).

واختلفت الاراء في تحليل شخصيتي الملك الكامل والامبراطور فردريك الثاني وأثرهما في تسليم بيت المقدس، فقد ذكر الشيال أن الملك الكامل والامبراطور فردريك بشخصيتهما وثقافتهما يجسدان صورة واحدة تختلف عن العصر الذي عاشا فيه فغلبت عليهما شخصية الحاكم المثقف الذي لايلجأ الى العنف اذا ماتمكن من حل مشكلاته بالطرق السلمية، فالملك الكامل صورة شرقية من الامبراطور أن لم يكن الامبراطور صورة غربية من الملك الكامل (٦) في حين شبه باركر الحملة السادسة بأنها نوع من المساومة الحقيرة تمت بين الامبراطور فردريك المشهور بحريته الفكرية وميله نحو الشرق وبين الملك الكامل فهي ذات مظهر دنيوي ودبلوماسي مجرد من الدين (٧) في حين ان البابوية اتهمت

---

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣/٢٣١-٢٣٣.

(٢) Atiya., Op. Cit . P. 69

(٣) Stevenson., Op. Cit, P. 313 . Parmo., R.B., Vol 5. P. 367 .

(٤) LanePoole., History of Egypt .. P. 224 .

Stevenson., Op . Cit .. P. 313

(٥) سيغريد : فضل العرب على اوربا ٣٣٥.

(٦) الشيال : دراسات في التاريخ الاسلامي ٤٢.

(٧) باركر : الحروب الصليبية ١١٥.

فردريك بانضمام الكفار بدلا من أن يذبحهم (١).

واكد بول (Poole) ان هذه الاتفاقية على الرغم من ان بنودها أثارت استياء الطرفين في المعسكر الاسلامي والمسيحي الا ان مراعاة بنودها تجعل الملك الكامل يعتقد اكثر مما يخسر فالاراضي التي ضحى بها لم تكن ذات قيمة كبيرة لانه تمكن من الابقاء على الاماكن المقدسة من القدس للمسلمين بينما كانت فوائد تعهد الامبراطور بالدفاع مدهشة وكبيرة للغاية (٢).

ومع كل موجات السخط والانكار التي حدثت فقد تمت السيطرة عليها بمرور الايام • ووافقت جميع الاطراف عليها بعد تصالح البابا مع الامبراطور سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م واخذت الاتفاقية طريقها بوصفها واقعة تاريخية قبل بها الجانبان (٣).

وعدت الاتفاقية نقطة تحول في التفكير العالمي• فقد ظهر انصار يدعون الى السلام وحل المشكلات عن طريق المفاوضات لا القوة • فالسلام الذي حل بين اصحاب الديانتين الاسلامية والمسيحية جعلهم يسخرون من الحروب التي دارت بين الطرفين والشاهد على ذلك ماقاله سفير الامبراطور فردريك الثاني للبابا في مدينة ليون : ((في القدس وعلى مشهد من العالم اثبتت سياسة فردريك أن صداقة الامراء العرب وفرت كثيرا من اراقة الدماء المسيحية)) (٤)

---

(1) Lane-Poole., History of Egypt ., P. 227

(2) Lane - Poole., History of Egypt P. 227

(3) Stevenson ., OP. Cit ., P. 314 .

(٤) سيغريد : فضل العرب على اوربا ٤ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

ومن خلال الاحداث التي عاشها المسلمون تلحظ أن الملك الكامل قد أساء التصرف في تفريطه بالقدس على الرغم مما قدمه من مبررات لانه كان يساوم على بيت المقدس، كلما احس بالخطر يحيط به ويهدد مركزه، فكان حرصه على الاحتفاظ بحكم مصر يدفعه دائما الى الاستعداد لتقديم التنازلات للافرنج فقد سبق له ايام استيلاء الافرنج على دمياط، أن عرض عليهم فكرة تسليم بيت المقدس مقابل الانسحاب من دمياط.
يضاف الى هذا أن فكرة تسليم بيت المقدس وقد كان يطرحها دائما تتناقض مع مضيه ومبادئه فهو الذي قال سنة ٦٢٥ هـ/١٢٢٧ م أنه غير مستعد للتفريط ببيت المقدس في رسالة بعثها الى أخيه الملك الاشرف وقال: ((انني ماجئت الى هذه البلاد الا بسبب الافرنج فأنهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه ... وأنت تعلم أن عمنا صلاح الدين فتح بيت المقدس فصار لنا بذلك الذكر الجميل ... فأن اخذه الافرنج حصل لنا من ذلك سوء الذكر وقبح الاحدوثة مايناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا وأي وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى؟ ثم انهم مايقنعون بما اخذوه ويتعدون الى غيره...))[٢] ويبدو ذلك متناقضا مع قيام الملك الكامل بحبس الامير سيف الدين زكرى عندما اشار عليه بعدم تسليم بيت المقدس[٣]. يضاف الى هذا أن الموقف في بلاد الشام اصبح لصالح الملك الكامل بوفاة أخيه المعظم وأن الامبراطور فردريك عندما جاء الى بلاد الشام كانت القوة التي معه صغيرة ولابد أن الملك

---

(١) ابن الاثير: الكامل ١٢/٤٨٠ ، وينظر: القماشي: التجسد المسبوك ٢/٤٣٣ - ٤٣٤. كرد: خطط الشام ٢/٩١ ، حمادة: الوثائق السياسية ٤٠٧.
(٢) ينظر: الفصل الثاني ص ٣٢ - ٣٣.

الكامل بوفاة أخيه المعظم وأن الامبراطور فردريك عندما جاء الى بلاد الشام كانت القوة التي معه صغيرة ولابد أن الملك الكامل قد علم بحجمها عندما فاوضه الامبراطور وكان الافرنج في بلاد الشام مستائين من الامبراطور ولم يقف احد بجانبه فضلا عن رفض الافرنج في اوربا مساعدته فهو محروم من رضا الكنيسة بقرار من البابا [١] بل لقد قيل ان البابا جريجوري التاسع أمر حسرى رؤساء الداوية والاسبتارية بارسال رسول سري الى الملك الكامل يخبره بأن الامبراطور عازم على الحج مع عدد قليل وان الفرصة سانحة للقضاء عليه ولكن الملك الكامل لم يفعل شيئا [٢] ولقد كان بامكان الملك الكامل أن يكون بطلا عظيما فيما لو دخل معركة مع الافرنج وحافظ على بيت المقدس الذي يعد استرجاعه الأول من امجاد الايوبيين التي انجزوها بقيادة السلطان صلاح الدين الذي نوى في حياته كما تخبرنا رواية حوارية مع بهاء الدين بن شداد على أن يطرد آخر افرنجي في بلاد الشام ثم يتوجه بعد ذلك عبر البحر لمحاربة الافرنج في اراضيهم [٣] وتبدل المصادر التاريخية المعاصرة لصلاح الدين بأنه لم يعقد معاهدة صلح مع الافرنج وانما كان الهدف عنده عقد هدنة موقتة لاستجماع القوة والتموين ومواصلة الجهاد فيما بعد حيث يعود الى البلاد سكانها بمعارضها ((فاذا عادت ايام الحرب عدنا وقد استظهرنا وزدنا .....)) [٤].

ومما يزيد من حراجة موقف الملك الكامل ماكان عليه بيت المقدس من مركز ديني عظيم لدى المسلمين وخير دليل على قدسية هذا المكان الآية القرآنية الكريمة : بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) Lane-poole ., History of Egypt., P. 225.

(٢) الطيبي : دراسات وبحوث ٢٩.

(٣) ابن شداد بهاء الدين : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق: جمال الدين الشيال ط١ (القاهرة : ١٤١٢) ٢٠٣.

Stevenson.OP .Cit., P. 291 .

(٤) العماد الاصفهاني : الفتح القسي ٣١٣.

((سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى)) (١).

وجاء ابن شداد بالخطبة التي القاها صلاح الدين بعد فتح بيت المقدس وفيها ذكر لفضائل بيت المقدس ومكانته بقوله ((فهو موطن ابيكم ابراهيم ومعراج نبيكم عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام وهو مقر الانبياء ومقصد الاولياء .... وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله بالملائكة وكلمته التي القاها على مريم وروحه عيسى الذي كرمه الله برسالته وشرفه بنبوته ... وهو اولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين .... احذروا عباد الله ، بعد ان شرفكم الله بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل ... ان تقترفوا من مناهيه وان تأتوا عظيما من معاصيه فتكونوا كالتي ((نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا)) (٢)...(٣) .

ان الاتفاقية التي عقدت بين الامبراطور فردريك الثاني والملك الايوبي لم تنه حالة الصراع المستمرين الافرنج والايوبيين في بلاد الشام . فقد قام الافرنج في اواخر سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م بالاغارة على حصن بعرين ونهب ماتيه (٤).

وفي سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٣٠م حدث تصادم آخر بين الافرنج الذين خرجوا من حصن الاكراد الى حماة ، والتقى بهم الملك المظفر محمود صاحب حماة عند قرية افيون وتمكن من دحرهم واسر عددا منهم وعاد الى حماة منتصرا (٥).

---

(١) القرآن الكريم : سورة الاسراء الاية (١) .
(٢) القرآن الكريم : سورة النحل الاية (٩٢) .
(٣) ابراهيم ـ محمود : فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، ط١ (الكويت : ١٩٨٥) ٤١١ ـ ٤١٣ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ٤٨٨/١٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢٧٩/٤
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ٣٠٢/٤ ؛ ابو الفدا : المختصر ١٤٦/٣ ـ ١٤٧ .

وتكررت غارات الافرنج في بلاد الشام فقد اغاروا سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣١ م على جبلة [١] ثم اتجهوا الى ناحية المرقب وحصن بانياس، فتصدى لهم عسكر حلب بقيادة بدر الدين الوالي وعقدت اتفاقية بينهم وبين الاسبتارية والداوية في عشرين شعبان من تلك السنة [٢] واستمر فرسان الداوية والاسبتارية بحركاتهم في بلاد الشام الى ان تمكن الايوبيون سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٧ م من مقاومتهم والحد من نفوذهم [٣].

واستغل الافرنج انتهاء مدة الاتفاقية بين الملك الكامل والامبراطور فردريك الثاني بتوجيه حملة افرنجية سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م للاستيلاء على بيت المقدس [٤] وعندما سمع الملك الناصر داود بتوجيه الافرنج، اسرع الى بيت المقدس واخرج منها الافرنج [٥] الذين كانوا قد نقضوا بنود الاتفاقية بتحصين بيت المقدس وتجديد بناء اسوارها خلافا لاحد شروط الاتفاقية التي نصت على بقائها مهدمة [٦] ولم يتم التحرير النهائي لبيت المقدس الا على يد الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م بمساعدة الخوارزمية [٧].

ان تحركات الافرنج في بلاد الشام في تلك الحقبة من التاريخ وضعت المسلمين لاسيما سكان مصر وبلاد الشام في مرحلة التهيوء لمواجهة اي خطر يقومون به . ويظهر ذلك بوضوح عندما هيأ الملك الصالح نجم الدين ايوب قوى العرب المسلمين لصد

---

(١) ابن الاثير : الكامل ١٢/ ٥٠٤.
(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٣) للمزيد ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب : ٤/ ١٣١ ـ ١٣٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢.
(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣/ ٣٧١.
(٥) دحلان : الجزء الاول من الفتوحات الاسلامية ٣٤٧ ، متين : تاريخ سلاطين مصر والشام ٢٣٠.
(٦) ينظر الفصل الثالث ص
(٧) للمزيد عن دور الملك الصالح نجم الدين والخوارزمية ، ينظر : المقريزي السلوك ج ١/ ق ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧.

الحملة (١) التي قادها لويس التاسع للاستيلاء على دمياط (٢).

٤- استمرار العلاقة بين الملك الكامل والامبراطور فردريك

لم تنقطع الصلة بين الامبراطور فردريك الثاني والملك الكامل بل استمرت الرسل تتردد بين الطرفين ، فبعد عودته الى بلاده ، ارسل الامبراطور فردريك الى صديقه فخر الدين رسالة يبين له فيها شوقه اليه ولمجلسه الذي كان يحضره ويدعو له بالخير ودوام حكم الملك الكامل ، ثم يشكو له مافعله البابا فقد استولى على قلاع من املاكه واشاع بين الناس خبر وفاته وجاءت الرسالة على غرار الكتب الاسلامية مبدوءة بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم ..) (٣)

(١) الحملة الافرنجية السابعة : وهي الحملة التي اعدها ملك فرنسا لويس التاسع بهدف الاستيلاء على مصر ليعوض فشل الحملة السابقة في الاستيلاء عليها ، وقد اراد في الوقت نفسه التشبه بالامبراطور فردريك الذي تمكن بالطرق الدبلوماسية الحصول على بيت المقدس مع انتفاء وجه الشبه بينهما فالامبراطور كان محروما من رضا الكنيسة ومتهما بالهرطقة ، ولويس التاسع كان الاوربيون يقدسونه ، للمزيد ينظر : المقريزي : السلوك ج ١/ق٢/٣٣٣ - ٣٣٨ و ٣٤٦ - ٣٥١ ، العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، عصر السلاطين المماليك ، تحقيق : محمد محمد امين (القاهرة : ١٩٦٨) ١٧/١ - ٣١ ، يوسف جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر وهزيمة لويس التاسع في الاراضي المقدسة (الاسكندرية : ١٩٧١) ١٤٧.

(2) Ibn al Furat, Ayyubids , Mam likes and Crusaders, W. Heffer and Sons, Ltd., Cambridge, 1971, Vol., I, P.P. 11-21 .

(٣) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٨٤ - ٢٨٥.

واستمرت العلاقة قائمة بين الامبراطور فردريك والايوبيين ايضا حتى بعد وفاة الملك الكامل فقد ساندت قوة عسكرية مصرية سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م الامبراطور فردريك على اعدائه في اوربا (١). يقابل هذا المساعدة القيمة التي قدمها الامبراطور فردريك الثاني نفسه دليلا على حسن نيته ومحبته للمسلمين وماكان يكنه للملك الكامل وذلك بانه ارسل رسولا الى لويس التاسع يمنعه من القيام بالحملة التي قرران يوجهها الى مصر للاستيلاء عليها ويحذره من عواقبها بيد ان لويس لم يستجيب له (٢).

وبعد ان وجد الامبراطور فردريك اصرار لويس التاسع للقيام بهذه الحملة اخذ يشن هجمات داخل اوربا وخارجها لعرقلة هذه الحملة (٣) وأرسل احد موظفيه سرا بزي تاجر الى مصر للقاء بالملك الصالح نجم الدين ايوب وابلاغه بالحملة ليستعد لها، وقد تم التحذير بغاية السرية حتى لايكشف الافرنج موالاة الامبراطور للمسلمين (٤).

ومن اغرب مانجده في العلاقات الودية التي كانت بين الامبراطور فردريك والملك الكامل ان الامبراطور فردريك لم يخف محبته للملك الكامل وللاسلام بحسب مرور السنوات فعندما استولى الافرنج على ميورقة سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م استمر اهلها المسلمون في مقاومة الافرنج فيران الجزيرة تعرضت الى اسوء عمليات التعسف والاضطهاد فأسر عدد كبير من اهلها وتألم عدد كبير من ملوك الاسلام وغيرهم لما اصاب هذه

---

(١) الكناني مصطفى حسن محمد : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامي تقديم : جوزيف نسيم يوسف (الاسكندرية : ١٩٨١) ٣٤٣.
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٤٧/٤.
(٣) الكناني : العلاقات بين جنوه والشرق الادنى ٣٤٣.
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٤٧/٤ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ٢٦٥/٧ - ٢٦٦.

الجزيرة ومن عدد من الملوك فدية لاطلاق سراح هؤلاء الاسرى وماكان من الامبراطور فردريك الثاني الذى كان يكن التقدير والاعجاب للمسلمين الا أن يتطوع لانقاذ عدد من هؤلاء الاسرى [(١)]
وكانت رواية ابن خلكان خير مايعبر عن مشاعر الامبراطور فردريك تجاه المسلمين فقد قال :((كان عنده من الاسرى المأخوذين من مدينة ميورقة من الغرب عند استيلائه عليها جماعة فأحضرهم ... بين يديه وقال لهم بالاحتجاج قد اعتقتكم عن الملك الكامل وسيرهم مع قصاد نحوهم الى عكا وأمر بحل قيودهم عند قبره واطلاق سبيلهم)) [(٢)] .

ولايخفى مافي هذه الرواية من المبالغة لأن المؤرخين الذين شهدوا مودة الامبراطور فردريك للملك الكامل وحبه له قد اعجبوا بشخصيته فجعلوا ينسبون اليه مثل هذه الروايات التي يعززها عندهم ماكان قد اقامه من علاقات ودية وثقافية مع الايوبيين لاسيما الملك الكامل ..

---

(١) سيسالم ـ عصام : جزر الاندلس المنسية التاريخ الاسلامي لجزر البليار ص ١٦ (بيروت : ١٩٨٤) ٤٤٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥/٩١ .

الفصل الرابع

الجوانب الحضارية في عهد

الناصر صلاح الدين الأيوبي

الفصل الرابع
الجوانب الحضارية في عهد الملك الكامل الايوبي

اولا : الحياة الاقتصادية

ان دراسة الحياة الاقتصادية في أي عصر من العصور التاريخية لاتخلو من الصعوبة لأنّ المعلومات عن الاحوال الاقتصادية قليلة ومبعثرة في ثنايا الكتب . ومن المعلوم ان الوضع الاقتصادي في أية فترة تاريخية هو امتداد طبيعي للفترات السابقة مع بعض التغيرات التي تحدث لاسباب طبيعية كالفيضانات او انخفاض مياه الانهار او انعدام سقوط الامطار او اسباب سياسية واقتصرت الدراسة على عرض الاوضاع الاقتصادية في مصر بصورة خاصة لكونها تمثل مركز السلطنة الكاملية .

آ- الزراعة

من المفيد الاشارة الى تنوع الانتاج الزراعي في المناطق التي حكم فيها الايوبيون فقي بلاد الشام والجزيرة ومن هذه المحاصيل الزراعية المنتجة ، الحبوب وتأتي في مقدمة الانتاج الزراعي فضلا عن الفواكه والمنتجات الجبلية كالجوز ، واللوز ، والفستق وقد أسهم الايوبيون الذين حكموا في هذه المناطق في تطوير الانتاج الزراعي لمناطقهم (١) .

وتعتمد الزراعة في مصر على مياه النيل ، ولزيادة النيل ونقصانه اثر كبير على الانتاج الزراعي (٢) لذلك نصبت بعض الدواليب عليه لسقي الاراضي الزراعية عند نقصانه (٣) وتنوعت الاراضي الزراعية واختلفت قيمتها باختلاف قيمة المحاصيل الزراعية فالنوع الاول ، هو الاراضي التي تزرع بالقمح والكتان مباشرة تكون ذات قيمة كبيرة (٤)

---

(١) الكبيسي : الايوبيون ٣٦٤ .
(٢) المقدسي - ابو عبدالله محمد ابن احمد : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط٢ (ابريل : ١٩٠٦) ٢٠٣ .
(٣) المقدسي : احسن التقاسيم ٢٠٨ .
(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ٣/٤٤٦ .

والنوع الاخر يصلح لزراعة المنتوجين الزراعيين السابقين ، وذلك بعد اجراء اصلاح للاراضي وتوفير المياه ،لأن يزرع فيها بعض المحصولات التي تزيد من خصوبة التربة اوتترك فترة من الزمن او تنظف لتخليصها مما علق بها من الاحلبان والادغال [١] وتتم زراعة المحاصيل الزراعية حسب الاشهر [٢] القبطية [٣] .

النظام الزراعي

ان الاراضي الزراعية في مصر شأنها شأن اراضي اي اقليم من اقاليم الدولة الاسلامية موزعة على الفلاحين مقابل خراج يدفع الى الدولة ،الا أن هذه الاراضي تحولت بمرور الزمن الى اقطاعات للامراء والاجناد والاعيان ، واصبح هناك نوعان من الاقطاع ، اقطاع عسكري واقطاع اداري [٤] .

اولا :ـ الاقطاع الاداري :ـ وهو الاقطاع الذي يوزع على الاسرة الايوبية وكبار الامراء والموظفين ، وتتبع هذه الاقطاعات وحدة اقليمية ادارية [٥]

ثانيا :ـ الاقطاع العسكري :ـ ويقوم على اساس توزيع الاراضي على افراد القبيلة العسكرية واقتران بما يقدمه اولئك من خدمات عسكرية ، ويكون خاضعا لسيطرة الدولة ولم يكن وراثيا ،فاذا اخل المقطع بتأدية واجبه العسكري اوعجز عن تأدية واجب الخدمة العسكرية حرم من اقطاعه [٦]

---

(١) للمزيد عن انواع الاراضي الزراعية ينظر : القلقشندي : صبح الاعشى ٤٤٦/٣ ـ ٤٤٨ .

(٢) الاشهر القبطية : وتشمل (توت ـ بابه هاتور ـ كيهك ـ طوبة ـ امشير ـ برمهات ـ برمودة ـ بشنس ـ بؤنة ـ ابيب ـ مسرى) . وتوت اول الشهور القبطية ويقابله شهر ايلول حسب التقويم الميلادي . ينظر : ابن مماتي ـ الاسعد : قوانين الدواوين ، تحقيق : عزيز سوريال عطية (مصر : ١٩٤٣) الحاشية السابعة ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٤) العريني : الشرق الادنى ١٩١ وعاشور : بحوث ودراسات ١٤٦ .

(٥) العريني : الشرق الادنى ١٩٢ .

(٦) عاشور : بحوث ودراسات ١٤٦

ومن القوانين المتبعة في الزراعة ، اذا نبت المحصول ارسل صاحب الاقطاع الى السلطنة يطلب منها ارسال مندوب سلطاني لمسح الاراضي المزروعة حتى يتمكن من تقدير الخراج المقرر عليها [1] وعند الحصاد يأخذ الفلاح نصيبه وتكون القسمة بحضور شهود مقابل اجور يأخذونها من صاحب الاقطاع والفلاح ، ويدفع الفلاح رسوما تعرف بالحقوق ، وتقدر بدرهمين او اربعة دراهم عن كل فدان ماعدا الغلة [2] يخضع الفلاح في مصر وبلاد الشام الى قيود كثيرة كاجباره على الفلاحة ومنعه من مغادرة الاقطاع واذا هرب يعاد بالقوة [3] .

ومن الالتزامات الاخرى التي يقدمها الفلاح لصاحب الاقطاع الضيافة والهدايا في مختلف المناسبات [4] .

ولقد تعرضت الحياة الاقتصادية لاسيما الزراعة الى الكثير من الحوادث الطبيعية وفي مقدمتها الحوادث الخالقة للازمات الاقتصادية كالفيضانات او انخفاض نهر النيل مما ادى الى انحطاط الانتاج الزراعي

وقد تعرضت مصر مثل بلاد الشام والجزيرة خلال الحكم الايوبي الى عدة ازمات اقتصادية ، فمنذ سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٨ م والسنوات التي اعقبتها انخفض نهر النيل فعانت مصر في عصر الملك العادل نتيجة لهذه الظروف في ازمة اقتصادية كبيرة ادت الى انتشار الغلاء والمجاعة وترتبت على انخفاضه عدة نتائج سلبية اثرت على الانتاج الزراعي فقل الانتاج الزراعي والثروة الحيوانية وهاجر الفلاحون من القرى الى المدن [6] ولعل من الاثار والنتائج التي خلقتها تلك الازمات هجرة السكان من الريف الى المدن فأخذ عدد من سكان القاهرة يتصاعد بشكل لم تعد معه المواد الموجودة

---

(١) طرخان ـ ابراهيم علي : النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى (القاهرة : ١٨٦٨) ٢٤٦ .

(٢) طرخان : النظم الاقطاعية ٢٤٩ .

(٣) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق : محمد علي النجار واخرين ط١ (القاهرة : ١٩٤٨) ٥٤ .

(٤) طرخان : النظم الاقطاعية ٢٥٢ .

(٥) الحموي : التاريخ المنصوري ١٠٨ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٤٧٦/٨ ؛ ابن ايبك : كنز الدرر ١٣١/٣ .

(٦) المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة (القاهرة : ١٩٤٠) ٢٩ ـ ٣٠

في القاهرة تسد الحاجة ، فارتفعت اسعار المواد الغذائية وصاحبها انخفاض القدرة الشرائية عند الناس وبلغ سعر اردب[١] القمح والشعير ستة اوثمانية دنانير مصرية ، فضلا عن غلاء اسعار الماشية وامتدت الحالة ووصلت الى بلاد الشام[٢].

وفي فترة حكم الملك الكامل تعرضت مصر سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م الى ازمة اقتصادية بسبب انخفاض النيل ومن ثم حدث غلاء في مصر بسبب تأثير الانخفاض في الانتاج الزراعي[٣].

تكرر نقصان النيل مرة اخرى ، سنة ٦٢٧ هـ /١٢٢٦ م ودام ذلك الى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م وادى الى حدوث غلاء في البلاد[٤] لان النيل هو الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية في مصر.

واستطاع الملك الكامل مواجهة تلك الظاهرة الاقتصادية والتغلب عليها[٥] وذلك بتوجيه اهتمام بالغ لاسيما بعد ما شهد تكرار الازمات الاقتصادية فقام بتشجيع زيادة الانتاج الزراعي

---

(١) الاردب : ((مكيال مصري للحنطة يتألف من ٦ ويبات كل ويبة ٨ اقداح كبيرة او ١٦ قدحا صغيرا ... الويبة الواحدة من الويبات الست التي تكون الاردب تسع ١٥ مطنا (من الحنطة)) .
ينظر : هنتس ـ فالتر : المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي (عمان :١٩٧٠) ٥٨.
(٢) المقريزي : السلوك ج ١ ق١ /١٨٩ .
(٣) الحموي : التاريخ المنصوري ٣١١ .
(٤) ابوشامة : ذيل الروضتين ١٥٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٢٨/١٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ٤٤٦/٢ .
(٥) الحموي : التاريخ المنصوري ٣١١ .

وتشجير البلاد ومنع قطع الاشجار .

ففي المطرية قرية من قرى مصر ، تنبت شجرة البلسان وهي تشبه شجرة الحناء اوالرمان يقوم سكان القرية باستخراج ماء من سيقانها . وبعد تصفيتها تنتج مادة دهنية (١) . وعندما علم الملك الكامل بذلك طلب من ابيه ان يزرع منها فأذن له بزراعتها فلم تنتج دهنا ، فطلب من ابيه ان يجرى اليها ماءا من البئر التي في المطرية فأنتجت دهنا (٢) . ومن اجل المحافظة على الاشجار والنخيل في مصر ، قام بتكليف عماله بعملية مسح لجميع بساتين مصر والقاهرة وعد مافيها من اشجار ولم تقتصر هذه العملية على مصر فحسب بل امتدت الى الجزيرة وغيرها من مناطق الدولة الايوبية وكتبها في

---

(١) القزويني – زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد واخبار العباد ، (بيروت : ١٩٦٠) ٢٧١ .
ويتم استخراج المادة الدهنية في موسم معين من السنة حيث تتضخم الشجرة وفروعها بشكل ظاهر ثم يقوم اصحابها باحداث شقوق في لحائها اويقطعون الورق فيسيل منها السائل ويجمعونه في اواني ثم تسد الشقوق التي احدثت حتى لاتموت الشجرة لكثرة مايستخرج منها ثم يوضع السائل في قدور وتعرض لاشعة الشمس فيطفو الدهن وتهبط الشوائب ثم يغلي على النار فيكتسب لونا احمر جدا ويستعمل في صناعة العقاقير الطبية .
ينظر : فهمي – نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى (القاهرة : ١٩٧٣) ٢٠٧ .

(٢) القزويني : آثار البلاد ٢٧١ – ٢٧٢ .
وتذهب الروايات الى ان البلسان المذكور لاينبت الابالمطرية على اساس أن ماء البئر التي اغتسل فيها المسيح وأمه فيه مادة دهنية لسقوط بذور هذه الشجرة فيه :
ينظر : القزويني : آثار البلاد ٢٧١ – ٢٧٢ .

سجلات خاصة ووضعها في الديوان كي يعرف مقدار ماقطع من الاشجار وأماكن قطعها (١).

أن اهتمام الملك الكامل بغرس الاشجار والنخيل يحكي رغبته في الاسهام باستمرار الزراعة في بلاده شعورا منه بأن الزراعة تشكل ركنا أساسيا في تنمية اقتصاد البلاد ، كما وضع تسعيرة جديدة حدد فيها سعر بيع المحاصيل الزراعية (٢).

أهم المحاصيل الزراعية

يأتي القمح والشعير في مقدمة الانتاج الزراعي في مصر ، فهما يزرعان بنسبة كبيرة ويختلف مقدار ما يحتاجه الفدان (٣) باختلاف خصوبة التربة -ويزرع اما بالحرث او بالمشاطرة وتكثر زراعته في الوجه القبلي (٤) وتكثر زراعة القطن في مصر ويكون انتاجه بنسبة كبيرة تبلغ حوالي قنطارين

---

(١) النابلسي ـ عثمان ابراهيم : لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية .

(2) Institut fran gais de damas , bulletin, Detudes orienteles tome xvi, annees , 19, [illegible] 1961, 49 .

(2) Rabie, Hassanin. The financial System of Egypt A. H. 546 741/D. 1169-1341. London: OXFORD University Press, 1972, P. 181 .

(٣) الفدان: وهو المقياس المستخدم في مصر لقياس الاراضي الزراعية وكان يساوي ٤٠٠ قصبة مربعة وطول القصبة ٣٩١ سم ويقدر الفدان المصري بـ (١٣٦٨ م٢) .
هنتس : المكاييل والاوزان ١٧ ـ ١٨ .

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .

جروي[1] الى ثمانية قناطير[2] .

كما يشتهر صعيد مصر بزراعة قصب السكر وبنسبة كبيرة جدا[3] وهذه الزيادة في المحصول دفعت الزراع الى عصر قصب السكر للافادة من ذلك العصير، وكان هذا سببا مؤثرا في انتشار معاصر السكر والتي يذكر المؤرخون انها كانت موجودة في سائر مصر[3] .

وعرفت مصر بانتاج الكتان الذي يعد من أهم المحاصيل التي تدخل في صناعة النسيج وتفضل التربة التي يزرع بها ينمو على ضفاف الانهار وداخل الدلتا ، ويكون مقدار الانتاج ثلاثة ارادب الى ستة[4] ومن المحاصيل التي تزرع في مصر ، الجلبان والحمص والعدس ، ويتفاوت مقدار هذه المحاصيل من نوع لآخر ، فالجلبان من عشرة ارادب الى مادونهما والعدس من خمسة ارادب الى عشرين[5] .
وتزرع البقول كالباقلاء والبزاليا وغيرها فضلا عن الثوم ، والبصل ، والفجل الذي يزرع على النيل وتتم سقاية هذه المحاصيل بالدواليب اوالسواقي لاسيما في بلاد الصعيد[6] .
واشتهرت بانتاج الفواكه كالحمضيات والعنب ، والتين ، والتفاح ، والخوخ ، والمشمش ، والموز ، والرمان[7] .

---

(١) القنطار الجروي : هو القنطار المستخدم في مصر وكان يساوي ١٠٠ رطل جروي وكل رطل يبلغ ٣١٢ درهما أي أنه يزن ٧ر٩٦ كغم. هنتس : المكاييل والاوزان ٤١.
(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٦٦.
(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٦٧ والمقريزي : الخطط المقريزية ١/١٥٢.
(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٦١ – ٢٦٢.
(٥) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٦١
(٦) القلقشندي : صبح الاعشى ٣/٣٠٨.
(٧) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٧١.

ب :- الثروة الحيوانيـة

ساعدت الطبيعة في مصر وبلاد الشام على تربية الحيوانات المختلفة فقد وجدت في مصر الاغنام والابقار والابل ، والبغال والدواجن من دجاج ، واوز ، وحمام ، والصقور ، والعقاب وغيرها من الطيور الاخرى (١) . ومع هذا لاتوجد معلومات الا انها بلاشك كانت موجودة في مصر في عهد الدولة الايوبيـة .

جـ :- الصناعـة

قامت في بلاد الشام والجزيرة صناعات تعتمد على الانتاج الزراعي كالمنسوجات القطنية والحريرية ، والاخرى على المعادن كالنحاس والحديد حيث صنعت منها الاواني النحاسية والمكاييل والسيوف ، علاوة على الزجاج الذى صنعت منه مختلف الاواني الزجاجية (٢) .

وكذلك الحال في مصر ، فقد اعتمدت بصورة رئيسية على المنتوجات الزراعية وازدهرت المنسوجات لتوفر المادة الاولية التي ساعدت على قيام مثل هذه الصناعات ، كما قامت صناعات اعتمدت على ماكانت تستورده مصر من مواد اولية ، من الخارج كالصناعات الحديدية البسيطة التي تنتج بمدينتي تنيس ودلاص وكذلك المنسوجات الحريرية التي تستورد مادتها الاولية من بلاد الشام (٣) وتأتي في مقدمة الصناعات ، صناعة المنسوجات :- اما اهم المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة فهي كثيرة وذلك لان اغلب سكان مصر يشتغلون بصناعة المنسوجات والثياب ومن هذه المدن ، دمياط التي اشتهرت

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ٣١٠/٣ .
(٢) للمزيد ينظر : التكريتي : الايوبيون ٣٦٢ - ٣٦١ .
(٣) العريني : الشرق الادنى ١٩٨ .

بصناعة ثياب الشرب التي تحاك في قرف بالمعامل يستأجرها الحاكة لعمل هذه الثياب ، وتقل قيمة هذه الثياب في حالة نقلها من معمل الى آخر ((فلو بقي من الثوب شبر ونقل الى معمل آخر لاتمام حياكته ينقص ثمنه لاختلاف قيمته)) [١]، وتختص ايضا بصناعة الثياب البيض التي يبلغ سعرها ثلاثمائة دينار [٢] كما كانت الثياب الدبيقية شهرة واسعة في دمياط وصلت الى مختلف انحاء العالم [٣] ، واشتهرت تنيس ، بصناعة الثياب الملونة بالفرش [٤] وتمتاز ثيابها بجودتها التي لامثيل لها ويبلغ سعر الثوب في المطرز بالذهب مائة دينار ، كما اختصت قرية تونة بحياكة كسوة الكعبة ولاسباب سياسية بعسكرية قام الملك الكامل سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م بتخريب مدينة تنيس التي بقيت شاخصة الى ايام المقريزي [٥] واختصت بهنسا ، بحياكة الاقمشة الصوفية [٦] وكان يحاك في اسيوط نسيج الارمني والدبيقي [٧] وكذلك مدينة بوش التي كانت تصدر الكتان الى سائر مدن مصر [٨] وكانت صناعة النسيج في الدلتا المصرية صناعة منزلية يمارسها النساء والرجال ، النساء بالغزل والرجال بالنسيج [٩].
وقامت صناعة اخرى هي صناعة السكر ، التي تعد من الصناعات المهمة التي اشتهرت بها المدن الاتية :-

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٤٧٣ ، المقريزي : اثار البلاد ١١٣ .
(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٤٧٣ .
(٣) ابن دقماق : الانتصار ق١ / ٨٣ .
(٤) المقدسي : احسن التقاسيم ٢٠١ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٥١ .
(٥) الخطط المقريزية ١ / ٢٢ .
(٦) ابن بطوطة ـ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار المعروف باسم رحلة ابن بطوطة (بيروت ١٩٦٤) ٤٧ .
(٧) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ١١٣ .
(٨) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٤٧ .
(٩) متز ـ آدم : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام (بيروت ١٩٦٧) ٢ / ٣٥٤ .

مدينـــة منلوى التي وجد فيهـا احدى عشر معصرة للسكر (١) ومدينـــة اسيوط (٢) واعتمدت مدن الجزيرة بصورة رئيسيـة على مصر في استيراد السكر الذى يتـم نقلـــه بــرا الى الشام (٣).

وعرفت مصـر صناعة الزيوت وقـد ساعدها على ذلك زراعـــــة السمسم والخردل (٤) كما استخرج المصريون زيت المصابيـح مـن بـــذور البنجـــر واللفت ويسمونه الزيــت الحـــار (٥) وكانت الصناعات المصريـــة تكفي لسـد الحاجة المحليـة ويصدر الفائض منهـا الى الخـــارج ولاسيمـــا المنسوجات التي وجـدت لهـا اسواقـا رائجـة فـــي اوربــــا (٦).

وحسب المادة التي قدمناهـا عن الصناعة في مصر ، انهـــا تعكس مدى التقدم والتحور الــذى شهدتــه مصـر فـي ضوء ماتوفر مـن مواد اولية لاسيما وأن هذه الصناعات كانت منظمة ، فقد قـام الصنـاع بتأجير غرف خاصة اصبحت بمثابـة المعامل استخدمت بمزاولة الحياكـــة عـــلاوة علـى دور الطراز التي كانت تابعـة رسميـا للدولـة حتى اتخذت لهـا ديوان خـاص لــه ناظـر وموظفون وعمـال مسؤولون عن توفيـر مايلـــزم هـــذه الصناعـــة (٧) والى جانب هذه الصناعات فأننـــا نجـــد قيام صناعـة اخرى فـي مصـر وبلاد الشام تتعلق بالصناعـــات البحريـــــة.

فقد ساعـــد وقوع بلاد الشام ومصر على ساحـل البحــــــر المتوسط والبحـر الاحمر على أنشـاء اسطول بحرى اولاه الايوبيـــــون

---

(١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطـــة ٤١٠.
(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ١/ ١٤٣.
(٣) التكريتي : الايوبيون ٢٧٥.
(٤) المويلي : الشرق الادنى / ٢٠٠.
(٥) متز : الحضارة الاسلامية ٢/ ٣١١.
(٦) سيأتي ذكر ذلك ضمن العلاقات التجارية ص١٥٩.
(٧) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٣٠.

عناية فائقة فقاموا بانشاء السفن الحربية والتجارية [١] ولأهمية هذه الصناعة قامت الدولة الايوبية بأنشاء ديوان الاسطول ووظيفته الانفاق على الدور المسؤولة عن صناعة السفن [٢] ومن المراكب التابعة لهذا الديوان مراكب ارباع الكيل ومراكب الملوحة ومهمتها نقل المراكب الى دور صناعة السفن [٣] التي كانت منتشرة في مصر والاسكندرية ودمياط [٤] ومن دور صناعة السفن التي كان لها دور كبير في خدمة الايوبيين في جهادهم ضد الافرنج دار صناعة مصر (الفسطاط) التي سبق ان انشأها محمد بن طغج الاخشيدي سنة ٣٢٣ هـ / ١٣٤ م بساحل مصر القديمة [٥] واستمر العمل بها الى ايام الفاطميين والايوبيين والمماليك واثبتت هذه الدار جدارة فائقة في عهد الملك الكامل فقد قامت باعداد المراكب الحربية التي كان لها دور كبير في مقاومة الافرنج ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م [٦]

وكان الخشب والكتان الذي استخدم في صناعة الحبال من اهم المواد الاولية التي ساعدت على قيام هذه الصناعة [٧] فمن الاخشاب المستخدمة في بناء السفن الحربية خشب السنط التي اشتهرت بزراعة اشجاره مدينة بهنسا [٨] فضلا عن خشب الارز المستورد من بلاد الشام والاناضول والبندقية [٩]

وتتم صناعة السفن في مصر بترك الخشب مدة ليجف بعد تقطيعه واعداده ثم تملأ الشقوق بالقار أو الشمع المذاب بعد

---

(١) العبادي ـ احمد مختار : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام (القاهرة : ١٩٨١) ص٩٠-٩١.

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٤٨ ، المقريزي : الخطط المقريزية ١٩٤/٢.

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ـ ٣٤٨.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٤٠.

(٥) المقريزي : الخطط المقريزية ١٩٧/٢.

(٦) المقريزي : السلوك ج١/ ق٢/ ٢٣٣.

(٧) العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ٢٤٦.

(٨) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٤٨.

(٩) ماهر ـ سعاد : البحرية في مصر وآثارها الباقية (القاهرة : ١٩٦٧) ١٢٠.

اكمال صناعتها تطلى السفن بالوان عدة منها البنفسجي والازرق والاخضر والابيض وفي بعض الاحيان يستخدم القصدير المذاب مع القار او الشمع • اذ يكسى هيكل السفينة بطبقة منه بعد ان يوضع بينه وبين الخشب مغموس بالقار [١] وتختلف سفن البحر الاحمر عن سفن البحر المتوسط تبعا للظروف الجوية والطبيعية اذ تحتوى الاولى على صخور وتيارات بحرية فضلا عن الاعاصير والرياح • لذلك قامت دور صناعة مصر باعداد سفن خاصة لكل منهما [٢] .

ويتكون الاسطول البحرى من عدة قطع اهمها

الشواني : سفينة كبيرة تطلى بالقار وتعد من اهم القطع التي تكون الاسطول الاسلامي يركب فيها المقاتلون والجذافون [٣] ويبدو ان مهمة هذه السفن مقاومة الابراج والقلاع للدفاع عن بقية الاسطول كما كانت ترمي النار والنفط على العدو [٤] ..

الحمالة

نوع من السفن يستخدم لنقل مؤونة الجيش والصناع والخدم التابعين للجيش والاسطول [٥] • واستعملت في بعض الاحيان لنقل الخيل [٦] .

الطرايد

نوع من المراكب الحربية تشبه البرميل الهائل • استعملت في حمل الخيول والفرسان وتسع حوالي اربعين فارسا وكانت تستخدم احيانا لركوب

---

(١) ماهر : البحرية الاسلامية ١٧١ •
(٢) للمزيد ينظر : ماهر : البحرية الاسلامية ١٨٩ - ١٩١
(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين •٣٤٠
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٢/ ١٣ الحاشية الاولى • ماجد - عبد المنعم تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى (القاهرة : ١٩٦٣) ٧٤ •
(٥) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٣٩ - ٣٤٠ •
(٦) ينظر : الظاهري : زبدة كشف الممالك ١٣٩ - ١٤٠ •

الناس (١) ووصفها الزبيدي بأنها (سفينة سريعة السير والجري) (٢) والحرايق تعد من أكبر السفن بعد الشواني يستخدم في حرق سفن العدو بالنفط (٣).

ومن أهم الأسلحة البحرية الكلاليب التي تستخدم لجذب سفن العدو وشدها والعبور إليها عن طريق ألواح خشبية أوسلالم من الحبال يرمون عليها الواحدة كالجسور تساعدهم على العبور الى العدو ومحاربته واستخدمت القوس الثقيلة لقطع الكلاليب (٤) كما ذكر القلانسي في هذا أن الكلاليب استخدمت لغمز الامساك بروس الكباش التي استعملها الافرنج سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١م في حصار مدينة صور (٥).

أما السفن التجارية ، فكانت تستخدم لنقل الغلات والمسافرين وتحوى على مخازن لحفظ الغلات وصهاريج لخزن الماء (٦).

أهتم السلطان صلاح الدين بتجهيز الاسطول البحري وذلك بتقوية اجهزة الدفاع والحراسة على سواحل مصر وبلاد الشام ، وبعد وفاته اصابه الاهمال ، الا أن الملك الكامل اعاد لهذا الاسطول ودوره مكانة

---

(١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٣٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١٣/٢ ، الحاشية الثالثة.
(٢) الزبيدي ــ محمد مرتضى : تاج العروس في جواهر القاموس ط١ (مصر : ١١٢٩) ٢/ ٤٠٨.
(٣) ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ٧٤.
(٤) المقريزي : الخطط المقريزية ٢/ ٣٦٨ ، ماهر : البحرية الاسلامية ٢٠٤.
(٥) ينظر القلانسي ــ ابو يعلي حمزه : ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : آمدروز (بيروت : ١٩٠٨) ١٧٦.
(٦) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٤٧.

المفن اهميتها السابقة (١) ومما يؤكد ذلك الدور الذي قامت به دار الصناعة التي ساعدت سفنه الملك الكامل في صد هجوم الافرنج .

ويتضح لنا مما سبق أن الدولة الايوبية كانت تمتلك اسطولا قويا تابعا للسلطة المركزية التي أملت عليها الضرورة اعطاء اهمية وجهدا كبيرا لتطويره خدمة لظروفها العسكرية التي كانت تعيشها خلال حروبها مع الافرنج .

أما بالنسبة لاسلحة الحصار فقد استخدمت الدولة الايوبية العديد منها في عمليات الدفاع والهجوم التي خاضتها جيوشها في مقاومة الافرنج .

ويذكر ابن مماتي في هذا الصدد أن خزائن السلاح كان فيها مستخدمون وتجلب اليها ماتحتاجه من الاخشاب والحديد وغير ذلك من المواد التي تساعد على قيام صناعات لمختلف اصناف السلاح (٢) ومن الاسلحة التي صنعها الايوبيون :ـ

١. الحسبان

: وهي قوس عربية تطلق سهاما صغيرة تدعى بالجراد . وانبوب القوس يسع مجموعة من السهام الصغيرة عددها حوالي خمسة سهام فاذا اطلقت خرجت كالجراد المنتشر دفعة واحدة (٣) .

---

(١) العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ٣/ ٤٢ .

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٥٤ .

(٣) الطرسوسي ـ مرضي بن علي مرضي : تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء الاعداء ، تحقيق : كلود كاهين (بيروت ١٩٤٨) ١٠ ؛ الجبوري ـ محمد عباد محمد : اسلحة الحصار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي ، رسالة ماجستير مكتوبة على الة الرونيو (بغداد : ١٩٨٦) ١١٥ .

٢ • الزنبورك

ـــــــ : نوع من اقواس الحصار استخدم في الدفاع عن المدن والقلاع • ((وهو عبارة عن سهم في سمك الابهام وفي طول الذراع له اربع أوجه وطرفه من حديد • وهو مريش ليكون في انطلاقه اكثر ثباتا • • • •)) [١] ولدقته في الاصابة يولع في امكانيته في تحقيق الهدف• ولفظه يعني الزنبور وذلك لتشبيه صوت تلك الحشرة وبين الصوت الذي يحدثه وتر القوس عند انطلاق السهم [٢] واستخدم هذا السلاح من قبل الجيش الايوبي في عمليات الحصار•

٣ • الجسرخ

ـــــــ : نوع من الاقواس استعمل لقذف السهام والنفط [٣] وقد استخدمه الايوبيين في قذف السفن الافرنجية عند اقترابها من السواحل [٤] كما اثبتت هذه السهام دورها الفعال في احراق منجنيقات العدو• واورد ابن واصل نصا يبين فيه دور هذه السهام في احتراق

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٥ الحاشية الاولى •
(٢) للمزيد ينظر : ابن واصل : مفرج الكروب ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٥•
(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٤٥١•
(٤) ينظر : ابو شامة :الروضتين ٢/١١٩•

منجنيقـــات الافرنـــج (١)

٤- قوس الزيـــار

ــــــــــ : يتكون من صفحتين من خشب السنديان طــــول كل منهما ست اذرع وعرضهمــا يتراوح بيـن شبـر ونصــف الشبـر وتعــد مـن اشــد الاقواس رميـا واعظمهــا جرمــا وتحتـاج الــى عدد من الرجــال وتنصب على الابراج (٢).

ولأهميــة هذه القــوس فـي العمليات الحربيــة ، فقــد قــام الامبراطور فردريــك الثانـي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م بحرائهمـــا من مدينــة عكــا ونقلهمــا الى أوربــــا ، وأطلقـوا عليهمـــا (القوس الكبيـــر ذو البـــرج) (٣).

٥- الابــــراج

ــــــــ : تصنع الابـراج من الخشب المغطـى بالحديـــد والجلـــد ، وكـــان يستعمـــل كآلــة حربيـة للهجوم على حصـــون العــدو لاقتحامهــا ، أوالقذف السهـــام والاحجـــار ، واذا كانـت حصـــون العدو بعيــدة عـن منطقــة القتـــال تحمل هــذه الابـــراج علـــى عجــلات خشبيــة أوحديدية ، ويتكون البرج من عــدة ادوار يصعد اليها الجنــود بدرجـــات (سلالـم) من الداخـــل وينتهي بقنطـــرة خشبيــة يمكن القاؤهــا على الحصون أوالســـور لينطلـــق منهــا الجنود فـي هجومهـم علـــــــى العــــدو (٤).

---

(١) ينظـر : العماد الاصفهاني : الفتح القسي ٢٠٦ ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ٢٣٥/٢.

(٢) للمزيد عن هذه القوس وشكلها ينظر : الطرسوسي : تبصرة الالبـــاب ٦-٧.

(3) Lewis, Bernard, and othars the world of Islam Thames and Hudson, London, 1970, P.207.

(٤) عثمان ، فتحي : الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري (القاهرة : ١٩٦٦) ٢٧٤/٢.

٦ • الجواشن

: وهي نوع من الدروع استخدمتها الجيوش العربية في المعارك التي خاضتها مع العدو • وتصنع من الحديد أو الجلود وترجع جذورها الى العرب الذين أخذوا طريقة عملها لمن بعد محرقتها من الملوك • والجواشن (عبارة من زرديات رفاع تلبس عليها ثياب قد يحط فوقها شاقة الحرير••• وتكسى بالثياب الديباج اوغيرها وتخاط عليها وتحسن بالتثبيت بالحرير وغيره•••) واهمية هذه الدروع تمنع السهام من أن تنفذ الى الجسم كما تكسر السيوف الموجهة (١) •

٧ • المنجنيقات

: وهي آلة حربية استخدمها الايوبيون في حروبهم التي خاضوها مع الافرنج وهي مختلفة التراكيب واحسنها المنجنيق العربي • الذي يصنع من الخشب الجيد ويكون مثلثا متساوي الساقين قاعدته دون القائمة تركب في اعلاه شبكة على هيئة كيس توضع فيها حجارة اومادة حارقة كالنفط ثم تحرك بوساطة العمود او الحبل فتندفع القذائف • ويحاط المنجنيق بسقف لمنع الاذى من الرجال المسؤولين عن سحبه واستعماله (٢) •

---

(١) الطرسوسي : تبصرة الالباب ١٤ •

(٢) الطرسوسي : تبصرة الالباب ١٦ ـ ١٢ •
ولمعرفة مجالات استخدام الايوبيين للمنجنيق ينظر : العماد الاصفهاني : الفتح القسي ٣٤٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢ / ٢١٢ ـ ٢١٧ •

د - العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام والغرب الاوربي في عهد الملك الكامل الايوبي .

شهد العصر الايوبي لاسيما فترة حكم الملك الكامل تناميا ملحوظا في النشاط التجاري للافرنج الذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم لتعزيز علاقتهم التجارية مع الشرق وتعميقها . نظرا للعديد من الظروف السياسية والعسكرية المستقرة التي اشرنا اليها سابقا .

ونظرا لحاجة كل من الشرق والغرب الى العديد من البضائع والمنتوجات فقد لعبت المصالح التجارية المتبادلة دورا بارزا في تعزيز حركة التجارة وبوجود السماسرة والتجار واصحاب رؤوس الاموال في كل منهما كان من الطبيعي ان تتمخض الفترات السلمية بمزيد من الصفقات التجارية المربحة لتجارة الطرفين وكان ساحل بلاد الشام ومصر هو المسرح الرئيسي لتلك العمليات التجارية .

آ- الطرق التجارية الرئيسية

ومن المدن الاوربية التي لعبت دورا تجاريا واسعا مع مصر وبلاد الشام ، ايطاليا ولاسيما مدينة البندقية وجنوا وبيزا وساعد موقع البندقية في شمال ايطاليا ، موقع الدولة الايوبية في مصر على اهم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب على توفير دعامة رئيسية للنشاط التجاري ، فقد سلكت البندقية عدة طرق تمكنت من خلالها ايصال تجارتها الى الشرق وبالعكس من اهم هذه الطرق من اوربا الى الشرق طريق الشام الذي يبدأ من البندقية ينتهي الى بلاد الشام وبخاصة سوريا-التي كان تبادل السلع يتم فيها بعضها وتنتقل التجارة الاخرى الى اسيا الصغرى (١)

(١) عاشور -فايد حماد محمد : العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصر الايوبي ، تقديم : جوزيف نسيم يوسف (الاسكندرية : ١٩٨٠) ٢١٥ .

والطريق البحري الاحمر يصل الى مصر مباشرة وكان ثمة طريق عبر بلاد الشام ينتهي عند انطاكيا (١) وهكذا بالنسبة لباقي مدن ايطاليا فقد سلكت تجارتها هذا الطريق لكي تصل الى الشرق كما ساعد توزيع الموانئ في مصر على ساحل البحر المتوسط كالاسكندرية اوقريبة منه كدمياط على ارتباط مصر مع اوربا الى جانب ارتباطها بموانئ ساحل البحر الاحمر الذي يعمل على عيذاب وسدن (٢) .

ب ـ اثر التجارة في زيادة التداخل بين الشرق والغرب

وقبل الحديث عن طبيعة العلاقات التجارية التي عقدت بين الطرفين واثرها في زيادة التداخل بين الشرق والغرب يمكننا القول ان الصفة الازدواجية كانت الطابع المميز لهذه العلاقات فهي من ناحية تمديد العدون للافرنج لمواجهة المسلمين حرصا على المصالح التجارية ومن ناحية اخرى تقوم بتقديم الاسلحة للمسلمين في مصر وبلاد الشام ومما يؤكد ذلك الرسالة التي بعثها السلطان صلاح الدين للخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م ((وجاء غيرا ؟؟ هؤلاء الجنويين ... لاتطفأ شرارة شرهم ولاتطفأ شرارة شرهم تارة يجهزون سفارا يحتكمون به على الاسلام في الاموال المجلوبة ..... وما منهم الان الامن يجلب الى بلدنا آلة قتاله ....)) (٣) .

وقد حصل التجار الايطاليون في عهد الملوك الايوبيين على امتيازات واسعة فقد منح السلطان عز الدين ايبك امتيازا حصلوا بموجبه على فندق في الاسكندرية • وكان هذا الامتياز الوحيد من نوعه قد اعطي الى قوة تنتسب الى دار الحرب غير انه حدد نشاط افرادها

---

(١) عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الادنى ٢١٥ ـ ٢١٦•

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٢٥ ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ٣/٤٦١•

(٣) للمزيد ينظر : القلقشندي : صبح الاعشى ١٣ /٨٨•

في الاسكندرية وذلك لنفعهم من التجارة والتغلغل في داخل مصر . وبهذا يكون السلطان صلاح الدين قد وضع سياسة الحماية التجارية التي استمرت بعده ثلاثة قرون (١) . ورافق هذه الحركة التجارية التي قام بها الايطاليون حدوث تنافس شديد بين القائمين بها من جنويين وبندقيين وبيزين على اكتساب رضى حكوماتهم في بلاد الشام . وعقد معاهدات لاحتكار نقل الجنود والسلع والبضائع (٢) .

ولقد سار الملك العادل على سيرة صلاح الدين بعقد معاهدات تجارية مع الايطاليين لتسهيل التبادل التجاري . فقد أبرم سنة ٦٠٥ هـ/١٢٠٨م . معاهدة تجارية مع البندقية حصل البنادقة بموجبها على امتيازات واسعة في الموانئ المصرية كما منحوا فندقا آخر في الاسكندرية فضلا عن الفنادق الاخرى . التي وجدت في كل من دمشق وبيروت واللاذقية (٣) .

(1) Cook. M.A., Studies in the economic history of the middle east from the rise of Islam to the present day, London Univeraty press 1970 , P. 66 .

(٢) القاسي ـ زكي : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية (لبنان ١٩٥٨) ١٨٨ - ٢٠٠ .

(3) W. Heyd : histore du commerce du levant au mogen age, adolf M. hakkert- editeur- amsterdam, 1959, Vol., I.P.404 .

ان الامتيازات التي حصل عليها البنادقة من الملك العادل في مصر . كانت نتيجة لتحويل الحملة الافرنجية الثالثة نحو القسطنطينية بدلا من مصر وهي التي قدمت لهم ارباحا كبيرة في مضمار التجارة وذلك بابعاد مصر من حلقة الصراع بين المسلمين والافرنج عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الادنى ٢٠٨ .

واستمرت العلاقات التجارية بين مدن ايطاليا بما فيها جنوا والبندقية وبيزا في التحسن الى سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م (١) ثم اصابها الفتور بسبب مشاركة الايطاليين الافرنج في استيلائهم على دمياط (٢) فقد فرح الايطاليون بهذا النصر الموقت الذي لم يكن انتصارا عسكريا بقدر ما كان انتصارا تجاريا فقد شهدت مصر تزايدا ملحوظا في عدد من التجار في الوافي، المصرية . وكان ممثلوا المدن التجارية الايطالية الثلاث (جنوا وبيزا والبندقية) من اكثر الجماعات التي أبدت مقاومة في دمياط ورفضت الانسحاب (٣) لأن التجارة لدى أهالي المدن الايطالية كانت أعظم من أي نصر عسكري (٤) فقد كان لهذه الحملة اثر كبير في تحويل انظار الاوربيين بصورة عامة الى دمياط والاسكندرية اللتين عدتا من بيت المقدس (٥) فضلا عن كونهما واقعتا ايضا الافرنج من خلاله ان من الممكن احتلال مدينة مصرية عن طريق شن هجوم من شأنه السيطرة على الساحل المصري ووضعه تحت هيمنة الافرنج (٦)

---

(1) Heyd., Histore du comerce.. Vol., I.P.P. 401 and ?

(٢) ينظر الفصل الثالث ص

(3) Heyd., Histore du comeice Vol I.P. 405

(٤) الكناني ـ مصطفى حسن مصطفى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامي . تقديم : جوزيف نسيم يوسف (القاهرة: ١٩٨١) ٢٢٢ .

(5) Lane - poole ., History of Egypt., P. 255;
Setton ., Anistore of the crusades ., Vol; II.P.223.

(6) Heyd., Histore du comerce . Vol ., I.P. 405 (4)

ان الدور العلمي الذي لعبته المدن الايطالية في مساعدتها للحملة الافرنجية الخامسة جعلت الملك الكامل يقوم ببعض الاجراءات التي حد من امتيازاتهم في مصر وبلاد الشام فقد الغى الاتفاقية التي كانت بيزا قد عقدتها مع الملك الظاهر وحملت بموجبها على فندق في القاهرة وفندق ثان في الاسكندرية[1] كما دعت الحكومة البندقية الى اتخاذ خطوات أكدت بها على حظر التجارة مع مصر واصدرت قرارا منعت به التجار من تصدير الخشب والقار والحديد الى مصر وفرضت عقوبات على المخالفين ومصادرة اموال التجار الذين يشترون الملح والمواد الوافدة من مصر ومصادرتها في أي مكان يعثر عليها[2].

وحاولت البندقية ان تعوض عن الاضرار التي لحقت بها من جراء تنفيذها لهذه القرارات بارسالها سنة ٦٢٣ هـ /١٢٢٥م سفارة الى مدينة حلب نجحت في ابرامها معاهدة تجارية مع الملك العزيز بن الظاهر وحصلت على منح التجار البنادقة تسهيلات كمركية في حلب[3].

واتخذت العلاقات التجارية بين الشرق والغرب طابع المد والجزر الى أن جاءت الحملة الافرنجية السادسة التي قادها الامبراطور فردريك الثاني واقام بها علاقات صداقة مع الملك الكامل[4] وكان حريصا على اعطاء الاولوية للتجارة دون غزو المواني المصرية والسيطرة عليها وقد اكتسب الجنوي عددا من ...

---

(1) Cook., studies in the economic . P. 66

(2) Heyd., Ahistory du comerce , Vol., I.P. 406.

(3) Heyd., bid., Ahistory du commerce Vol ., I.P.416 .

(٤) ينظر الفصل الثالث ص ١٠٢-١٢٨

المعاهدة التي وقعت بين الطرفين لاسيما المتعلق منها بالتجارة . فقد كان الامبراطور فردريك الثاني حريصا على اخفاء البنود المتعلقة بالتجارة الا أننا من الممكن تكوين فكرة عن البنود المتعلقة بالتجارة من خلال الاتفاقية التي وقعت بين الفونس والسلطان قلاوون سنة ٦٦١ هـ/١٢٦١ م فقد اعتمدت في بنودها على الاتفاقية المعقودة بين الملك الكامل والامبراطور فردريك (١) فقد اظهرت الوثائق التاريخية أن الامبراطور عندما قدم لطلب استثناء باعفاء وتخفيض الرسوم الكمركية لاتباعه عند وصولهم موانئ مصر لقي مقاومة مطلقة ولم يحصل من الملك الكامل على أية تسهيلات مادية (٢) ومع ذلك فان العلاقات بين الطرفين استمرت حتى بعد وفاة الملك الكامل . وتعززت في عهد اولاده من بعده ولقد جنى الامبراطور فردريك الثاني والتجار ارباحا كبيرة من جراء مبادرة الصلح فقد بدأ التجار بالتوافد باعداد كبيرة الى مصر نتيجة حصولهم على نوع من حسن الاستقبال وحسن المعاملة (٣).

ان الحصيلة التي خرج بها الامبراطور فردريك الثاني من هذه المعاهدة هي تنميته في التجارة مع مصر واستغلالها لحسابه الخاص فقد كان يشحن السفن من موانئ مصر وكانت احدى السفن التي شحنها قد وصلت ميناء الاسكندرية وبدأت بالتجارة في ذلك الميناء منذ سنة ٦٤٧ هـ/١٢٤٩م . وتضمنت الشحنة الزيت والجبن وغير ذلك من المواد الاخرى . وكانت تجارته

(1) See: Heyd., Histore du Commerce ,Vol.,I.P.P.407-408
(2) Heyd., Histore du comerce ,Vol. I.P. 408 .
(3) Heyd , Histore du Comerce ., Vol., I.P.P 408 - 409.

تشمل نصف العالم ويعمل في سفنه حوالي ٣٠٠ بحار واتسعت حتى وصلت الى الهند ولم تقتصر على البحر بل كان يرسل تجارته برا الى هذه الاقاليم (١).

وقد بذل السلاطين جهودا كبيرة لتسهيل التجارة بين الغرب والشرق وذلك بازالة المخاوف التي تحول دون تنقل التجار . وكان للملك الكامل اسلوب بهذا الخصوص وهو تقديم الهدايا الثمينة والنادرة الى الامبراطور فردريك الثاني (٢) ويذكر المقريزي ان من بين الهدايا التي ارسلها قد جاءت من الهند واليمن وبلاد الشام (٣).

واستطاعت سياسة الامبراطور فردريك الثاني بافعاله الودية ومشاعر الصداقة التي كان يكنها للعرب قد وضع سابقة قلده فيها خلفائه من بعده وذلك باقامة مبادرات السلام والانسجام بين الشرق والغرب . وكانت مبادرة السلام التي أقامها الملك الكامل والامبراطور فردريك بداية للحوار بين الشرق والغرب (٤) ولكن تلك المبادرات لم تستمر طويلا فقد تعرضت مصر لحملة جديدة قادها لويس التاسع ملك فرنسا للاستيلاء على دمياط (٥).

ولابد من الاشارة الى أن التجارة لم تقتصر على البحر المتوسط وانما امتدت لتشمل البحر الاحمر وكانت للسياسة التجارية للملوك الايوبيين في اليمن دور كبير في تطوير النظام المالي وتهيئة الفنادق للتجار ومن ابرز التغيرات التي احدثها الايوبيون في اليمن خلال التجار الايوبيين بدلا من التجار اليهود بالاقباط ، وأنشاء الوكالات والفنادق ، وقد أدت هذه السياسة الى ازدهار المدن التجارية في ايطاليا ، فضلا عن الاسكندرية ودمياط أما الحريق البري فقد اقتصر على التجار العرب (٦)

---

(1) Heyd., Ahkstorydu commerce ., Vol., I,P. 409.

(2) Heyd., Histore du commerce Vol., I.P. 409

(٣) المقريزي ج ١ ق ١/ ٢٢٣.

(4) Cook., studies in the economic, P. 67 .

(٥) ينظر الفصل الثالث ص ١٣٦ الحاشية الاولى

(6) Cook ., sfudies in the economic, P. 67 .

أن احلال التجار الاوربيين بدل التجار اليهود له دلالة كبيرة على ازدهار النشاط التجاري للاوربيين وهيمنتهم في الوقت نفسه انطباعا عن التسهيلات والامتيازات الواسعة التي قدمها الايوبيين للتجار الاوربيين الذين توافدوا بأعداد كبيرة الى الشرق ، واستطاعوا أن يحتلوا مركزا تجاريا مرموقا بدل التجار اليهود المعروفين بنشاطهم التجاري منذ اقدم الازمنة فقد كانوا قد احتكروا تجارة اليمن والجزيرة العربية .

جـ . أهم المواد التجاريـــة

بموجب الاتفاقيات التجارية التي ابرمت بين الشرق والغرب والتسهيلات المبذولة تمكن الطرفان من الحصول على مختلف السلع التي كانوا بأمس الحاجة اليها .

وكان على رأس السلع التي نقلها التجار الاوربيون الى الغرب بذور الكتان الذي يعد من اهم البضائع التي كانوا يقدمون على شرائها بكميات كبيرة[1] فضلا عن المنسوجات القطنية والاصواف التي تم الحصول عليها من عكا وطرابلس وبيروت ودمياط وبهنسا[2] وكان قصب السكر مادة رئيسية تم تصديره الى الغرب لأنه كان يزرع بكميات كبيرة في مصر والشام ويلاقي رواجا في اوربا لاسيما السكر الابيض المصري[3] كما نقل الايطاليون من بلاد الشام الفواكه ومنها التين والكروم والتمور واخشاب الارز والطلح[4] والحبال والحبوب والزيت والصابون والزجاج والبخور[5].

كما وصلت التوابل الشرقية والعطور والكافور ومواد الصبغ والدباغة والاخشاب فضلا عن منتجات الجبال (كالبندق والجوز) والاحجار الكريمة والخزف والعقاقير والمعادن ومواد الصيد وغيرها[6]

---

(1) Cook, studies in economic ., P. 55

(2) Heyd., Ahistory du commerce .,Vol . II,P. 587.

(٣) فهمي : طرق التجارة الدولية ٢٤٢ .

(٤) الكناني : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامي ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٥) زيتون عادل : العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . (دمشق : ١٩٨٠) ١٨٧ .

(٦) النقاش زكي : العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية (بيروت : ١٩٥٨) ١١٨ .

Cook., studies in economic. P. 55 .

أما الشب فقد قام التجار الايطاليون بحملــة الى أوربا لانــه كان عنصرا رئيسيـا فـي الصياغـة[١].

أما بالنسبة للشرق ، فقد حصلت مصر وبلاد الشام على الاخشاب والحديد والنحاس والقصدير فضلا عن المنسوجات وخاصة الجوخ [٢] الذى كان يباع فـي مصـر في سوق خاصة تعرف (سوق الجوخيين) يعرض فيهـا الجوخ المستورد من اوربــا[٣].
كما نقل التجار الايطاليون من مصر والشام انواع الفرو كفرو السنجاب والسمور الذى حملوه من موانئ البحر الاسود وكانت فـي مصـر سوق خاصة للفرائين [٤] ونتيجة لاهميـة بعض السلع كالنطرون [٥] والشب ، فقد قامت الدولـة الايوبية بجعل هذه السلع تابعة رسميا لها وبذلك لم يتمكن التجـار الاوربيون من الحصول عليها الا عن طريق الدولـة[٦].

---

(١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٢٨.
(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ٥/٤٠٥.
(٣) المقريزى: الخطط المقريزية ٢/٩٨.
(٤) المقريزى: الخطط المقريزية ٢/١٠٨.
(٥) النطرون : نوع من المعادن يكثر فـي مصـر ، لاسيما فـي الطرانة والفاقوسية ويكون على نوعين احمر واخضر وتشرف الدولة على استخراجه ويستخدم كمادة اولية في تبييض الاواني النحاسية.
للمزيد عن هذا المعدن وكيفية استخراجه ، ينظر : ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٣٤ ـ ٢٣٦.
(٦) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٢٩.

وحملت ذلك ايضا بالاخشاب والحديد والجلد تأخذ منها مايلزمها وتبيع الباقي للتجار المصريين والشاميين [١] وكانت حصيلة هذه العلاقات التجارية المزدهرة حصول التجار على امتيازات واسعة في مصر وبلاد الشام فقد انشئت فنادق خاصة لكل منها موظف مسؤول عن ادارته [٢].

وشهدت مصر في العصر الايوبي عدة مراكز تجارية لمختلف التجار العراقيين والشاميين والاتراك والاوربيين يعقدون فيها صفقاتهم التجارية ويخزنون بضائعهم ويتمتعون بحرية تامة في مزاولة شعائرهم والطقوس الخاصة بهم ، الا ان احق غلاق هذه المراكز كان متروكا للحكومة بما يلائم ومصالحها [٣].

وقد ساعدت التجارة الحرة بين الشرق والغرب على الالتقاء الفكري بين الطرفين لاسيما فيما يتعلق بالكتب التي كانت بين احدى السلع التجارية التي تبادلها التجار الاوربيون والشرقيون وأثمرت بشكل كبير في تطوير الثقافة لدى الطرفين [٤]

---

(١) ينظر : ديوان الثغور ص ٢٦٧-٢٦٨

(٢) الظاهري : زبدة كشف الممالك ٤١.

(3) Cook, studies in economic., P. 55.

(4) Cook, studies in economic., P. 55.

ثانيا : تداول النقود في عهد الملك الكامل

أ- الدنانير والدراهم الكاملية

ترتبط قيمة النقود بالاوضاع الاقتصادية والسياسية فقد ارتفعت الاسعار بمصر بسبب نقصان مياه نهر النيل الذي ادى الى قلة الانتاج الزراعي (١)، وعندما تعرضت دمياط لحصار الافرنج سنة ٦١٥ هـ/١٢١٨م ارتفعت الاسعار، ((فاصبح رغيف الخبز بمثقال ذهب)) (٢) وانتشرت الامراض والاوبئة في مصر وبلاد الشام حتى توفي سنة ٦٣٢ هـ/١٢٣٤م حوالي ثلاثين الفا من سكان مصر بسبب انتشار مرض الطاعون (٣) وكانت مصر كبلاد الشام والجزيرة تستخدم الذهب في معاملاتها النقدية المعروفة بالدينار الذهبي (٤) والدرهم الفضي (٥) (٦).

---

(١) ينظر الفصل الرابع ص ١٣٢ - ١٣٣.
(٢) ينظر الفصل الثالث ص ١٨٦.
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦/[illegible].
(٤) الدينار : لفظ مشتق من اللفظ اليوناني
وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية، استعمل العرب هذه العملة قبل الاسلام وعندما قام الخليفة عبد الملك بن مروان باصلاح النقد وضبط عياره ... اصبح وزن الدينار الشرعي منذ سنة (٧٤ - ٧٧ هـ / ٦٩٥ - ٦٩٦ م) ٤،٢٥ غراما (٦٦ حبة تقريبا)
ينظر : محمد - عبد الرحمن فهمي : صنج السكة في فجر الاسلام (القاهرة : ١٩٥٧) ٢٨ - ٣١.
(٥) الدرهم : وحدة من وحدات السكة الاسلامية الفضية واللفظ مشتق من الكلمة اليونانية دراخمة واستعمل في الاقاليم الشرقية للدولة العربية الاسلامية والوزن الشرعي له ٢,٩٧ غراما
ينظر : محمد : صنج السكة ٣١ - ٣٢.
(٦) الكرملي : انستاس ماري البغدادي : النقود العربية وعلم النميات (القاهرة : ١٩٣١) ٥٢.

وتعرضت العملة المصرية بنوعيها الدينار والدرهم لتقلبات كثيرة خلال العصور الاسلامية التي مرت بها • ففي الفترة التي كانت ادارتها تابعة للخلافة الاموية والعباسية • استخدمت النقود التي سكتها الخلافتان المذكورتان واستمرت على هذا المنوال الى ان آل حكمها الى الطولونيين فضرب احمد بن طولون الدينار الاحمدي [١] •

أما في ظل الدولة الفاطمية [٢]• فقد ضرب جوهر الصقلي الدينار المعزي [٣] نسبة الى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله [٤] •

ولما تولى السلطان صلاح الدين الحكم ابطل نقود مصر والشام وضرب الدينار ذهبا مصريا • كما ضرب الدراهم الناصرية وجعل عيارها فضة مساويا لنحاسها نصفا بنصف [٥] وكتب عليها اسمي الخليفة المستضيء بأمر الله والسلطان العادل نور الدين محمود زنكي كل على وجه [٦] •

وبقيت النقود التي سكها السلطان صلاح الدين مستخدمة في الدولة الايوبية من بعده مع تغيير اسم الملك الايوبي الجديد حتى تولى الملك الكامل حكم مصر فوجدت فترة حكمه بداية عصر جديد للنظام المالي المصري • وذلك للعناية الفائقة التي اولاها للدينار والدرهم المصري فحافظ على نقاء الذهب في الدينار الذهبي الذي ضربه سنة ٦١٦ هـ/ ٦٣٥ / ١٢١٩ ـ ١٢٣٧ م فقد اعتبر افضل دينار شرقا وغربا في عياره [٧] • وقد اكد البروفيسور أهرنكروتز صحة ماذكرناه من خلال مختارتين الاثنين بهما درجة

---

(١) الدينار الاحمدي : ينتسب الى احمد بن طولون • ضربه سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩م على طراز السكة الذهبية التي كانت سائدة منذ عهد الخليفة المأمون • وذكر في المركز اسم احمد بن طولون بعد اسم الخليفة وتراوح وزنه مابين ٣٫٣٠ قراما و ٣٫٥٠ و ٣٫٧٠ و ٤٫٠ غراما وظل الدينار الاحمدي نموذجا يقتدي به خلفاء ابن طولون الى ان انتهى بقيام الدولة الفاطمية • المقريزي : شذور العقود ٧٤ ـ ٧٥ •

(٢) المقريزي : شذور العقود ٢٨ •

(٣) الدينار المعزي : ينتسب الى الخليفة المعز لدين الله ضربه جوهر الصقلي وكان يحمل اسم المعز ولقبه • ينظر المقريزي : شذور العقود ٢٨ ـ ٢٩ •

(٤) المقريزي : شذور العقود ٢٨ •

(٥) المقريزي : شذور العقود ٢٩ •

(٦) المقريزي : شذور العقود ٢٩ •

(7) Rable . OP. Cit , P. 176 .

بهما درجة نقاوة الذهب في الدينار الكاملي : فقد قام سنة ١٩٥٤ بوزن ثمانية عشر دينارا محفوظا في كل من المتحف البريطاني ومتحف اشموليان فوجد ان اربعة منها تبلغ نسبة الذهب في سبيكة كل منهما ٩٥ % كما وصلت نسبة الذهب في الاربع عشر قطعة الباقية ٩٩٫٨٣ % وقام بوزن ثاني سنة ١٩٥٧ لسبعة وعشرين دينارا كامليا فوجد نسبة الذهب في خمس قطعة منها تبلغ ١٠٠ % وكانت نسبة الذهب في ست قطع اخرى منها ٩٩ % أما الاربع الاخرى فكان ذهبها بنسبة ٩٨ % ولم يجد نسبة الذهب تقل في القطع الباقي عن ٩٣ % (١).

ان سبب اصلاح الملك الكامل لعيار الدينار الذهبي ، يرجع الى الاستقرار الاقتصادي الذي شهدته فترة حكمه ،وازدهار العلاقات التجارية مع اوربا الذي ادى الى تدفق الذهب الى مصر فقد جلب التجار الاوربيون الذهب الى دار السكة في مصر على شكل العملة المصرية الرسمية وذلك لاستخدامه لاغراض التجارة وكان لادارته الحاسمة واشرافه المباشر على الادارة المالية أثر كبير في شهرة الدينار الكاملي وانتشاره خارج مصر ومما يؤكد ذلك أن العملات المسكوكة في مكة كانت تصك من ذهب مصر ولها نفس عيار الدينار الكاملي (٢) أما بالنسبة للدرهم الفضي ، فيخبرنا المقريزي ، ان اصلاحا قد حدث في ذي القعدة سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م فقد أمر الملك الكامل بضرب دراهم مستديرة تألفت سبيكتها من الثلثين فضة والثلث نحاسا (٣) وامر الناس بالتوجه الى دار السكة لاستبدال الدراهم الناصرية بالدرهم الكاملية بسعر درهم ونصف لكل رطل من الدراهم الناصرية (٤) ثم قام بارسال الدراهم القديمة الى دار السكة لكي يعاد ضربها

---

(1) Rabie ., Op. Cit , P. 177

(2) Rabie .,OP . Cit ., P. 178

(٣) المقريزي : اغاثة الامة ٦٥-٦٦ ؛ شذور العقود ٢٩-٣٠.
(٤) الكاملي : منصور بن بعرة الذهبي : كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق : عبد الرحمن فهمي (القاهرة: ١٩٦٦) ٤٠

يشـــــكل درهمـــه الجديد (١).

وقـد اشار البروفيسور بالوك الذي حلل عددا معينا من الدراهـم الكاملية لتحديد نسبة عيارها من الفضة ، فوجد ان نسبتها اقل ممـــــا هي في الدرهـم الورقي اي ان عيار الدرهم الكاملي هوثلث فضـــة والثلثان نحاس (٢). واستنتج البروفيسور بالوك ان اصلاح الملك الكامـل كان في الحقيقـــة خداعا وتمويها كبيرا واكد البروفيسور اهرنكروتـــز صحة ماذكره بالوك من خلال دراسته لقيمة التبادل للدراهم الكامليـــة بـ ٣٧,٣٥ : ١ دينار فوجد انها تحتوي اكثر من ٣٢ : ٤ % من الفضـــة (٢) اي انها اثبتا عكس ما اورده المقريزي . ويتبين ممـــا سبق ان قيمة الدرهـــم الكاملي في محتواها من الفضـــة اقل من الموجود في الدرهـم الورقــي والناصري وعلى هذا الاساس يكون الملك الكامل قـــد حقق ربحـــا كبيـــرا على حساب خسارة الناس بسبب استبداله الدرهم الناصري الذي يحوي علـــى النصف فضـــة مع درهمـــه الذي يحوي الثلث فضـــة.

ويحصل بـــــــدل النقد المزيج الكوفي القديم على العملات المدينية تقـــــل دائريـــا بخط النسخ بحروف مميزة وحلول الفقهـــــــة(٣) بـ اسباب سك الفلوس

ـــــــــــــ

لم يكن الدرهم الكاملي العملة الوحيدة المستخدمة في مصـــــر فحسب ، بل استمر الدرهم الورقي قيـــد التداول حتى بعد سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م وادى ذلك الى حدوث التباس كبير لدى الناس في استخدامهـــــا

(1) Rabie., OP. Cit., P. 179 , Ehrenkreutz, A.S "Contributions to the Knowledge of the Fiscal Administration of Egypt in the middle Ages" In Bsoms, Vol , XVI University of london 1954, P. 504 .

(2) Rabie, OP. Cit, P. 180 .

(٣) كانون عبد اللطيف : دراسة في المسكوكات الاسلامية ، الوثيقة مجلـــة دورية نصف سنوية تصدر في مركز الوثائق التاريخية العدد الاول م السنة الاولى (البحرين ١٩٨٢) ٥٤.

فقد اثبتت بعض وثائق الجنيزة (١) التي تعود الى سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م حول دعوى قضائية يطالب فيها المدعي بـ ٣٥ دينارا يساوي ١٤٠٠ درهما ورقيا (٢) أي ان دينارا واحدا يساوي ٤٠ درهما ، والاخرى عن امرأة سألت أبا الطاهر المحلي خطيب جامع مصر عن قربة ماء يبلغ سعرها نصف درهما ورقيا ، فقد اعطت لبائع الماء درهما كاملا فأرجع لها نصف درهم ورقي اي انها حصلت على قربة ماء زائد نصف درهم ورقي لقاء درهم كاملي واحد

ويتبين لنا أن بائع الماء فعل العكس فبدلا أن يأخذ نصف درهم كاملي مقابل الماء اعطاها نصف درهم ورقي اي درهما كامليا زائد قربة ماء فخاف ابو الطاهر أن يكون هذا العمل نوعا من الربا فعرض القضية على الملك الكامل الذي أمر بعد ذلك بضرب الفلوس النحاسية التي سكت لملاء الفراغ وسد الحاجة في السوق (٤) .

وقد اصبحت الفلوس النحاسية عملة سارية في البلاد وازدادت كمياتها ، بيد أن سكها من معادن عادية جعل من السهولة بامكان تزييفها وذلك بخلط النحاس بالمعادن الرخيصة كالرصاص وتقليل وزنها (٥) .

فيما يذكر في احداث سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ان ازمة من الازمات قد ادت الى زيادة عرض النقود الى الحد الذي ادى الى انخفاض قيمتها فأصبح الناس يتخلفون من تداولها ، اي ان النظام النقدي وصل الى درجة الانهيار وتداركا لهذا الانهيار ، أمر الملك الكامل الناس بتسليم مايحوزونه من الفلوس النحاسية الى الصيارفة فكانوا يدفعون خمسمائة قرام من الفلوس النحاسية لقاء درهمين كاملين وربع اونصف فخسر الناس كميات كبيرة من ثرواتهم (٦) ويرى البروفيسور دي بوارد أن أزمة سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م كانت

---

(١) وثائق الجنيزة : ((تعبير كلمة (جنيزة) عن حجرة تتخذ مخزنا بالمعبد اليهودي اوهي اي مكان تخزن فيه الاوراق المكتوبة بالخط العبري . يعتقد اليهود مثلما يعتقد المسلمون والاقباط انه لايجوز تقطيع ورقة يسطر عليها اسم الله اوتبدد وانما تحفظ في مكان امين)) ينظر : جواتيا ين س.د : دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية تعريب وتحقيق : عطية القوصي (الكويت : ١٩٨٠) ١٨٩ .

(٣) المقريزي : اغاثة الامة ٦٧ .

(٤) المقريزي : اغاثة الامة ٦٧ .

نقطة تحول في التاريخ المالي المصري لأن النقود النحاسية أصبحت فيـــــد التداول لاول مرة بسبب زيادة عرضها (١).

وبعد أربع سنوات اى في سنة ٦٣٤ هـ /١٢٣٦م حدث تغيير فــي الاسعار فأطلق الفلوس النحاسية بسعر التبادل لسنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م (٢) ومعنى هــذا أن الملك الكامل اشترى سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م النقود الرخيصـــــة وباع سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م - ١٢٣٧م النقود الغالية . وهذا الاجـراء ادى الى ادخال أموال لايستهان بهــا في خزانته على حســـاب خســارة الناس.

أمــا بالنسبـــة الى مايكتب على المسكوكات الايوبيـــة فقـد ظهـر انها تحمل اسم السلطان الايوبي مع الاشارة الى شعار الضـرب الجيـــد بلفظي (عال - غاية) أي أن عيار المسكوكة عال جدا فضلا عن ضـرب اسم الخليفـــة العباسي المعاصـــر للنقد الايوبي (٣) وكان ضرب اســم الخليفة العباسي دلالـة على الولاء الايوبي للخلافة العباسية واعترافـــا من الايوبييـــن بسيادة العباسيين الفعلية للعالم الاسلامـــي.

ويتم سك النقود في دور خاصـة تسمى دار الضرب . يسبك فيهــا الذهب حتى يصبح سائلا ثم يحول الى قضبان تقطع من اطرافها ثم يحـــرر وزنها ويصبح سبكة واحدة يوقد عليها الاتون ثم تخرج الاوراق ويرجع الفـرع الى الاصل . فاذا تساوى الوزن ضرب الدينار أوالدرهم وأن نقص اعيـــد الى أن يتســاوى. ومــا سبق ذكــره يتضح لنا أن التبايـــن الـــذي

---

(1) Rabie., OP . Cit ., P. 182

(2) Rabie., I bid . , P. 182.

(٣) كانو: دراسة عن المسكوكات الاسلامية ٦٤.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواين ٣٣٢- ٣٣٢.

حصل في النقود التي تداولها الناس في مصر تعكس لنا أثر الظروف السياسية والاقتصادية التي رافقت حكم الملك الكامل على سياسة النقود فقد حاول من خلال سكه لهذه النقود بما فيها الدينار والدرهم والفلوس توفير الاموال للدولة ، الا أن هذه النقود باختلاف قيمتها أثرت بشكل سلبي على المستوى المعاشي والقوة الشرائية للناس الذين يرغبون ببقاء المستوى العام للاسعار ثابتا من أجل ابقاء المستوى المعاشي على ماهو عليه او بعبارة اخرى منع تدهوره فالعلاقة عكسية بين النقود والقوة الشرائية اي كلما ازدادت النقود العائلة في السوق انخفضت القوة الشرائية للناس غير أن الملك الكامل اراد من هذا التلاعب بقيمة النقود واطلاقها بين فترة واخرى وباسعار مختلفة ابقاء خزينة الدولة مملوءة بالاموال التي (لم يخزنها لصالحه وانما لصرفها في اوجه مختلفة) وذلك لمعرفته أن هذه الاموال لها أثر كبير في تحديد متطلبات الحروب المستمرة التي كان يخوضها .

فقد كانت ظروف الحرب تقتضي تيسير هذه الاموال ، كما أن الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البلاد في السنوات التي سبقت حكمه أثر كبير في جعله يحاول التغلب عليها بتوفير المواد الغذائية وتحديد اسعارها فضلا عن صرفها لاقامة الانجازات العمرانية التي اعطت الدولة الايوبية تراثا كبير مازالت اثاره قائمة الى الوقت الحاضر .

... وقد ساهم بهذه الاموال في مساعدة الخلافة العباسية باعطاء ٢٠٠ الف دينار للانفاق على الجيش الذي ارسلته لمساعدة الخليفة لمقاومة المغول في وقت كان الملك الكامل نفسه يعاني ظروفا عصيبة بعد أن تجددت خلافاته مع الملوك الايوبيين بعد وفاة الملك الاشرف سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م .

ثالثا : الناحيـة الاداريـة

اهتمام الملك الكامل بالدواوين [1] بعد دراسة العديد من المصادر التاريخية ، تبين انه لم تكن ثمة اهتمامات واضحة للملك الكامل بالنواحي الادارية فقد كان مقلدا لسلفه السلطان صلاح الدين الايوبي في النظم الادارية للبلاد ، وتقسيمات الاقاليم ، علما بأنه ابدى اهتمامات واضحة بخصوص الدواوين مركزا على دواوين مصر كما اطلع على احوال الدواوين في بقية انحاء الدولة الايوبية وعلى هذا انصبت دراستي لتوضيح بعض الجوانب والتي شملت ما يأتي :-

آ- ديوان المال
ـــــــ : يعد من اهم الدواوين ، لكونه المسؤول عن جميع اموال الدولة وجرت العادة : أن يعين فيها موظف من اكابر الدولة يمتاز بحسن الادارة والفضيلة عارفا بشرائع الاسلام ليفرق بين الحلال والحرام ولديه معرفة في كيفية ادارة ديواني الخراج والهلالي [2] يقدم كل سنة السجلات الخاصة بالانتاج الزراعي والثروة الحيوانية ثم يقوم بعملية احصاء عن طريق نقل السجلات من ضمن الى بلد وبالعكس ويتقدم الى قسمين : بالاعمال والحساب.

بالاعمال
ـــــــ : فهو مسؤول عن اعمال الدواوين الخاصة بالانتاج الزراعي من ضريبة الخراج والمكوس [3].

بالحساب
ـــــــ : فهو مسؤول عن الامور المتعلقة بالزكاة والجوالي [4]

---

(1) لم تسعفنا المصادر التاريخية بذكر اشهر من تولى هذه الدواوين في عهد الملك الكامل الا النزر من الموظفين الذين كان لهم دور في بعض الاحداث التي مرت بها الدواوين .

(2) الديوان الهلالي : (هي المكوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للاقطاع اذا كانت تلك البلد جارية في ديوان من الدواوين السلطانية فتحصلها لذلك الديوان اوجارية في اقطاع بعض الامراء ونحوهم فتحصلها لصالح الاقطاع...) ينظر : القلقشندي : صبح الاعشى ٣/٤٦٧ .

(3) النابلسي : لمع القوانين ٢٩-٣٠ .

(4) الجوالي : وهي الاموال التي تؤخذ من الاحرار البالغين من اهل الذمة ماعدا الشيخ والنساء والرهبان والعبيد والمجانين في كل سنة .

والنطرون التي تدخل ضمن واردات ديوان المجلس (١).

وقد عني الملك الكامل عناية فائقة بديوان المال المسؤول عن جميع اموال الدولة ، فحافظ عليه من المزيفين وعين فيه اشخاصا يتميزون بحسن الادارة ورجاحة العقل (٢)، واهتم بتنمية اموال الدولة اجتماع بحضره الملوك والمستوفون (٣) يدور النقاش فيه حول كيفية ترتيب الدواوين والبحث عن احسن السبل لضبط امورها والاجتهاد في بعض الامور التي تساعد على انجاح ديوان المال وتوفير الاموال للدولة ، واذا اتفق المجتمعون على قرار يخدم الديوان يقوم الملك بن مرسوم يتوجب على الجميع تنفيذه (٤).

والدليل على اهتمام الملك الكامل بهذا الديوان ماروا النابلسي أن الملك الكامل عندما اتجه الى آمد سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١ م استدعى المستوفين والملوك وعقد اجتماعا ناقش افضل السبل في ادارة الدواوين متخذا الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مثالا لادارة الدواوين في شفقته على اموال المسلمين بالقول : ((اني كنا فكرت في ماحكي عن عمر بن الخطاب (رض) من شفقته على اموال المسلمين حتى تحدثه على اهله وولده ، وأمره أن يكتب في السجلات على ظهر الاوراق باطنها وحواشيها وضيق بين الاسطر وجدت لو وفرت جميع مال بيت المال)) (٥).

يكشف لنا هذا النص أن الملك الكامل ، كان يرغب في توفير مال الدولة قدر المستطاع حتى انه أراد أن يتشبه بالخليفة عمر بن الخطاب في حرصه على اموال الدولة فضلا عن قيامه بين آونة واخرى بعملية كشف عما في خزائن الدولة من اموال ليتمكن من معالجة بعض الثغرات التي تظهر بالدواوين واعمالها.

---

(١) النابلسي : لمع القوانين ٢٩ـ ٣٠
(٢) النابلسي : لمع القوانين ١٣.
(٣) المستوفون : مفردها مستوفي ، وهو موظف مسؤول عن مراقبة حسابات الدولة بما فيها الايرادات والمصروفات ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ١.
(٤) النابلسي : لمع القوانين ١٤.
(٥) للمزيد ينظر : النابلسي لمع القوانين ١٤ـ ١٥.

٢- ديوان الاحباس

هو أحد فروع ديوان المال وأهمها ، أختص بشؤون الاوقاف العامة والخاصة كالمساجد والمدارس والربط والزوايا والاراضي والعقارات المحبوسة[١] ويكون ناظر هذا الديوان عالما فاضلا مفتيا في مختلف انواع العلوم وله منزلة عند الخطباء وائمة المساجد وينفرد عن باقي موظفي الدواوين بأن لديه الحق في اختيار الارض الزراعية التي يرغب فيها فضلا عن صلاحيته في اصدار اى قرار دون علم السلطان في الوقت الذى لايمكن لأي مسؤول ان يصدر أى قرار الابمرسوم سلطاني[٢]

٣- ديوان المجلس

من الصعوبة بمكان تحديد وظيفة هذا الديوان ، فهو مسؤول عن ضبط واحصاء أموال الزكاة والجوالي والخراج والمواريث والتطرين فضلا عن قيامه بتقدير رواتب الموظفين[٣]. ويتضمن هذا الديوان مايرد من ملوك العالم من الهدايا والتحف[٤] وهويشرف على خزانة السلطان ومايتفق من دار الفطرة وفتح الخليج ونفقات الاسمطة التي تقام في الاحتفالات[٥].

٤- ديوان الجيش

يهتم هذا الديوان بالقضايا العسكرية فضلا عن اهتماماته بالاراضي الزراعية التي توزع على الجنود ، ولابد أن يتمتع صاحب هذا الديوان بصفات تؤهله لادارة الديوان بما يخدم الدولة والاجناد على السواء[٦] فيكون عظيم القدر متطلعا بالعلوم والاداب لاسيما الشعر والنثر والبلاغة عارفا بسير الخلفاء واخبار الملوك وايام العرب ليتخذ منهم امثلة يقتدى بعضها في ادارة ديوانه ، حافظا القرآن والحديث[٧] ليستشهد بهما عند الحاجة ، ويضاف الى هذه الصفات الالمام التام باحوال البلاد باتجاهه

(١) النابلسي : لمع القوانين ٢٥٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى ٣٨/٤.
(٢) النابلسي : لمع القوانين ٢٥ - ٢٦.
(٣) النابلسي : لمع القوانين ٣٦ والقلقشندى : صبح الاعشى ٤٩٠/٣.
(٤) المقريزى : الخطط المقريزية ٣٩٧/١ والقلقشندى : صبح الاعشى ٤٩٠/٣
(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ٤٩٠/٣.
(٦) النابلسي : لمع القوانين ٢٣ والمقريزى : الخطط المقريزية ٢٢٧/٢.
(٧) النابلسي : لمع القوانين ٢٣.

من محاصيل زراعية عن طريق عملية المسح التي يجريها على الكتب الخاصة بقوانين الري التي يتعرف من خلالها على التغيرات الحاصلة ويقرر الاجراءات اللازمة لاصلاحها كما يطلع على التحولات الجارية للاراضي الزراعية من ارض صالحة للزراعة الى ارض غير صالحة وغير ذلك من التغيرات (١) .

ومن خلال هذه الصفات التي ذكرناها يتمكن صاحب هذا الديوان من توزيع الاراضي على المقطعين بحيث يرضي الاجناد وفي الوقت نفسه يوفر الاموال للديوان وبذلك يتمكن اصحاب القاطعة الانفاق على عسكره وبنساء الاستحكامات العسكرية التي تزيد من قوة البلاد الدفاعية (٢) .

٤- ديوان الثغور

والثغور هي المدن الساحلية المتمثلة بالاسكندرية ودمياط والفرما وتنيس والرشيد وعيذاب (٣) اي ان هذا الديوان مسؤول عن موارد الدولة القادمة من السواحل ، ويكون هذا الديوان تابعا لديوان المال يشرف عليه صاحب ناظر الدواوين (٤) .

يتولى هذا الديوان مسؤولية استلام الخشب والحديد الوارديــن الى مصر من الغرب اي انه مسؤول عن موارد الدولة الخارجية ، وبعد استلامها يقوم ببيع هذه السلع لعامة الناس باسعار رخيصة ، ونحن نعلم ان الدولة تمتلك دورا لصناعة السفن فهي بحاجة الى الاخشاب لاتمام هذه الصناعة فضلاً عن بنائها الحصون والقلاع فهي تقوم بشراء هذه السلع مرة اخرى من عامة الناس بضعفي الثمن فالتاجر يربح اضعاف مايربحه الديوان (٥) .

ونستنتج مــن النص السابق ، ان الدولة تصرف مبالغ كبيرة الـ... راء

(١) النابلسي : لمع القوانين ٢٣ .
(٢) نوري : سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة (بغداد : ١٩٧٦) ٤٣٠ .
(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٢٥ ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ٤٦١/١ .
(٤) ماجد - نظم الفاطميين ورسومهم في مصر (القاهرة : ١٩٥٣) ١١٩ .
(٥) النابلسي : لمع القوانين ٤٥ - ٤٦ .

الخشب فضلا عن الخسارة التي تظهر في الديوان ومن ثم فأن ذلك يؤثر على اقتصادها لذلك فقد كانت تقوم بحل هذه الازمة باحتكارها هذه السلع اى انها تقوم بشراء ماتحتاجه من السلع الضرورية ثم تبيع الباقي لعامة الناس وبهذه الطريقة يمكنها ان توفر مبالغ كثيرة (١) فضلا عن توفير الاخشاب بصورة مستمرة لدار صناعة السفن لكي لاتتعرض هذه الصناعات للركود نتيجة لتدهور الاوضاع السياسية التي تجعل بعض الدول الاوربية كايطاليا تمنع تصدير هذه السلع للمسلمين وهذا هو ماكان يحصل احيانا لاسيما لدى استيلاء الافرنج على دمياط (٢) وبهذا المقترح تمت معالجة الاهمال الذي يوجد في الديوان .

هـ ديوان الاهراء

مسؤول عن خزن مايرد من غلات الاملاك السلطانية فضلا عن قيامه بتوفير اماكن لخزن الغلات الخاصة بالسلطان احتياطا للطوارئ (٣) فيكون واجب صاحب هذا الديوان مراقبة المراكب القادمة الى مصر فاذا مركب [illegible] الى الساحل وقد نقص منها شيء . يحضر صاحب المركب الى الديوان ليقسم [illegible] من كثرة ما جلب من الغلات . ويحدث احيانا [illegible] ان صاحب الديوان تمكن من القبض على ثلاثة موظفين يعملون في الديوان [illegible] ان كشف ان هؤلاء الموظفين قد اختزلوا كميات كبيرة من القمح المخصص للديوان (٤) .

وفي بعض الاحيان كانت تصل بعض المراكب الى مصر ناقصة [illegible] ان يقول صاحب الديوان ان هذا النقص يعود الى البلاد التي قدم منها المركب . ويعلن النابلسي بان هذا الاعتقاد ليس صحيحا .

---

(١) النابلسي : لمع القوانين ٤٥ـ٤٦ .
(٢) ينظر الفصل الرابع ص ١٥١ .
(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٥٠ .
(٤) النابلسي : لمع القوانين ٥٠ـ٥١ .

لأن اصحاب بعض المراكب يقومون في طريقهم الى مصر ببيع قسم من المواد التي يجلبونها ويرضون الموظف المسؤول عن تفتيشهم ببعض المال [1].

ان الحالة السابقة تكشف امرين : احدهما تفشي السرقة مع الاهمال في تأدية الواجب ، فضلا عن سرقة بعض المواد الغذائية كالقمح الذي يعد من اهم المواد الغذائية التي يعتمد عليها ابناء الشعب في غذائهم ويبدو ان الازمات الاقتصادية التي تحدث في مصر اثرا كبيرا في زيادة عمليات السرقة والنهب لمثل هذه الغلات علاوة على قيام بعض عمال الدواوين باستغلال الاوضاع الاقتصادية المتردية بالقيام بعمليات الاحتكار والاختلاس ، والثاني يقابل هذه الاعمال وهو مراقبة شديدة للعمال من قبل الملك والضرب على ايدي السراق ، ومما يؤكد ذلك قيام الملك الكامل بالقبض على صاحب ديوان الحبس الغربي ، فقد كان الديوان يحوي احد عشر الف اردب من القمح والفول ، فطالب ديوان الاهراء للمخابز خمسين اردبا فتبين انه لايوجد شيء مما جلب لهذا الديوان ، وعندما علم الملك الكامل بما حدث امر ان يؤخذ من حاصل غلاته التي في القلعة لسد النقص الحاصل ، وفي الوقت نفسه امر بالقبض على صاحب الديوان الظهير الطيبذاوي وعماله واصدر عقوبة بحقهم تمثلت بحملة في قفص والطواف به في القاهرة وفي آخر النهار يعاد الى السجن فكانت هذه العقوبة اشد من الموت [2] وكان قد عينه قبل ذلك بصورة مؤقتة بعد دمجه الوجه القبلي والبحري في باب واحد [3].

ومن حرص الملك الكامل الشديد على الدواوين طالبه من

---

(١) النابلسي : لمع القوانين ٥١.
(٢) النابلسي : لمع القوانين ٦١ ـ ٦٢.
(٣) للمزيد ينظر : لمع القوانين ٣٧ ـ ٣٨.

النابلسي ان يعين بوظيفة ناظر على الدواوين، فرفض النابلسي حرصا على اموال الدولة قائلا : ((متى علم المستخدمون في البلاد بانه قد ولي عليهم جاهل بالديوان اتفقوا على المستوفين بالباب ونهبوا الاموال ...)) (١) فاعفاه الملك الكامل معجبا باخلاصه وامانته التي تجعله يرفض ان يتعين في هذا المنصب الذي يجعل بيده البلاد من مكة الى دمياط بين من يسعى للحصول على احد الفروع (٢).

واعاد الملك الكامل استخدام ديوان التحقيق سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م وهو ديوان كان الفاطميون أول من استخدمه في نظام الادارة المالية ويتصل هذا الديوان بالتحقيق في قضايا الشؤون المالية واستمر مدة سنتين حتى ألغي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (٣).

واستمر الملك الكامل في توجيه عنايته بالدواوين فقد عين سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م معين الدين بن شيخ الشيوخ صدر الدين في خدمته فكان يقرأ عليه الدواوين ديوانا ديوانا

ـــ

(١) النابلسي : لمع القوانين ٦٨.
(٢) النابلسي : لمع القوانين ٦٩.
(3) Rabie ., OP . Cit., P .P.P 146-147

ويذكر المقريزي في هذا الصدد ان الملك الكامل ((أحدث الحوادث شاد الحقوق)) وهي وظيفة مسؤولة عن الادارة المالية فهو اول من أحدث هذه الوظيفة ، الخطط المقريزية ٣٢٨/٢.

فيقول : يضاف هذا الديوان الى ديوان كـــذا وبذلك تمكن من ترتيب الدواويـــن (١).

كمـا قام سنة ١٣٠ هـ/١٣٣٢م مرة ثانيـة بعقـد اجتمـاع حضره النابلسي وعدد من كبار موظفي الدولـة لترتيب الدواويـن بعد ان تبين لـه ان بعض الكتب المتعلقـة بالدواويـن تصل اليـه بخط لايعرفـه وقـد اعتاد على ان لايعيـن فـي الديوان الا مـن يعرف امانتـه وصدقـه ، فلولا معرفتـه بذلك لمـا سمح لاحـد من موظفـي الديوان أن يخرج درهمـا من الديوان دون علمـه (٢) وبارى الامير جمال الدين بن يغمور وظيفـة كتـد الدواوين (٣) الذي يقوم بوظيفـة استخلاص مايتقرر فـي الديوان على من يحضر استخلاصه منـه)) (٤)

---

(١) النابلسي : لمع القوانين ٣٧.
(٢) النابلسي : لمع القوانين ٣٧.
(3) Rabie., OP. Cit ., P. 151
(٤) المكي : معيد النعم ومبيد النقم ٢٨.

خامسا : الحياة الثقافية في عهد الملك الكامل :

ازدهرت الحركة الفكرية في عصر الأيوبيين ازدهارا عظيما ، وكان لاهتمام ملوك الدولة الأيوبية وعنايتهم بالفكر والعلم أثر واضح في هذا الازدهار والدليل على ذلك انتشار دور العلم في مختلف أرجاء مصر والشام ، علاوة على ما لحق بها من خزائن للكتب .

أ - المدارس :

كان التعليم يتم في الجوامع والمساجد المنتشرة في أرجاء البلاد ، ومن أشهرها في مصر جامع عمرو بن العاص ، جامع ابن طولون ، جامع الحاكم بأمر الله ، والجامع الأزهر الذي أبطل السلطان صلاح الدين الخطبة فيه وذلك لأنه أقام الخطبة على مذهب الامام الشافعي ، وكان الجامع الأزهر يقيم الخطبة على المذهب الفاطمي فلا يمكن أن تقام خطبتان للجمعة[1] وبقي الجامع معطلا الى ايام الظاهر بيبرس .[2]

ومع هذا لم يفقد الأزهر هيبته كدار لنشر العلوم المختلفة ، فقد قصده طلاب العلم من مختلف انحاء العالم الاسلامي .[3]

وقد أنشأ الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ/١٠٠٤م في القاهرة دار الحكمة ، عدت من أهم دور العلم ، وعين فيها الفقهاء والقراء والأدباء والنحويين والأطباء وعلماء الرياضيات والمنطق ، يحضر اليها طلاب العلم ليشتغلوا بمطالعة الكتب والنسخ والتعلم ، وقد وفرت هذه الدار الحبر والأقلام والورق والمحابر ليستخدمها الطالب ، وللظروف السياسية التي جابهتها مصر بسبب حروبها مع الافرنج اغلقت هذه الدار سنة ٥١٣ هـ/١١١٩م ، ثم فتحت مرة أخرى سنة ٥١٧ هـ/١١٢٣م .[4]

---

(١) المقريزي : الخطط المقريزية ٢/٢٧٣ - ٢٧٥ .
(٢) المقريزي : الخطط المقريزية ٢/٢٧٦ .
(٣) سلام ، محمد زغلول : الأدب في العصر الأيوبي (مصر : ١٩٦٨) ٤٣ .
(٤) المقريزي : الخطط المقريزية ١/٤٥٨ - ٤٥٦ .

وبعد تولي السلطان صلاح الدين الحكم نشر مذهبا الامام الشافعي والامام مالك ، وبنيت مدارس للشافعية في مصر ودمشق وحلب[١]. وقد انتشر في دمشق قبل المدارس عدد من دور الحديث ، درّس فيها القرآن الكريم وما يتعلق به من دراسات ، ولاسيما علم القراءات الذي اقيمت له مدرسة للقرّاء سميت بدار القرآن[٢] ومن دور الحديث الاخرى ، دار الحديث الاشرفية التي أنشأها الملك الاشرف سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م ، وتم فتحها سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[٣].

وأول مدرسة بناها السلطان صلاح الدين في مصر ، المدرسة الناصرية[٤] ثم القمحية والسيوفية [٥] كما ظهرت مدارس عديدة في بلاد الشام ، كالمدرسة الظاهرية التي بناها الظاهر غازي بن صلاح الدين في حلب ودرّس فيها المذهب الشافعي[٦] والمدرسة العزية التي أنشأها الامير عز الدين استادار الملك المعظم سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م[٧] والمدرسة المعظمية التي أنشئت سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤ م منسوبة الى الملك المعظم الذي اهتم بدراسة الفقه على مذهب ابي حنيفة ، فضلا عن عنايته بالادب والشعر .[٨]

وكذلك المدرسة العادلية الكبرى التي بدأ ببنائها نور الدين محمود زنكي وأكمل قسما منها الملك العادل الايوبي وأتمها الملك المعظم وأوقف عليها كثيرا من الاموال يدفن ابناءه فيها .[٩]

---

(١) المقريزي : الخطط المقريزية ٢ / ٣٦٢ .
(٢) المؤيد ، ينظر : النعيمي : الدارس ١/٨ — ١٨ .
(٣) النعيمي : الدارس ١/٢٠ .
(٤) المدرسة الناصرية : أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ/١١٧٠م عندما كان وزيرا للعاضد ودرس فيها المذهب الشافعي . ينظر : المقريزي : الخطط المقريزية ١/ ٣٦٤ .
(٥) المقريزي : الخطط المقريزية ٢ / ٣٦٢ .
(٦) النعيمي : الدارس ١/ ٣٤٤ .
(٧) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة — تاريخ دمشق ٢٢١ .
(٨) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة — تاريخ دمشق ٢٢٠ .
(٩) النعيمي : الدارس ١/ ٣٥٩ .

وكان لهذه المدارس أثر كبير في نشر معالم الثقافة في مختلف أرجاء الدولة الايوبية ، ولاسيما مصر فقد أسهمت في بناء الثقافة العربية والفكر الاسلامي وأخذت الدراسات المتعلقة بمذهب الاماعيلية ، وقد كانت سائدة منذ العهد الفاطمي تتحول الى دراسات على المذاهب الاربعة وانفتحت الابواب أمام الثقافات الاسلامية المتعددة لتتدفق الطلبة على القاهرة من مختلف ارجاء العالم الاسلامي [١]. وشارك الامراء ملوكهم بانشاء المدارس ، فأنشأ أحد أمراء صلاح الدين المدرسة القطبية وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية [٢].

ان الاهتمام بالمدارس وصل الى حد قيام النساء بانشاء المدارس ايضا ، فقد كانت مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل سنة ٦٠٣ هـ - ٦٩٣ هـ/١٢١٦ م - ١٢٩٣ م من المهتمين بعلوم الدين ، فقد سمعت الحديث وحدثت به وأخرج لها الحافظ ابو العباس احمد بن محمد الظاهري أحاديث ولها أدب بعد ما توفيت أوصت ببناء مدرسة يدرس فيها المذهبان الشافعي والحنفي [٣] وأسهمت ابنته الاخرى زهرة خاتون بانشاء المدرسة العادلية الصغرى وأوقفت عليها مبالغ من المال وعينت فيها عشرين فقيها ومدرسا ومعيدا واماما ومؤذنا وبوابا [٤].

اما بالنسبة للملك الكامل فقد عرف بحبه للعلم والعلماء لذلك وقف قدراته في تطوير هذه المدارس وانشاء الجديد منها ، ومن أهم المدارس التي أنشأها المدرسة الكاملية التي درس فيها المذهب الشافعي ثم المذاهب الاربعة ، واستمرت تدرس مختلف العلوم الى ان تلاشت أهميتها حين تولى التدريس فيها (صبي لا يعرف شيئا من العلوم) [٥] ، ومن المدارس الاخرى التي أنشئت في عهد الملك الكامل ، المدرسة الفخرية التي أنشأها فخر الدين [٦] استادار

---

[١] سلام : الادب ٢ ١٤٢ .
[٢] المقريزي : الخطط المقريزية ٢/٣٦٥ .
[٣] المقريزي : الخطط المقريزية ٢/٣٦٨ .
[٤] النعيمي : الدارس ١/٣٦٨ .
[٥] المقريزي : الخطط المقريزية ٢/٣٧٥ .

[٦] فخر الدين : ابو الفتح عثمان بن قزل البارومي ولد سنة ٥٥١ هـ/١١٥٦ م بحلب ، وتنقل في خدمة الملوك ، حتى صار أحد الامراء بمصر ، ونال مكانة كبيرة عند الملك الكامل حتى صار استاداره ، وتولى تدبير هذه المدرسة ، توفي بحران سنة ٦٢٩ هـ/١٢٣١ م ، من آثاره هذه المدرسة . المقريزي : الخطط المقريزية ٢/٣٦٧ .

الملك الكامل ، وانتهى من بنائها سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م [١] . والمدرسة الصوفية التي بناها جمال الدين صيوم ، وتقع بجانب جامع الحاكم ، وجعلها للفقهاء الشافعية [٢] كما عد المشهد الحسيني من دور العلم التي أسست بعد مجيء صلاح الدين ، وقد درس فيه المذهب الشافعي ايضا [٣] ، وتولى التدريس فيه صدر الدين حمويه . [٤]

ب - طرق التدريس :

وقبل الحديث عن أهم العلماء الذين عاصروا الملك الكامل ، لابد من القاء نظرة سريعة عن طرق التدريس في تلك المدارس ، وأهم المواد التي تدرس فيها .

لقد كان تعليم الصغار يتم على أساس تدريس الحروف الأبجدية ثم السور القصار من القرآن ، وبعد ذلك يبدئ الصبي من تعلم أصول الحساب وما يستحسن من الاشعار والمراسلات ، ثم يأمره المدرس بتجويد الخط ، ويكلفه بعرض ما أملاه عليه وعلى زملائه ، ومن كان عمره سبع سنوات يأمره بالصلاة ، ومع ما يدرسه الطالب من تلك المعارف يوجهه المدرس توجيها تربويا فيبدي له بعض النصائح التربوية ويأمره ببر الوالدين والانقياد لأوامرهما بالسمع والطاعة . [٥]

ولم يقتصر التعليم على الصبيان ، بل امتد ليشمل النساء ايضا ، فتقوم المعلمات بتدريس البنات وارشادهن وتوجيههن تربويا . [٦]

---

(١) المقريزي : الخطط المقريزية ٣٦٧/٢ .
(٢) المقريزي : الخطط المقريزية ٣٧٨/٢ .
(٣) المقريزي : الخطط المقريزية ٣٧٨/٢ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٢ .

(٥) ابن بسام ، محمد بن احمد المحتسب : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : حسام الدين مصطفى ، بغداد : ١٩٦٨ ، ١٦١ .

(٦) للمزيد ، ينظر : ابن بسام : نهاية الرتبة ١٦٢ .

يختار من بين الصبيان صبي تجتمع به صفات الطالب المثالي [١] يلقب بالعريف يقوم بمراقبة الصبيان وحفظهم من الحرب ، ويشرف عليهم في اثناء اللعب والطعام وإعادة المادة التي القاها المدرس كي ترسخ في اذهانهم ·[٢]

يعتمد التدريس على هيئة متخصصة في هذا المجال تتكون اولا من المدرسين ، ويشترط في المدرس ان يكون ملما بالمادة العلمية المسؤول عنها مستوعبا لجوانبها ، وان يكون عارفا بعلوم أخرى كالتفسير والفقه والحديث وغير ذلك ، وان ينوّع الدرس ، فيذكر العلوم التي له المام كامل بها ، ولا بد ان يحسن القاء الدرس وتفهيمه للحاضرين وعلى المدرس أن يعرف مستوى الطلاب الذين يلقي عليهم الدرس ، فان كانوا مبتدئين يلقي عليهم ما يناسبهم ويدربهم على حد قول السبكي " يأخذ بالأمور ، الى ان ينتهوا الى درجة التحقيق وان كانوا منتهين ··· يدخل بهم الى مشكلات الفقه ويخوض بهم عبابه الزاخر ··· " ويشترط السبكي على المدرس التزامه بكتاب او مادة معينة يوردها على الطلاب ويقول : " ومن أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين او ثلاثة من كتاب ويجلس يلقيها ثم ينهض ، فهذا ان كان لا يقدر الا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس " [٤]

اما المعيد ، فوظيفته مقتبسة من نظم الدراسة الاسلامية التي تؤكد على ان نظم التعليم كانت في أوج الاتقان والرقي [٥] فواجبه اعادة الدرس ، وذلك بأن يكون له قابلية على سماع الدرس بصورة جيدة وحفظه ثم اعادته لافهام الطلبة وتفهيمهم [٦] ، ومن الطلبة من يعرف بأنه " المفيد " ، وهو الذي يفيد من

---

(١) رشيد ، ناظم : التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام (مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، العدد العاشر ، العاشر ١٩٧٦) ٢٧٦ ·

(٢) ابن بسام : نهاية الرتبة ٦٦٢·

(٣) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ١٠٥·

(٤) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ١٠٥ ·

(٥) رشيد : التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ٢٨٠ ·

(٦) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ١٠٨ وطبقات الشافعية الكبرى ٢٤٣/٤ والقلقشندي : صبح الاعشى ٤٦٤/٥ ·

الدرس الملقى عليه ، ثم يقوم بزيادة الفائدة عن طريق الاطلاع على مصادر أخرى يعتني بها المادة التي درسها وإن لم يفعل أضاع الفائدة التي حصل عليها [١] .

يتم إلقاء الدروس داخل المدارس بالشكل التالي : يجلس المدرس " على كرسية أو على مكان مرتفع وسط حلقة من الطلاب يلتفون حوله فيلقي درسه شفاها أو من كتاب بين يديه ، وقد يكون الكتاب من وضعه هو أو من وضع غيره ويناقش طلبته في موضع الكتاب ، ويقف عند ما يستشكل فيشرحه ، أو قد يعرض لمسألة من المسائل في الفقه والحديث أو اللغة أو الآداب ، فيشرحها ويأتي عليها بالشاهد من محفوظة أو مما يعرفه أو يأتي به من الكتب " .[٢]

ومن أجل مساعدة الطلبة على استيعاب الدروس وزيادة المعرفة استوجب على الدولة أن توفر لهم الكتب المختلفة ، لذا أنشأت خزائن الكتب في دور العلم وعينت فيها موظفا يسمى خازن الكتب واجبه المحافظة على الكتب وترتيبها وتصنيفها وإصلاح ما تلف منها ، ويقدم الكتب للمحتاج إليها ولاسيما الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب ويشترط على الموظف ألا يعيرها إلا "برهن" يضمن رجوع الكتاب[٣]

إن أهم العلوم التي كانت تدرس في دور العلم والمدارس : الفقه والحديث واحتل الفقه المكانة الأولى من هذه الثقافة ، فضلا عن العلوم المتعلقة به كالتفسير والفرائض والقراءات والأصول والعلوم الضرورية لدراسة اللغة ، كالنحو والبلاغة[٤] ، كما أولى المصريون اهتماما كبيرا للتاريخ وظهر عدد كبير من المؤرخين منهم أبو شامة مؤلف كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية[٥] وابن واصل الذي خدم الظاهر بيبرس ، فكان من مخضرمي

---

(١) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ١٠٨ .
(٢) سلام : الأدب في العصر الأيوبي ١١١ .
(٣) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ١١٦ .

(٤) حمزة ، عبد اللطيف : الحركة الفكرية في الدولتين والمملوكية (القاهرة : ١٩٦٨) ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٥) حمزة : الحركة الفكرية ٢٢٩ .

الدولتين الأيوبية والمملوكية لانه شاهد بنفسه الأحداث التي عاصرت الملك الكامل [١] وهو يقول في كتابه " مفرج الكروب " ان عمره كان اثنتي عشرة سنة في عام ٦١٦هـ/١٢١٩م [٢] .

وقد أسهم عدد كبير من العلماء في عهد الملك الكامل بإغناء الثقافة في مختلف عناصر العلوم ، ومنهم :

١ — زين الدين الـزواوي :

ابو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور النحوي الحنفي ، ولد سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨ م في أفريقيا من قبيلة زوارة [٣] ، كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة ، أقام في دمشق فترة طويلة ودرّس النحو وصنف تصانيف مفيدة ، وبعد ان ذاعت شهرته طلب منه الملك الكامل الانتقال الى مصر ، فسافر اليها وتصدر في الجامع العتيق لاقراء الأدب ، وقرر له راتب واستمر في التدريس الى أن توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م بالقاهرة ودفن قرب تربة الامام الشافعي [٤] ، ومن أهم مؤلفاته : (الفصول الخمسون في النحو) و (ألفية في النحو) وله أيضا (قصيدة في القراءات السبع) و (ديوان شعر) [٥] .

٢ — المنـذري :

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشافعي ولد سنة ٥٨١ هـ/ ١٢٥٨ م ، وله معجم كبير في نقله الحديث بعنوان " التكملة لوفيات النقلة " ، تولى مشيخة الكاملية مدة وانقطع بها نحو عشرين سنة

---

(١) حمزة : الحركة الفكرية ٣٠٠ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ١٥ .
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ١٢٩/٥ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٦٧/٦ والسيوطي : حسن المحاضرة ٥٣٢/١ .
(٥) ياقوت الحموي : ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف باسم (معجم الأدباء) تحقيق : عبد الستار احمد فراج (بيروت: ١٩٨٠) ٢٩٢/٧ .

كبّاً على العلم والافادة ، وله كتاب (الترغيب والترهيب) برع في العربية والفقه وسمع الحديث ، وتمكن من معرفة رواته وجرحهم وتعديلهم.[١]

٣ ـ الاسكندراني :

عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن الواحد اللخمي ، ولد سنة ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م ، توفي سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١ م ، روى الحديث ، ومن تصانيفه (الأحجية في علم العربية) و (اللمحة المحتبية واللمعة المعتنية في النحو) و (الرسالة البارعة في الأفعال المضارعة) و (التذكرة المختصرة في القراءات العشرة) وغيرها[٢] ، وكان وجود هذا الشخص في الاسكندرية دلالة قوية على وجود مدرسة مهمة للنحو في الاسكندرية[٣] .

٤ ـ ابن دحية :

ابو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسن محمد الكلبي[٤] ، السبتي اللغوي الظاهري المذهب ، جال في الأندلس ، وسمع الحديث بمصر من البوصيري ، وسمع بالعراق مسند الامام ، وعدّ من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، عني بالنحو وما يتعلق به من اللغة وأيام العرب وأشعارها[٥] ، ومن أهم مؤلفاته (التنوير في مولد السراج المنير) و (العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور) و (النبراس في خلفاء بني العباس)[٦] ، نظم قصيدة شعر في الملك الكامل قال فيها :

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٧٧/٥ .
(٢) السيوطي : بغية الوعاة ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(٣) حمزة : الحركة الفكرية ٢٢٠ .
(٤) التلمساني ، احمد بن المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب (بيروت : ١٩٦٨) ٢/ ١٠١ .
(٥) السيوطي : بغية الوعاة ٢/ ٢١٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٠٦/٥ .
(٦) التلمساني : نفح الطيب ٢/ ١٠١ .

مالي أسائل برق بارق عنكم	من بعد ما بعدت دياري منكم
فمحلكم قلبي وأنتم بالحشا	لا بالعقيق ولا برامة أنتم

فأجابه الملك الكامل بعد ونظم قائلاً :

ويحن شوقي للاجارع باللوى	وابن اللوى مني وابن الأجارع
ومرابع لو أن المرابع أنجم	لكن نجوم الأرض تلك المرابع [1]

وهو أول من تولى مشيخة الكاملية [2]، إلا أن الملك الكامل عزله عنها بسبب اتهامه بالمجازفة في النقل [3] فترك مصر متجها الى دمشق، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م [4].

٥ ـ الرشيد العطار :

الحافظ ابو الحسين يحيى بن علي الأموي النابلسي المصري، ولد سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م، اهتم بالحديث، وبرع فيه، وولي مشيخة الكاملية، توفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م [5]، له معجم في تراجم شيوخه [6].

٦ ـ الخونجي :

محمد بن عبد الملك أفضل الدين، قاضي مصر، كان حكيماً منطقيا، تولى القضاء [7] ولد سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م، أقام في مصر واهتم

---

(١) التلمساني : نفح الطيب ٢/١٠٦.
(٢) السيوطي : بغية الوعاة ٢/٢١٨.
(٣) للمزيد ينظر : التلمساني : نفح الطيب ٣/١٣٧.
(٤) السيوطي : بغية الوعاة ٢/٢١٨.
(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ٥/٣١١.
(٦) الزركلي خير الدين : الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٣ (بيروت: ١٩٦٩).

بالحكمة والمنطق وصنّف كتاب (كشف الأسرار في غوامض الأفكار) و (الموجز في المنطق) توفي بالقاهرة سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م .[1]

٧ ـ الأصفوني :

قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني علم الدين الملقب بتعاسيف ، كان اماما في علوم الرياضيات ، اشتغل في مصر والشام ، ذهب الى الموصل ودرس علم الموسيقى على يد العالم كمال الدين موسى بن يونس ، كان مولده سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م بأصفون شرقي صعيد مصر ، توفي في دمشق سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م .[2]

٨ ـ ابن البيطار :

ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن أحمد البيطار المالقي ، لقب بالعشّاب لاهتمامه بمعرفة النباتات ، ذاعت شهرته في مصر وأصبح الحاكم على العشابين ، خدم عند الملك الكامل وابنه الملك الصالح ، له كتاب مطبوع اسمه (المغني في العلاج : الأدوية المفردة) فضلا عن عدة مؤلفات منها : (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) يعرف بـ (جامع الأدوية المفردة) و (مفردات ابن البيطار) كان الملك الصالح قد أمره بجمعه ويعد اليوم من أثمن كتب المفردات وأجمعها فضلا عن كتابه (الابانة والاعلام بما في المنهج من الخلل والأوهام) و (شرح ديسقوريدس) كانت وفاته سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م .[3]

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٥/٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
(٢) ابو الفدا : المختصر ٣/١٨٦ .
(٣) ابن ابي شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود (بغداد : ١٩٨٠) ٢٨ ، سركيس ، يوسف اليان : معجم المطبوعات العربية والمعربة (القاهرة : ١٩٢٨) ٤٩ ـ ٥٠ .

جـ - الشعر والشعراء :

ازدهر الشعر في مصر وبلاد الشام بصورة كبيرة وظهر عدد من الشعراء الذين عاصروا الملك الكامل ، ونظموا مختلف القصائد منها في المديح والأخرى في التهنئة بالانتصار او وصف المعارك .

لقد كان للشعر دور كبير في تسجيل الوقائع الجهادية والتاريخية التي لها وقع كبير على مشاعر الناس ، ومن المعروف ان الملوك الأيوبيين كانوا في حروب مستمرة ، فكان الشعر مرآة زاهية أوضحت الكثير من الجوانب السياسية والتاريخية في حياتهم والدارس لتاريخ الأدب والشعر عند الأيوبيين يمكنه ان يخرج بحصيلة عما جرى في تلك البلاد ، فعندما هدم الملك المعظم سور بيت المقدس ، ألقيت القصائد التي تذكر هذا الحدث ، كما سجل الشعراء حالة أهل دمياط عندما حاصرها الافرنج ، فأنشد جمال الدين الكاتب قصيدة يصف بها ذلك .(١)

ومن أبرز الشعراء الذين عاصروا الملك الكامل :

١ - ابن عنين :

ابو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين الانصاري الملقب بشرف الدين ، ولد بدمشق سنة ٥٤٩ هـ/١١٥٤ م ، وأقام وتتلمذ على يد عدد من الشيوخ ، منهم ابو الثناء محمود بن نعمة الشيرزي ، ودرس الأدب وبرع في النحو ، وبدأ يقول الشعر وهو في سن السادسة عشرة في عهد الملك العادل نور الدين زنكي ، طاف بلاد الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان ، ووصل الهند واليمن ، وأقام فترة في مصر ، امتدح الملوك الأيوبيين ، ونظم قصائد في الرثاء والهجاء وغيرها من صنوف الشعر .(٢)

ولما اعطى الملك الكامل دمشق لأخيه الملك الأشرف سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م ، قال :

---

(١) ينظر : الفصل الثالث ، ص ٨٧ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/١٤ - ١٨ .

وكم ترجي بعد عيسى محمد ليفقدنا من لامن الضر والبلوى
فأوقعنا في تيه موسى فلنا حيارى ولا من لدينا ولا سلوى[1]

٢ ـ ابن الفارض :

ابو القاسم عمر بن ابي الحسن علي ، حموي الاصل ، ولد سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م ، ونشأ وترعرع في مصر ، تشبع بالثقافة الدينية وتفتح قلبه على الزهد حتى أصبح شيخا صوفيا ، وعاصر الملك الكامل الذي اعجب به وبشعره وأراد ان يقربه اليه ، لاسيما بعدما سمع قصيدته اليائية ، الا ان ابن الفارض رفض ذلك مفضلا حياة الزهد والتصوف واستمر على تلك الحال ، الى ان توفي سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م ، من آثاره ديوان شعر غني بأناشيد الحب الالهي وتصوير جمال الذات العليا ومظاهر الكون .[2]

٣ ـ الشاعر البهاء زهير :

ابو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي ، ولد بمكة سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م ، وتوجه الى مصر ، والتقى بأدبائها ، ونهل من نبع الثقافة المصرية ، خدم عند الملوك الايوبيين فاتصل بالصالح نجم الدين ابن الكامل ايوب واستمر في خدمته ، ثم انتقل معه الى البلاد الشرقية ، وبعدما تسلم الملك الصالح السلطة من مصر ارتفعت منزلته بتولي ديوان الانشاء ، وقد عرج الملك الكامل يوم انتصاره في احداث دمياط ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م ودفن قرب تربة الامام الشافعي .[3]

---

(١) ابن عنين : ديوانه ١٣٢ .

(٢) للمزيد من حياة ابن الفارض وشعره ، ينظر : حلمي ، محمد مصطفى : ابن الفارض والحب الالهي (مصر : ١٩٧١) ٢٨ وما بعدها ، اليازجي ، كمال : اعلام الفلسفة العربية دراسات مفصلة ونصوص مبوبة مشروحة ، ط ٣ ، (بيروت : ١٩٦٨) ٢٨٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٨ .

واهتم الملوك الأيوبيون دراسة الجبر والمقابلة والكيمياء ، وكانت هذه الدراسة تتم في المنازل ، وأسهم احد الشباب من الذين اهتموا بالكيمياء ودراستها في تقديم نتاجه العلمي للحروب ، وذلك بتركيب أدوية لاحراق الأبراج التي صنعها الافرنج بحيث لا تؤثر النيران فيها وحقق هذا الاختراع نجاحا كبيرا ، وحاولت السلطة مكافأته على هذا الاختراع فرفض[1] قائلا لمن أراد تكريمه : " عملت شيئا لله تعالى وما أريد عنه شيئا " .[2]

ان هذه الخلفية البسيطة تعكس لنا المستوى الثقافي العظيم الذى كانت تتمتع به البيئة المصرية ، وامتد ذلك ليشمل بلاد الشام بحكم خضوعها للأيوبيين، كما انها توضح شغف العلماء بطلب العلم من مختلف أصقاع العالم الاسلامي ، فقد وصل الأمر بأحد علماء مصر حد السفر الى الموصل وتحمل عناء السفر الطويل ومشقته في سبيل الحصول على العلم ، والأهم من ذلك كله هو ان الحروب الطويلة التي خاضها المسلمون ضد الافرنج لم تؤثر على عجلة التقدم والتطور في مجال الثقافة ، فقد حقق المسلمون انتصارات باهرة على جبهة القتال وانجازات علمية واسعة في مختلف العلوم ، وان طرق التدريس المتبعة في مدارسهم تبين لنا قوة نظم التعليم التي تشابه الى حد ما المتداول من طرق التدريس في الوقت الحاضر ، وكان الاهتمام بانشاء المدارس وتسميتها باسم الملك او الأمير الذى شرع بانشائها دلالة على رغبة هؤلاء في تخليد اسمائهم عن طريق هذه الانجازات.

د ـ دور الأمبراطور فردريك الثاني في نقل الثقافة العربية الى اوربا :

تطورت العلاقة السياسية التي قامت بين الملك الكامل والأمبراطور فردريك الثاني ، حتى شملت جوانب أخرى كالعلمية والثقافية ، فقد قامت بين الطرفين صلات علمية بسبب علاقتهما الطيبة ، وساعد على ذلك تقدير كل منهما للعلم والعلماء وتشجيعهما لذلك ، ومن المعروف عن الملك الكامل انه كان يمتاز بقدر عال من الثقافة ، فقد كان يعقد مجالس يجتمع به علماء في مختلف العلوم

---

(1) عبد اللطيف : الحركة الفكرية ١٧٣ .
(2) الحنبلي : شفاء القلوب ١٦٢ ـ ١٦٣ .

ويلتقي عنده كل ليلة مجموعة من العلماء يتناقشون في هذه العلوم .[١]

اما بالنسبة للأمبراطور فردريك الثاني ، فلم يقل عن الملك الكامل في اهتمامه بالعلم وحبه للعلماء ، فقد أولى أهمية بالغة للثقافة العربية الاسلامية التي كانت مصدر اعجابه لأنه قضى معظم حياته بين العرب المسلمين في صقلية[٢] وقد كان مولعا بالرياضيات وعلم الفلك ، ففي فترة اقامته في الشرق لاكمال اجراءات تسليم بيت المقدس ، طلب من الامير فخر الدين الذي كانت علاقته قد توطدت به عرض مجموعة من المسائل في الهندسة والرياضيات والفلسفة[٣] ، فأرسل الملك الكامل هذه المسائل الى متخصصين في هذه العلوم منهم الشيخ علم الدين قيصر الذي كان متبحرا بالرياضيات فتمكن من الاجابة عليها وأرسل الحل اليه[٤] وكانت للأجوبة التي حصل عليها في هذا المجال أثر كبير في زيادة اهتمامه بالرياضيات والفلك ، فأرسل مرة أخرى وهو في اوربا عددا من المسائل الهندسية الى الملك الكامل ، وكان من بين هذه المسائل الهندسية مسألة تتطلب " اقامة شكل رباعي الأضلاع له نفس المساحة السطحية التي لقطاع دائرة معينة " .[٥]

لم يتمكن علماء مصر والشام من الاجابة عليه . فأرسل الملك الكامل هذه المسألة الى علماء الموصل ، فأجاب عليها العالم الرياضي كمال الدين بن يونس[٦]

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج ١/ ق ١/ ٢٨٩ .

(٢) التليبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ٦١ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٤٢ والمقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٣٢ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٣١٢ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٢٤٢ ، المقريزي : السلوك ج ١/ ق ١/ ٢٣٢ .

(٥) القزويني : آثار البلاد ٤٦٣ .

(٦) كمال الدين بن يونس : ابو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة ، كان من ابرز علماء الموصل ، وهو حكيم برز في عدة علوم كالفلسفة والطب ، وقد ارسل اليه الامبراطور فردريك الثاني عدة مسائل في علم النجوم فتمكن من الاجابة عليها وله عدة مصنفات منها : " كشف المشكلات وايضاح المعضلات " و " عيون المنطق " و " لغز في الحكمة " و " الاسرار السلطانية في النجوم " . ينظر : ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم ، الخزرجي : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا (بيروت : ١٩٦٥) ٤١٠ - ٤١٢ .

وأرسل الحمل الى بلاد الشام ، فأثار البرهان اعجاب أهل الشام ، وقالوا عنه : " كان نادرة الزمان "(١).

يتبين لنا مما سبق ان الملك الكامل كانت لديه رغبة في اعطاء انطباع كبير للغرب عن مستوى ثقافة العلماء العرب ، مما يؤكد في الوقت نفسه شخصه بالتزود بالمعرفة ، وقد أورد القزويني تخطيطا للمسألة الرياضية المشار اليها وكانت بالشكل التالي :

وقد قرب الامبراطور فردريك الثاني العلماء الاوربيين الذين اهتموا بالرياضيات ودرسوها في الشرق ، ومن هؤلاء العالم الرياضي ليونارد و فيبوناشي ، أول عالم جبري عاصره ، وكان هذا قد درس في الشرق والاندلس ، وألف رسالته الجبرية في الاعداد التربيعية ، وقام بزيارة سوريا ومصر ، واليه يعود الفضل في ادخال الارقام العربية وعلم الجبر الى اوربا (٢) مما أدى الى نشاط التجارة بين سوريا وايطاليا . (٣)

ان الاهتمام المتزايد من قبل الامبراطور فردريك الثاني بالعلم والعلماء جعل بلاطه من المراكز الرئيسية لدراسة العلوم والرياضيات في اوربا اللاتينية . (٤)

وقد أولى الامبراطور أهمية بالغة للفلسفة وعلم الكلام ، فأسس جامعة نابولي سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، وأودع فيها مجموعة من المخطوطات العربية ، فضلا عن

---

(١) القزويني : آثار البلاد ٤٦٣ .

(٢) باركر : تراث الاسلام ، ترجمة وتحقيق : جرجيس فتح الله الموصل : ١٩٥٤ ، ٢٨٦/٢ ، احمد : تاريخ صقلية ١٠٣ .

(٣) باركر : تراث الاسلام ٢٨٦/٢ .

(٤) الطيبي : دراسات وبحوث ٧٠ .

بعض مؤلفاته في اللغة العربية .[1]

وقد أرسل الامبراطور مجموعة من الأسئلة الفلسفية التي كانت ضمن المسائل الصقلية التي أرسلها الى الملك الكامل ، تدور حول قول ارسطو بأزلية العالم ومن خلود الروح بعد الموت ، وطلب تفسيرا للحديث النبوي " ان قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن " ولم تكن الأجوبة التي أرسلها الملك الكامل مقنعة فبعثها الامبراطور الى الفيلسوف الأندلسي عبد الحق بن سبعين[2] الذي تمكن من الاجابة على جميع المسائل .[3]

مما سبق ذكره يتضح لنا ان الامبراطور فردريك كانت لديه علاقات مع ملوك وعلماء في الملك الكامل ، فضلا عما يشير اليه ذلك من أنه كان على اطلاع واسع بالدين الاسلامي ، مما جعل بعض المتزمتين من المسيحيين يصفونه بأنه دهري مسلم .[4]

واهتم الامبراطور فردريك الثاني بالتاريخ الطبيعي ، فحرص على تربية عدد من الحيوانات والطيور الغريبة ، فهجن الخيول المحلية بخيول عربية ، واحتوت حديقة حيواناته الابل والفيلة وزرافة ، كان الملك الكامل قد أرسلها اليه ضمن مجموعة من الهدايا[5] وكانت تلك الزرافة أول زرافة دخلت اوربا[6] .

---

(1) يونغ لويس : العرب وأوربا ، ترجمة : ميشيل ازرق ، ط1 (بيروت: 1979) ، 121 ، مظهر ، جلال : أثر العرب في الحضارة الاوربية نهاية عصور الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة ، ط 1 (بيروت : 1967) 275 .

(2) عبد الحق بن سبعين : عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين قطب الدين ابو محمد المرسي الصوفي ، كان صوفيا ، اهتم بالفلسفة وأصبح لديه اتباع يعرفون بالسبعينية ، درس اللغة العربية في الأندلس ، وانتقل الى سبتة ، له تصانيف كثيرة أشهرها : (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) (شرح كتاب ادريس عليه السلام الذي وضعه في علم الحرف) ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات 2 / 253 .

(3) احمد : تاريخ صقلية 104 ـ 105 .

(4) المقريزي : السلوك ، ج 1 / ق 1 / 232 ، الحاشية الأولى .

(5) الدليمي : دراسات وبحوث 71 .

(6) حتي ، فيليب : تاريخ العرب المطول (بيروت: 1951) 3 / 722 .

وأحضر من سوريا عددا من مدربي الصقور لتدريب الصقور ، وتابع بنفسه مراحل تدريبها حتى أنه وضع غطاءا على عيون الصقور ليتأكد من انها تستطيع ان تتعرف على مكان الطعام بحاسة الشم [1] ، وفي الوقت نفسه كلّف الامبراطور مدرب صقور (مؤمنا) ان يضع له كتابا عن تدريب الصقور [2] ، ونتيجة لأهمية هذا الكتاب كلّف (ثاذري تيودور) وهو مسيحي من انطاكيا بترجمة هذا الكتاب الذي عدّ أول مرجع حديث في التاريخ الطبيعي اعتمد عليه فردريك نفسه في تأليف كتابه عن الصقور [3] .

اما بالنسبة لعلوم الفلك ، فيعود الفضل الى الامبراطور فردريك الثاني في نقلها الى اوربا ، فقد اعتمد تاريخيا في عصر النهضة في بحوثها الفلكية على علماء عرب ، فقد أرسل الملك الاشرف هدية للامبراطور فردريك عدت من أثمن الهدايا وقد استخدمت في تحديد أشكال الشمس والقمر وتعيين الوقت [4] .

كما أهدى الملك الكامل كتابا في علم الفلك اسمه (كتاب القناة الصحيحة) واعتمد ميخائيل سكوت في كتاباته من علوم الفلك على مراجع عربية تخص هذا المجال [5] .

وبذلك يمكن القول ان نشاط الامبراطور فردريك كان أحد الحلقات التي انتقلت من خلالها الثقافة العربية الى الغرب .

---

(1) هاشم ، زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، تقديم : محمد أحمد مجدي (القاهرة : ١٩٧٠) ٣٧٩ وأحمد : تاريخ صقلية ١٨ .

(2) الطيبي : دراسات وبحوث ٧١ .

(3) هاشم : فضل الحضارة ٣٧٩ – ٣٨٠ .

(4) هاشم : فضل الحضارة ٤٧٧ – ٤٧٨ وحتي : تاريخ العرب ٣ / ٧٢٣ .

(5) الشيال : دراسات في التاريخ الاسلامي ٥١ .

١ ـ العمارة :

اولى الملوك الأيوبيون العمارة في مصر وبلاد الشام أهمية كبيرة منذ حكم صلاح الدين ، لاسيما الملك الكامل الذى ظهرت في عهده انجازات معمارية وفنية تدل على مدى تشجيعه لها ، نظرا للامكانيات المتوفرة في بلاده ، مما يعكس الابعاد الحضارية والفنية التي عبرت من المستوى الذى وصلت اليه الحضارة العربية من تقدم ورقي وابراز ماوصلت اليه العمارة العربية الاسلامية وفي مقدمة ذلك اهتمام الملك الكامل ببناء القلاع ، ومنها :

أ ـ القلعة :

ويأتي قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، في مقدمة المعالم التي نالت اهتمام الأيوبيين ، فبعد ان أسس السلطان صلاح الدين الحكم الأيوبي في مصر عمل على تحصين القاهرة [١] فبنى قلعة الجبل [٢] ، واكمل ذلك الصرح الدفاعي من بعده الملك الكامل الأيوبي [٣] .

ان اهتمام الملك الكامل بالقلعة وتعميرها ، شجع عامة الناس على تعمير ما حولها من المناطق كالدرب الأحمر ، وجهة القطائع والصليبة التي كانت

---

(١) المقريزى : الخطط المقريزية ٢ / ٢٠٣ .

(٢) قلعة الجبل : وهي القصر والدار التي بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش للناصر صلاح الدين ، وتقع وسط القاهرة والفسطاط وجبل المقطم وهي على مكان مرتفع من الجبل المقطم ، ترتفع من جهة وتنخفض من الأخرى يحيط بها سور من حجر ، وكان موضعها في السابق مساجد بناها الفاطميون ، لم يسكنها صلاح الدين ، وقيل ان ابنه الملك العزيز سكنها في حياة أبيه ثم انتقل الى دار الوزارة . للمزيد ، ينظر : القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٣٦٨ .

(٣) المقريزى : الخطط المقريزية ٢ / ٢٠٤ ، مبارك ، علي : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، القاهرة ١٩٦١ ، ١ / ٧٤ .

مناطق مهجورة تحوى المقابر وبعض البساتين[١] .

وتتكون القلعة من عدة منشآت معمارية منها :

١. الايـــوان :

وهو رحبة كبيرة معدة لجلوس السلطان يوم المواكب[٢] ويمتاز الايوان بمتعته وارتفاع ابنيته المحاطة بشبابيك حديدية محكمة الصنع . [٣]

٢. بـاب السر :

باب ثانوى يستعمل احيانا كباب خدمة يدخله أكابر الأمراء وخواص الدولة ، كالوزير وكاتب السر [٤] ومن القلعة كان يؤدى الى القصـــور السلطانية التي أنشأها الملك الكامل [٥] .

٣. باب القلعـة [٦] :

وهو باب يربط المدينة العسكرية بالمدينة السلطانية داخل القلعة ، حيث يدخل منه الأمراء وسائر الناس . [٧]

---

[١] مبارك : الخطط التوفيقية ١ / ٧٤ .
[٢] القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٣٦٩ والمقريزى : الخطط المقريزية ٢ / ٢٠٤ .
[٣] القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٢٧١ .
[٤] القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٣٧٠ ، ودمشقى ، صالح لمعى : التـــراث المعمارى الاسلامي في مصر (جامعة بيروت : ١٩٧٥) ١١٧ .
[٥] زكى ، عبدالرحمن : قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار (القاهـــرة : ١٩٧١) ٤٥ .
[٦] المقريزى : الخطط المقريزية ٢ / ٢٠٤ .
[٧] القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٣٧٠ .

وتعد مداخل هذه القلعة من نوع المداخل المنحرفة المزورة[1] ، وهي من العناصر الحرابية المبكرة في العمارة العربية قبل الاسلام ، وذلك لتمثلها في مدينة الحضر وتجلت بأجلى صورها خلال العصور العربية الاسلامية في مدينة بغداد [2].

٤- الاسطبلات السلطانية :

وهي المكان المخصص لايواء الخيول والحمير ، التي كان لها دور في حياة الايوبيين لاسيما في جهادهم ضد الافرنج ، لذلك قام الملك الكامل بنقل سوق الحمير والخيل والبغال وجعلها تحت القلعة .

٥- الابـــراج :

ومنها ابراج الحمام التي أنشأها الملك الكامل ليستخدمها في نقل الرسائل الى نواحي مملكته ، وكان قد أقام ابراجا لاستقبال الحمام[4] ولعل استخدم أهل دمياط الحمام الزاجل في ارسال رسائل تخبر الملك الكامل بقدوم الافرنج الى دمياط .[5]

٦- الجامــع :

شيده الملك الكامل ، واستمر الى ان قام السلطان الناصر قلاوون بهدمه ليبني جامعه في موضعه[6] وفي ظاهر هذا الجامع ، يوجد

---

(1) المدخل المزور : يؤدي دورا عسكريا دفاعيا لأن الغزاة يضطرون بعد اقتحامه الى الانحراف نحو اليسار للخروج للداخل فتتعرض جوانبهم اليمنى للسهام الموجهة اليهم من الشرفات المقابلة للمدخل ، وكان الجند يحملون الدروع بأيديهم اليسرى فتبقى جوانبهم مكشوفة ، الجمعة ، احمد قاسم : أهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الاسلامي (مجلة آداب الرافدين ، العدد التاسع ، ايلول/١٩٧٨) ص ١٩٦ ، الحاشية الاولى .

(2) الجمعة : التأثيرات المعمارية ١٩٦ ــ ١٩٧ .

(3) المقريزي : الخطط المقريزية ٢/١٨٥ .

(4) زكي : قلعة صلاح الدين ٤٤ ــ ٤٥ .

باب يؤدي الى دور الحريم السلطانية (١) .

٠٧ خزانة الكتب :

انشأ الملك الكامل ، في القلعة خزانة كتب تحوي عددا كبيرا من الكتب والمجلدات النفيسة . (٢)

٠٨ دار الوزارة :

وتعرف بقاعة الصاحب ، أنشأها الملك الكامل ، لتكون مقرا للوزير صفي الدين ، وبها قاعة الانشاء ، وديوان الجيش وبيت المال والدور السلطانية ، فضلا عن المساجد والحوانيت والأسواق . (٣)

وفي سنة ٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م انتقل مقر السلطنة من دار الوزارة (٤) الى القلعة (٥) ، وبعد ما سكن الملك الكامل القلعة اجرى اليها الماء من بحر النيل ، وعمّر بجانبه ثلاث برك تملأ بالماء ، الا انها أهملت فيما بعد . (٦)

وقد اختلف المؤرخون في تحديد أول من سكن القلعة (٧) ، والأرجح

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٣٧١/٣ .
(٢) زكي : قلعة صلاح الدين ٤٤ .
(٣) المقريزي : الخطط المقريزية ٢٠٥/٢ .

(٤) دار الوزارة : وهي الدار التي أنشأها امير الجيوش بدر الدين الجمالي داخل باب النصر ، ولما تولى صلاح الدين الوزارة أقام بها الى ان توفي العاضد ، انتقل الى القصر وسكنه من بعده اخوه الملك العادل ، ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٣٤٧/٢ ــ ٣٤٨ .

(٥) مبارك : الخطط التوفيقية ٧٤/١ .
(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ٣٧٤/٣ .

(٧) يذكر صاحب مخطوطة اخبار الدولة الأيوبية وغيرها ، ان العادل أول من سكن القلعة بقوله : " العادل أول من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك في سنة اربع وستمائة ، ونقل أولاد العاضد وأقاربه بصورة حبس " مؤلف مجهول : ورقة ٩ ، في حين أشار القلقشندي أن صاحب مسالك الأبصار أكد ان العادل اول من سكن القلعة ، ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٣٦٩/٣ ، وأورد المقريزي : ان العادل نقل أولاد العاضد اليها . ينظر : السلوك ، ج ١ / ق ١٧٥/١ .

ان الملك الكامل هو أول من سكن قلعة الجبل [١] ، ومما يؤكد ذلك استقراره في مصر فترة طويلة بلغت اربعين سنة تقريبا [٢] ، فضلا عما عرف عن الملك العادل من استمرار التنقل في مملكته ، فهو يقيم في الشتاء بالشام وبالصيف في مصر . [٣]

ب - القبة الشافعية :

ومن الآثار المعمارية التي ترجع الى الملك الكامل القبة التي أمر ببنائها سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م على قبر الامام الشافعي [٤] ، ويقع هذا الاثر المعماري في شارع الامام الشافعي ، ويحوي ضريحا للامام ، وفيه أربعة قبور ، اولها قبره الذي كان له تابوت فاخر من الخشب غطاؤه هرمي الشكل ، عليه نقوش وكتابات بالخط الكوفي والنسخ بخط الثلث على محاور من زخارف التوريق العربية (الأرابسك) داخل مناطق هندسية وزخارفه وحدات نباتية دقيقة داخل مناطق هندسية [٥] وثانيهما ، تابوت ام الملك الكامل ، وقد أنشأه سنة ٦٠٨ هـ/١٢١٢ م من الخشب المزخرف ، والتابوتان الآخران أحدهما للملك الكامل والآخر للسيد محمد بن عبدالحكم [٦] . [٧]

---

(١) ابن ايبك : كنز الدرر ١٥٥/٧ ، ابن الفرات : تاريخه م٥/ج ٢١/١ و ١٥٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣٦٨/٣ ، المقريزي : السلوك ج١/ ق١/ ١٧٥ ، الطولوني : التحفة البهية ١٢٦ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٥/٥ ، ابن ايبك : كنز الدرر ٣٢٨/٧ .

(٣) الذهبي : العبر ١٤٤/٥ ، الصفدي : الوافي ١٩٤/١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٨١/٥ ، ابن ايبك : كنز الدرر ١٧٠/٧ .

(٥) سامح ، كمال الدين : العمارة الاسلامية في مصر (مصر : د/ ت) ٧٦ .

(٦) محمد بن عبدالحكم : محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله ، أحد ابناء المؤرخ الكبير ابن عبدالحكم ، كان فقيها وكاتبا معروفا ، خلف اباه في طائفة المالكية بمصر . ينظر : نوى : "ابن عبدالحكم" ، دائرة المعارف الاسلامية ٢٢١/١ .

(٧) طاهر ، سعاد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (القاهرة : ١٩٧٦) ، ١٥٧/٢ .

وكانت قبة الامام الشافعي من الخشب " مكسوة بالرصاص وكسيت جدرانها من الداخل بالرخام وفي جدارها الشرقي ثلاثة محاريب أقدمها خشبية مفروشة ثم محراب أحدث لتصويب القبلة ... وتنتهي القاعدة المربعة من الخارج من اعلاها على ارتفاع عشرة أمتار واثنين وستين سنتمترا بشرفة ارتفاعها عشرون وثمانون سنتمترا بها شرفات مسننة جميلة بأسفلها محاريب محارية ذات عقود مثلثة محلاة بزخارف جصية ، وتعلو هذه القاعدة المربعة ... القبة الخشبية بعد أن تبعد قليلا عن الشرفة من الداخل بارتفاع القبة من الداخل يبلغ ستة عشر مترا وثمانية وسبعين سنتمترا من سطح الارض وطرفي[1] القبة تكون من ثلاث حطات مخصوصة مزخرفة ... وبقمة القبة من الخارج يوجد قارب برونز بحرق بالمشارق كانت توضع فيها الحبوب لأكل الطيور ..."[2] .

وقد استخدم الأيوبيون الحجارة في العمارة ، فاهتموا بتنظيمها وصقلها ويتضح ذلك بصورة جلية في مشهد الامام الشافعي[3] ، وتم انجاز قبة الامام الشافعي يوم الأحد ٧ جمادى الثاني سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م ، وبلغت تكاليفها خمسين الف دينار ، وكتبت ابيات من الشعر على صواني باب القبة[4] ، كما يوجد اسم الملك الكامل مكتوبا مع التاريخ المذكور على احدى نوافذ حائط القبلة .[5]

---

(١) الفرنسات : " حليات معمارية تشبه خلايا النحل تستعمل اما كوصلة انشائية او زخرفية ... " ينظر : سامح : العمارة الاسلامية في مصر ١٧٦ .

(٢) سامح : العمارة الاسلامية في مصر ١٧٦ .

(٣) الجمعة ، احمد قاسم وآخرون : الفنون الزخرفية العربية الاسلامية (بغداد : ١٩٨٢) ١٤ .

(٤) طاهر : مساجد القاهرة ٢/١٥٠ ـ ١٥١ ، جاء في ابيات الشعر ما يلي :

الشافعي امام الناس كلهم	في العلم والحلم والعلياء والبأس
له الامامة في الدنيا مسلمة	كما الخلافة في اولاد العباس
اصحابه خير اصحاب ومذهبه	خير المذاهب عند الله والناس

(٥) طاهر : مساجد القاهرة ٢/١٥٥ .

وقبة الامام الشافعي من الآثار الأيوبية التي لها الصدارة في التراث المعماري العربي الاسلامي ، لانها امتازت "بضخامتها وفخامتها ودقة زخارفها الجصية ، وبالزخارف الخشبية في طرازها وأوتارها وصاريع ابوابها الخشبية والنحاسية .. انها القبة الوحيدة في طرازها في مصر وسوريا " .[١]

فضلا عن ظهور العقود المفرجة التي تكتنفها طاقات محارية بصدر زخرفية تنتهي الى الاعلى بشرفات مسننة [٢] كانت موجودة لتأدية وظيفة معمارية ، فضلا عن كون القبة مصرا محليا اتخذت الضريبة المحارية استخدامه لتأكيد أهمية المحراب والتحصين من الشذبة . [٣]

اما قبر والدة الملك الكامل ، فقد " حليت جوانبه الأربعة لحشوات دقت بالاربعة ذات القرن الناعمة تتوسطها حشوات نجمية ... آية في الدقة والجمال " [٤] . وأدى الاهتمام المتزايد بالضريح الى قيام الملك الكامل بانشاء حوض سقاية يأخذ الماء من بركة الحبش [٥] [٦] وبعد ان انتظم هذا المكان أخذ الناس بنقل مقابرهم من القرافة الكبرى الى جانب الضريح ، وسميت منذئذ القرافة الصغرى [٧].

---

[١] عبدالوهاب ، حسن : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر (القاهرة : ١٩٦٢) ١٢ .

[٢] الجمعة : الفنون الزخرفية ١٤ .

[٣] الجمعة : الفنون الزخرفية ١٤ .

[٤] عبدالوهاب ، حسن : من روائع العمارة الاسلامية (القاهرة : ١٩٦٥) ٦-٧ .

[٥] بركة الحبش : ارض زراعية تروى بماء النيل عند فيضانه السنوي ، فتشبه بالبركة في اثناء غمرها بماء النيل . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٠٦/١ ، وقال المقريزي : " هي من أشهر برك مصر في ظاهر مدينة الفسطاط .. فيما بين النيل والجبل ، وسميت بركة الحبش نسبة الى قتادة بن حبش الصدفي ... وكانت له حدائق بجوار هذه البركة ... " للمزيد ينظر : المقريزي : الخطط المقريزية ١٥٢/٢ .

[٦] ابن اياس : تاريخه ٨١/١ .

[٧] ابن ايبك : كنز الدرر ٧/١٧٠ ؛ وابن الفرات : تاريخه م٥/ح ١١٩/١ ؛ المقريزي : السلوك ج١/ ق١٧٤/١ .

جـ- مدينة المنصورة :

كما شيّد الملك الكامل بعد استيلاء الافرنج على دمياط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م مدينة سماها المنصورة .(١)

وتتوسط المنصورة المنطقة المحصورة بين فرعي نهر النيل المتجهين الى دمياط وأشمون طناح ، أي انها تقع بين القاهرة ودمياط(٢) واتخذها الملك الكامل قاعدة عسكرية لمقاومة الافرنج ، وكانت هذه المدينة بسيطة قوامها معسكر يحوي قصرا بناه ليكون مقرا لاقامته ، وعددا من الدور للأمراء والعساكر الذين معه ، ثم أحاطها بسور من الجهة البحرية ووضع في عدة مناطق منها الآلات الحربية للمحافظة عليها .(٣) وظلّ قائما بها الى أن تمكن من استرجاع دمياط ، وبعد ذلك تحولت الى مدينة كبيرة تحوي القصور والحمامات والفنادق(٤) وسمّيت بالمنصورة تيمنا بالنصر الذي حققه المسلمون على الافرنج(٥) ، وشهدت هذه المدينة الباسلة فعلا أعظم احتفال أقامه المسلمون بعد انتصارهم على الافرنج .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/ ٣٣ وابو الفدا : المختصر ٣/ ١٢٢ وابن العميد : اخبار الايوبيين ١٣٢ والحنبلي : شفاء القلوب ٣٠٥ والحريري : الاخبار السنية ٣٢٨ ، وقد أيد علي ابراهيم حسن ، ان هذه المدينة بدأ الملك الكامل بنائها سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م عندما سقطت دمياط بيد لويس التاسع ، ينظر : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني (مصر : ١٩٤٧) ٤٦٢ ، ويبدو انه حدث التباس لدى علي ابراهيم حسن ، لأن دمياط لم تسقط بيد لويس التاسع سنة ٦١٦ هـ/١٢١٩ م وانما سقطت بيد جان دي برين قائد الحملة الخامسة في حين أن لويس التاسع قائد الحملة السابعة حاول الاستيلاء على دمياط سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، الا أنه لم يتمكن .
See: Al-Mansura, E.I., Vol., II, p. 602
وينظر ايضا : الفصل الثالث ، الحاشية الاولى ، ص

(٢) ابو الفدا : تقويم البلدان (باريس : ١٨٣٠) ١٠٦ .

(٣) المقريزي : الخطط المقريزية ١/ ٢٢١ .

(٤) الذهبي : دول الاسلام ٢/ ١١٩ ، المقريزي : الخطط المقريزية ١/ ٢٢١ ، الحريري : الاخبار السنية ٣٢٨ .

(٥) الحريري : الاخبار السنية ٣٢٨ .

د ـ المـــدارس :

ومن الجوانب الأخرى التي شملها اهتمام الملك الكامل بالعمـــارة والبناء ، بناء المدارس ودور الحديث ، فقد أنشأ سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤ م دارا للحديث سميت بالمدرسة الكاملية [١] وهي ثاني دار أسست في هذا العصر ، لأن الـدار الاولى ترجع الى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكـي بدمشق . [٢]

وتقع هذه المدرسة بين القصرين من القاهرة [٣] ، وكان الموضع الـــذي شيّـد به ، سوقا للرقيق ودارا تعرف باسم كستول [٤] وكلّف بناء هذه المدرســة مبالغ طائلة فأوقف عليها الربـع السوق التي أنشأها بجوارها على باب الخرنفش الذي يمتد الى الطريق المقابل لجامع الأزهر . [٥]

يمكن التعرف على خريطة وتصميم هذه المدرسة ، من خلال الآثار التي بقيت منها ، فقد وجد علىى باب هذه المدرسة نص تذكاري يعني ان هذه المدرســة قام باصلاحها الأمير حسن كتخدا سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م بعد ان تهدمت . [٦]

يتضح بعد ذلك للمتخصصين في مجال العمارة أن حسن كتخدا لم يجـر لها اي اصلاح وانما بنى مسجدا على جزء من الايوان الشرقي ، اما الجزء الباقـي منها فهو " الايوان الشمالي الغربي المقابل لايوان القبلة الواقعة في جـــزء

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٨٥/١ ، واليافعي : مرآة الجنان ٦١/٤ .

(٢) المقريزي : الخطط المقريزية ٣٧٥/٢ ، والسخاوي ، ابو الحسن نور الديـن علي بن احمد الحنفي : تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات في ديار مصر د بن غيرها . تحقيق : محمود ربيع ، حسن قاسم ، ط ١ (القاهرة : ١٩٣٧) ٧٨ .

(٣) ابن الجوزي : تاريخه ٢٢٨/٢ ، والمقريزي : الخطط المقريزية ٣٧٥/٢ .

(٤) المقريزي : الخطط المقريزية ٣٧٥/٢ .

(٥) المقريزي : الخطط المقريزية ٣٧٥/٢ .

(٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢٢٩/٦ ، الحاشية الثانية ، فكري ، احمد : مساجد القاهرة ومدارسها في العصر الأيوبي (مصر : ١٩٦٩) ٥٦/٢ ، وعامر :

من الايوان الجنوبي الغربي " .[1]

وقد حاولت مديرية الآثار العامة سنة ١٣٢١ هـ/١٩٠٣ م من خلال الأطلال العتيقة هنا الكشف عن شيء جديد ، الا انها لم تخرج الا برسم تخطيطي [2] ، وهذه الأطلال هي " جزء من قاعة مستطيلة ... طولها عشرة أمتار ونصف المتر تقريبا ، وعرضها تسعة أمتار ونصف متر [3] وهي مسقوفة بقبة مدببة مبنية بالآجر ... تتكون من مداميك أفقية تعلوها مداميك رأسية وتبلغ فتحة القبة تسعة أمتار ونصف المتر تقريبا ، ويبلغ ارتفاعها عند مستوى منبتها أنحاؤها ا ستة أمتار تقريبا وارتفاعها عند سطح الأرض فهو غير معروف لأن الأتربة مكدسة الى ارتفاع كبير فوق أرضية البناء وجدران القاعة مبنية من الحجارة ، وهي سميكة يقرب سمكها من المترين ، اما سمك القبة فهو متدرج يبلغ عند العقب فوق الجدران مترا ، وينخفض عند القمة الى نصف متر ... " [4] . " وربما كانت القاعة تقابل بيتا للصلاة لأن جداريها الجانبيين يمتدان في اتجاه القبلة ، ولا شك انها كانت تطل ايضا على صحن يقع بينها وبين بيت الصلاة ، فضلا عن احتمال وجود غرف على جانبي الصحن وهذه الغرف كانت في طابقين ... يمتد امام الطابق الأول منها رواق يطل على كل من جانبي الصحن بعقود قائمة على عمد " .[5]

هـ — خزانة شمائل :

ومن الانجازات المعمارية التي تعود للملك الكامل خزانة شمائل ، وهي سجن اقامه بجوار باب زويلة ، وسميت بشمائل نسبة الى اسم والي القاهرة علم الدين شمائل الذي برز دوره كفدائي عظيم في حصار الفرنج لدمياط [6] وقد كان يحبس فيها من وجب عليه القتل او القطع من السراق وقطاع الطرق وأصحاب

---

(1) ظاهر : مساجد القاهرة ٢٠٦/٢ .
(2) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٦/٢ .
(3) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٦/٢ .
(4) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٧/٢ .
(5) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٨/٢ — ٥٩ .
(6) ينظر : الفصل الثالث ، ص ٨٧ .

الجرائم العظيمة ، فكانت من أشنع السجون ، واستمرت هذه الخزانة قائمة الى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥ م.[1]

و ـ الجسور :

امتد نشاط الأيوبيين الى انشاء الجسور ، فقد حظيت هذه الجسور بأهمية واضحة لأنها تتحكم في مجرى النيل ، فكانت البلاد تحتاج الى هذه الجسور للمحافظة على البلاد من الفيضان أولا ، ولتصريف مياه النيل ثانيا[2] ولأهمية النيل في الحياة الاقتصادية فقد أقاموا لها أعيادا منها وفاء النيل[3] . وتكون الجسور على نوعين :

الجسور السلطانية :

وهي الجسور العامة التي تتولى الدولة اقامتها للحفاظ على البلاد كافة من خطر الفيضانات ، ويكون المسؤول عن ادارتها وتعميرها سلطان الدولة ، وينفق عليها من بيت المال[4] ولهذه الجسور كاتب خاص في ديوان الدولة مسؤول عن مصاريف هذه الجسور بعد أن تأتيه تقارير عن كلفة العمل .[5]

اما الجسور البلدية :

فهي الجسور الخاصة ، يتولى اقامتها الفلاحون والمقطعون وهم المسؤولون عن ادارتها وتعميرها ، فهي بمثابة الدار التي يمتلكها

---

(١) ـ المقريزي : الخطط المقريزية ٢/ ١٨٨ .

(٢) القاضي : كشف المعالك ١٢٩ .

(٣) وفاء النيل : من الأعياد التي يحتفل بها المصريون حيث يخرج الملك بموكب كبير يتجه من القلعة الى المقياس ، فيدخل من بابه ، ثم يقام احتفال عظيم يحضره عدد من الأمراء والمماليك . للمزيد ، ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٤/ ٤٧ ، مبارك : الخطط التوفيقية ١٨/ ٢٣ .

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ٢٣٢ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ٣/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .

الشخص قل صاحب دار مسؤول عن تدبير شؤون الدار .[1]

واستخدمت الدولة عددا من الموظفين المتخصصين في هذا المجال لاقامة الجسور وتحصيرها ، فكان بعضهم متخصصا في فحص التربة ومنهم : كشاف التراب : " يتعينون في كل سنة سرة من الأمراء عند هي الألوف الى كل اقليم أمير في زمان الربيع لاستخراج ما يتعين على البلاد من الخفير والجرافة " .[2]
الخفير : وهي الأماكن التي يتعين حفرها لصرف مياه النيل ، والجراف : آلة تستخدم لجرف التراب وإقامة الجسور السلطانية ثم تعين الدولة عددا من العمال ليقوموا بهذه المهمة .[3]

يتولى الملك الاشراف الكلي على عملية تعمير الجسور السلطانية ، فعند بداية زيادة النيل ، يتوجه الى العمال يرتب الأمراء عليهم ، وبعد ان تتم عمارة الجسور يتوجه بنفسه مرة ثانية ليتأكد من اتقان العمل ، فاذا وجد أي خلل في عملية البناء يوجه أقصى العقوبة للقائمين بالعمل[4] .

كان الملك الكامل من أشد الملوك وأكثرهم اهتماما بهذه الجسور وفي عهده ازدهرت أراضي مصر بصورة جيدة ، فاذا كان يقوم بنفسه بكشف الجسور ويرتب الأمراء عليها وبعد الانتهاء من اقامة الجسور يتجه اليها ليطّلع على الانجاز ، فاذا وجد فيها أي خلل ، عاقب الموظف المسؤول عنها [5] ، فقد أمر النابلسي بالاقامة في الجيزة لحفظ الجسور ، فضلا عن قيامه بتعيين ثلاثة أو أربعة أمراء لمساعدة المسؤول عن اقامة الجسور [6]. وشارك سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م مع أهله والأمراء والجند بحفر قناة بين المقياس [7] [8]، وكانت هذه القناة

---

[1] إبن مماتي : قوانين الدواوين ٢٣٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣/ ٤٤٥ .

[2] الظاهري : زبدة كشف الممالك ١٢٩ .
[3] الظاهري : زبدة كشف الممالك ١٢٩ .
[4] المقريزي : الخطط المقريزية ٢/ ٢٧٧ ــ ٢٧٨ .
[5] المقريزي : الخطط المقريزية ٢/ ٢٧٨ .
[6] النابلسي : لمع القوانين ٣٩ ــ ٤٠ .
[7] المقياس : بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الأذرع والأصابع بأبواب محكمة ووكيل يبلغ السلطان كل يوم مقدار ما زاد من النيل ، ينظر : المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٠٦ .
[8] المقريزي : السلوك ، ج١/ ق٢/ ٢٤١ .

تصل بين الفسطاط وجزيرة الروضة وذلك لتسهيل الملاحة النهرية ومساعدة الناس في نقل المياه خلال مواسم جفاف النيل ، وبهذا الانجاز اتسعت مساحة الأراضي الزراعية .[١]

وقد وجه الملك الكامل هذه العناية الى المنجزات العمرانية في مصر بالدرجة الاولى اما بقية انحاء الدولة الأيوبية ، فقد تولى ملوكها هذه المهمة وفي بعض الأحيان باشارة من الملك الكامل ، ففي سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م أمر الملك الكامل الملك المظفر محمودا بعمارة البرج الذي كان بسلمية ، وكذلك طلب من الملك المجاهد صاحب حمص ان يحفر خندق حول القلعة وتعميقه وتوسيعه لانه من الثغور الاسلامية .[٢] وشرع الملك المجاهد أسد الدين شيركوه سنة ٦٢٧ هـ/١٢٢٩ م بعمارة قلعة شميميش[*] على طلب الملك الكامل [٣] الذي أشار سنة ٦٣١ هـ/١٢٣٣ م ايضا على الملك المظفر صاحب حماة ان يبني في المعرة قلعة لتكون حصنا لها . فتمكن من بناء القلعة في مدة شهرين وساعدت الاحجار الموجودة في المعرة على اتمام هذا الانجاز .[٤]

٢ - الفنون :

لم يقتصر اهتمام الملك الكامل على العمارة فحسب ، بل امتد اهتمامه ليشمل مختلف الفنون ، ولاسيما التحف المعدنية والفخار المختلفة بالزخارف والكتابات المختلفة التي تشغلها ، فقد وصلت الينا من عهده عدة اواني معدنية غاية في الدقة والجمال ، منها ابريق معدني مزخرف بأشكال نباتية وآدمية وهندسية فيها بعض الكتابات الكوفية التي سجلت تاريخ صناعته سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م واسم صانعه عمر بن حاجي جلدك ، وهو موجود الآن في متحف المتروبوليتان في نيويورك [٥] ، فضلا عن شمعدان نحاسي محلى بالفضة

Rabie, OP.CIt, P.P. 71- 72 (١)

(٢) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٢٧ .

(٣) ابو الفدا : المختصر ٣/١٤٥ وابن الوردي : تاريخه ٢/١٦١ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/٨٣ .

(٥) مرزوق ، محمد عبدالعزيز : الفن الاسلامي في العصر الأيوبي (مصر: ١٩٦٢) ٧١ .

زيّن بزخارف بديعة من الاشكال الآدمية والحيوانية ، ويرجع تاريخ صناعته الى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م [١] ، ويعثر كذلك على اسطرلاب يرجع الى سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م [٢] مكتوب عليه اسم صانعه عبدالكريم المصري الاسطرلابي الملكي الاشرفي [٣] وهو مصنوع من النحاس ، ومزيّن بزخارف محززة وزخارف منزلة بالفضة تمثل عناصر نباتية وصورا آدمية وحيوانية "[٤] ومن الأواني الأخرى ، التي تعود الى عصر الملك الكامل تحفتان نحاسيتان تحملان اسم الملك الكامل محمد ، أحدهما صينية يرجع تاريخها الى سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٧م ، موجودة في المتحف الاسلامي بالقاهرة [٥] والعصر الأيوبي غني بالتحف المعدنية المكفتة وهي موزعة بين متاحف العالم . [٦]

اما الملابس ، فقد اشتهرت بدقة صناعتها وتطريزها ، وتأتي الخلع السلطانية في مقدمتها ، فقد طرزت بالذهب او الحرير بلون مخالف للون القماش والطراز السلطانية كانت لها صيغة معينة تعكس القدرة الابداعية التي يمتلكها صنّاع تلك الخلع وغيرها من الملابس [٧] وكذلك الاعلام التي تتكون من عدة رايات منسوجة من الحرير الأصفر مطرزة بالذهب عليها القاب السلطان ورقبة وهي قطعة قماش من الأطلس الأصفر مزركشة بالذهب ، بحيث لايرى الأطلس لتراكم الذهب ، وتستخدم على رقبة الفرس في الأعياد والاحتفالات [٨] والزي الذي كان شائعا في ذلك العصر هو الكلوتات ، وهي غطاء للرأس صفراء اللون تستخدم بدل العمائم ، وكانت تصنع من الجوخ الأصفر ، فضلا عن الأقبية البيضاء او المشجرة بالأحمر والأزرق ذات الأكمام الضيقة . [١٠]

---

(١) ماهر : مساجد القاهرة ١٧/٢ ، مرزوق : الفن الاسلامي ٧٠ .
(٢) ماهر : مساجد القاهرة ١٧/٢ ، مرزوق : الفن الاسلامي ٧٠ .
(٣) مرزوق : الفن الاسلامي ٦٦ .
(٤) مرزوق : الفن الاسلامي ٦٧ .
(٥) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٦٧/٢ .
(٦) مرزوق : الفن الاسلامي ٧٠ .
(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ٧/٤ .
(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ٨/٤ .
(٩) القلقشندي : صبح الأعشى ٣٩/٤ — ٤٠ .
(١٠) مرزوق : الفن الاسلامي ٧١ .

ان هذه الفنون التطبيقية والتشكيلية التي ذكرناها لم تكن الا بعض الانجازات الواضحة للشعب العربي في مصر خلال العصر الأيوبي ، نتيجة قدراته الابداعية والدعم الذي اولته الدولة الأيوبية لتلك الابداعات وترجمتها الى حقيقة عن طريق الآثار والفنون التي شملت نواحي الحياة كافة • كما توضح ان حياة الأيوبيين لم تكن مقتصرة على الحرب ، وانما شملت عنايتهم بالنواحي الحضارية والعمارية المختلفة ، ففي الوقت الذي كان فيه الأيوبيون يحققون الانتصارات على الافرنج ، كانت الانجازات الأخرى تتحقق في مختلف ميادين الحضارة والفنون ، وتعد لتضيف أثرا حضاريا خلفوه بعدهم على الأراضي العربية وكان لهم الدور الواضح في رفد المسيرة الحضارية للأمة العربية وعطائها الجسم للانسانية حتى عبرت مفرداتها عبر القنوات والجسور الثقافية والاجتماعية الى اوربا العصر الوسطى •

سادسا : الحياة الاجتماعية :

١ ـ الخلع والهبات :

الخلعة : " كلمة عربية مشتقة من خلع أي خلع لباسه ، والخلعة حلة من حلل السلطان يكف عن لباسها ويخلعها لمن يريد تكريمه " والحلة بطبيعة الحال ثمينة فاخرة فضية القدر تخلع على العامل في أعمال الدولة شعارا بتوليته منصبا يستحق فيها بقدر من المال "[1] .

وقد تمتع الملك الكامل بسلطة مركزية قوية ، فقد كان الملوك على الرغم من استقلالهم بالسلطة في مناطقهم ، الا انهم كانوا خاضعين لتبعيته السياسية ، ولا يعد استقلالهم رسميا الا بعد ان يحصلوا على الخلع .

ففي سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م ارسل الملك الكامل مع الاشرف وهو في طريق عودته الى بلاده ، في الشرق التقليد بالسلطنة والسناجق[2] الى الملك العزيز غياث الدين بن الظاهر[3] ، وكانت تتم مراسيم الاستقبال بالشكل الآتي :
ينصب للأمير المكرم خيمة يدخل فيها ، ثم يدخل عليه الناس بعد ذلك بالخدمة بالتبريكات ، ويوزع الطعام والشراب على كل الحاضرين ، ثم يتسلم ذلك الأمير الخلع[4] الممنوحة له وسط تهاني الحاضرين ، وكان من الطبيعي ان يحضر

---

(١) ابيار : الخلعة ، دائرة المعارف الاسلامية ٨/٠٨ ٢ .

(٢) السناجق : مفردها سنجق ، وهي العلم والراية التي توضع فوق الرمح يحمل خلف السلطان ، ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٥/٨٥٤ .

(٣) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٩٤ وابو الفدا : المختصر ٣/٢٢ ١ وابن الوردي : تاريخه ٢/٢٠٧ .

(٤) ومنها : " أطلس احمر ... مزركشا .. وتحته قباء أطلس أصفر وكلوته بكلاليب ذهب وشاش رقيع موصول به طرفان من حرير ابيض مرقوما بألقاب السلطان مع تقريش باهرة من الحرير الملون ... فان كان التشريف لتقليد ولاية مفخمة ، زيد سيفا محلى بذهب وفرسا مسرجا " ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٩/٥٢ .
وقد أشرنا الى خلعة أخرى في هامشنا (٩) في الصفحة ٥ .

الى ذلك الحفل الملك الذي منح الخلع ، ليقوم بالباس الأمير المكرّم تلك الخلع امام الحضور ويبقى الملك نفسه عدة ايام في خدمته ، حيث يخرج امام الناس لمشاهدة تلك المراسيم ، ومن امثلة تلك المراسيم ما حدث سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م حيث شرّف الملك الاشرف الملك العزيز بالخلعة [١] امام الحضور ، بقي الملك الاشرف قائما في خدمة الملك العزيز عشرة ايام [٢] فكان " يحضر الموكب ويحمل الغاشية [٣] بين يديه ويمشي من الخيمة ... الى القلعة " [٤]/ وكذلك كان حال الملك العادل لمدينة في مدة رسمية لزيارة بعض المناطق ، فكان ينوب عنه أحد الأمراء الذين كانت تخلع عليهم بعض الخلع ويطوف بهم في البلاد للتعريف بأحوالهم ، فعندما غادر الملك الكامل مصر ترك احد ابنائه نائبا عنه ، فكان النائب يركب بشعار السلطنة سائرا بموكبه في القاهرة ويحمل الأمراء بالتناوب الغاشية بين يديه ، ويستمر الموكب الى أن يترك دار الوزارة [٥] ، وكانت هذه المراسيم تتم مع باقي الملوك الأيوبيين الذين يتولون حكم مختلفة من بلاد الدولة الأيوبية ، فبعد وفاة الملك المعظم تولى ابنه الملك الناصر حكم دمشق ، فأرسل اليه الملك الكامل الخلع والسنجق فضلا عن خلعة أخرى ارسلها للملك المجاهد أسد الدين شيركوه [٦] وعندما تولى الملك الناصر بن العزيز السلطنة في حلب ، ارسل الملك الكامل اليه والى باقي الأمراء الحلبيين الخلع بلا مركوب ، وكانت هذه أول خلعة ترسل الى أحد الملوك بلا مركوب [٧] ، فتسبب في اتفاق الملك الناصر وبقية الأمراء الحلبيين

---

(١) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٩٤ وابو الفداء : المختصر ٣/١٣٢ وابن السويدي : تاريخه ٢/٢٠٧ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/١٩٤ .

(٣) الغاشية : سرج مخرز بالذهب ، ويعد وكأنها مصنوعة من الذهب تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب يحملها الراكب رافعا على يديه يلفتها يمينا وشمالا ، ينظر : القلقشندي : صبح الاعشى ٤/٧ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/١٩٤ .
(٥) المقريزي : السلوك ، ج ١ /ق١/٢٤٥ .
(٦) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٤٥ والمقريزي : السلوك ج ١/ ق١/٢٢٥ .

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٢٦ وابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٢١ ، المقريزي : السلوك ، ج ١ / ق١/٢٥٣ .

مع باقي الملوك الأيوبيين على حربه سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٧ م كما أشرنا الى ذلك سابقاً .

٢ ـ الزيارات :

كانت الزيارات بين ملوك الأسرة الأيوبية قائمة تعبر بوضوح عن العلاقة الايجابية ، فضلاً عما فيها من تأكيد صلة القربى ، فقد كان يتوخى منها أهداف سياسية وتوثيق لأواصر المملكة الأيوبية ، والاطلاع على أحوال الدولة وكشف قدراتها العسكرية والاقتصادية ، من هذه الزيارات :
قيام الملك الأشرف سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م بزيارة مدينة دمشق ليتباحث مع أخيه الملك المعظم ، في الأمور السياسية ، لاسيما بعد سياسة الملك المعظم التعليمية فقد استعد الملك المعظم لاستقبال الأشرف بقيام باشعار علامات الزينة والبشائر ابتهاجاً بقدومه على الرغم مما كان يكنه له من الكراهية[١] وعندما توجه الملك العزيز صاحب بانياس سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م الى مصر لزيارة أخيه الملك الكامل ، خرج اليه الملك الكامل واستقبله في الشرق وأجزل له العطاء[٢] وكتب له منشوراً بتسليم ممالك لابنه[٣] . وزار الملك الكامل املاكه في الشرق سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م فوصل الرقة ونزل بحران وأقام بها وجاءت الرسل[٤] ، من آمد والموصل وأربل[٥] . فوافق على استقبال قسم منهم وامتنع عن مقابلة القسم الآخر ، ومن الذين حظوا عنده بمكانة كبيرة مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل ، فقد استقبله استقبالاً عظيماً واعطاه عشرة آلاف دينار مصرية وخيول[٦] وزار قلعة ماردين ، واطلع على أحوالها وأمر بعمارتها[٧] ، ومن زياراته الأخرى ذهابه الى الاسكندرية سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م ، وقد اطلع في اثناء ...

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤/١٧٨ .
(٢) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٥١ وابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٢٧ .
(٣) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٥١ .
(٤) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٧٦ .
(٥) المقريزي : السلوك ، ج ١ / ق ١/٢٣٦ .
(٦) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٧٦ .
(٧) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٧٦ .

الزيارة على دار الوزكــــاة . [١]

واستمرت الزيارات قائمة بين الملوك الأيوبيين لأغراض سياسية ، فقــــد اتجه الملك الأشرف سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م لزيارة الملك الكامل [٢] ، ومـــن الواضح ان تلك الزيارة انطوت على أهداف سياسية وعسكرية وذلك لتجميع الصـف واظهار الألفة بين الملوك الأيوبيين بعد ان تردت العلاقات مع سلاجقة الـــروم وأعلنت الحرب بين الطرفين .

وفي نفس السنة ، قرر الملك الكامل السفر الى الملك الناصر بالكرك ، وهو ابن أخيه ، فرغب له الملك الناصر حسن الاقامة ، ثم أمر بذبح الذبائح احتفالا به وجعل له ابراجا من الحلوى يأحتفل به احتفالا كبيرا لم يسمع به من قبل [٣] ومن الطريف الاشارة الى كيفية تهيؤ الملك للسفر ، فقد كان يتجهز للسفر معــه العديد من الأمراء بالمماليك ، وتشعل أمامه المشاعل يضاء له الطريق فـــي الليل واذا نام يحرسه مماليكه حتى الصباح ، وكان يأخذ برفقته كل ما يحتـــاج اليه من الأشياء بانواع الأطعمة [٤]

٢ ـ المصاهرات :

لقد لعب التزاوج داخل الأسرة الأيوبية دورا كبيرا في تحسيـــن العلاقات السياسية بين الملوك الأيوبيين ، ولعل الهدف من ذلك الحصول علـــى مكانة مرموقة في داخل المؤسسة السياسية .

ففـي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م تم زواج الملك العزيز بن الظاهر من ابنـــة الملك الكامل فاطمة خاتون ، وقدم القاضي بهاء الدين بن شداد ومعه أكابـــر أمراء حلب لخطبتها ، فخرج الملك الكامل من خيمتـه لاستقبالهم ، وكان صداقها

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٥/٨ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٢/٥ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ١٢/٥ .
(٤) ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٤٨/٤ ـ ٥٠ .

خمسين الف دينار قبل ابن شداد العقد في ١٦ رجب [١] ، وتمت مصاهرة أخرى بتزواج الملك الظافر سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م من ابنة الملك الكامل فازية خاتون ، وتم العقد بمعسكره [٢] وكان الملك الناصر داود قد خطب من الملك الكامل ابنته عاشوراء ، فوافق على زواجه ولظروف سياسية [٣] أمره الملك الكامل بطلاقها ثم اعادها اليه سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م وذلك لوقوفه بجانبه بوجه باقي الملوك الأيوبيين . [٤]

ومما سبق ذكره يتبين لنا ان الملوك الأيوبيين كانوا يولون مراسيم هذه العلاقات أهمية بالغة ، ويقيمون الاحتفالات العظيمة ويقومون بتزيين البلاد واطلاق المواكب في الشوارع لعدة أيام ليظهروا أبهة ملكهم الملكي الباذخ .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٣/٢٠٦ وابن واصل : مفرج الكروب ٤/٢٥٤ .

(٢) الحموي : التاريخ المنصوري ٢٢٦ .

(٣) الظروف السياسية التي أجبرت الملك الناصر داود على ترك ابنة الملك الكامل هي اتفاقه سنة ٦٢١ هـ بباقي الملوك الأيوبيين مع سلطان الروم على الملك الكامل ، للمزيد : ينظر : الفصل ، ص ٧٣ ـ ٧٤

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ٥/١٢٧ .

الخاتمـــــــــــة

ان الفترة التاريخية التي حكم فيها الملك الكامل واستغرقت حوالي عشرين سنة كان فيها حكما مستقلا في مصر وبلاد الشام والجزيرة ، جديرة بالدراســـة ، فقد حكم فترة تاريخية مهمة في حياة الأمة العربية ، تلك الفترة كانت مليئـــة بالتجزئة والانقسامات ، فقد كانت الخلافة العباسية (مركز العالم الاسلامي) تعاني من ضعف في الجهاز الاداري والعسكري ، بسبب تعرضها للسيطـــرة البويهية والسلجوقية ، فضلا عن خطر المغول الزاحف من الشرق الى بغـــداد ، وكانت بلاد الشام والجزيرة على الرغم من خضوعها للتبعية السياسية الأيوبيـــة تخضع لأتابكيات لها نظامها السياسي والاداري الخـاص .

أما الملوك الأيوبيون فقد كانوا في صراع دائم على السلطة العليا ، ذلك الصراع الذي أدى الى قيام أحلاف تحقق مصالحهم الشخصية على حساب الدولة الأيوبيــة ، التي كانت مهددة بالغزو الافرنجي الذي كان يشن الحملات العسكرية لاستعادة النفوذ الافرنجي في بلاد الشام ومصر ، ذلك النفوذ الذي تحـــول بمرور الزمن من نفوذ عسكري الى نفوذ اقتصادي أساسه التجارة ، وفي خضـم هذا الصراع قام الملك الكامـل برفع شعار السلام ، ذلك السلام الذي لم يكـــن الا وسيلة يحافظ به على مركـزه بوصفه حاكم مصر وبلاد الشام والجزيرة ، فقـــام بتوقيع معاهدة سلام مع الامبراطور فردريــك الثاني ، عدّت نقطة تحول في التاريـخ الاسلامـي لانها أول مشروع سلام يلتزم بين الوثنيين توقف كل منهما في المحافظـــة على بيت المقدس الذي كان يتمتع بمركـز ديني واقتصادي وسياسي كبيـر .

ان شخصية الملك الكامل في تلك الحقبة التاريخية تعد نموذجا فريـــداً ، فقد استوعب الظروف السياسية التي غمرت في العالم الاسلامي فالتجأ الى رفع شعار السلام الذي أصبحه مع الافرنج وأصبح المسار الذي انتهجه الملوك الأيوبيـــون والمطالبة بعده للمساومة على بيت المقدس مقابل تقديم المساعدة لمحاربـــة أية قوة تحاول الهيمنة على سيادتهم .

بالحقيقة أننا بأمس الحاجة الى مثل هذه الدراسات التاريخية ليتسنى لنا أن نتعرف على جوانب النقص في حياتنا الحاضرة ، ونلم بالحقيقة من تلك الحوادث لنصلح الأخطاء ، ونصوب الآراء المغلوطة التي تعشش في أذهاننا الراهنة لأنها تعد أساسا قويما لتحسين الأوضاع ولتهيئة المصادر الصحيحة لاعادة كتابة تاريخنا اليوم ، تلك الدعوة التي جاء فرضها من السيد الرئيس القائد صدّام حسين " حفظه الله " وهي اتجاه تاريخي جدير بالتقدير والاحترام ، لأنه سيتيح للأمة العربية فرصة مواجهة نفسها وتاريخها مواجهة صحيحة دقيقة من خلال الأحداث التاريخية الماضية ، ومن ثم اعطاء الحكم العادل بحق أبنائها في أمسهم وحاضرهم ، ولتمجيد أمجاد أولئك الذين جعلوا من كيانها منارا كشف ظلمة أوربا في العصور الوسطى في كل المجالات ، فقد وجدنا مظاهر كثيرة للابداع الحضاري العربي في أيام الأيوبيين في العمارة والثقافة والفنون ، كانت للملك الكامل يد طولى في تعزيزها وتوسيع دائرتها .

المصادر والمراجع العربية والمعربة

١ـ المخطوطات :

ابن ابي عذيبة : شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر ـ (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)

ـ مختصر التاريخ الكبير = مكتبة الاوقاف العامة = العراق ـ الموصل برقم ($\frac{١٠}{١٥}$ حسين بك)

ابن دقماق : صارم الدين ابراهيم بن أيدمر ـ (ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٦م)

ـ الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ـ مجلدان ـ معهد احياء المخطوطات ـ الجامعة العربية برقم (٩٤٥ تاريخ) .

ابن الديبع : محمد بن محمد منصور ـ (ت ٩٢٥هـ / ١٥١٩م)

ـ الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد القسم الاول ـ مكتبة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد برقم (١٢١٤) .

مؤلف مجهول : تحت عنوان (ذكر الدولة الايوبية وغيرها) .

ـ مخطوطة في مكتبة الاوقاف العامة ـ العراق ـ الموصل برقم ($\frac{١}{١٧}$ زيواني)

٢ ـ المصادر الاولية :

القرآن الكريم .

ابن ابي اصيبعة : موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم الخزرجي ـ (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩م) .

ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ تحقيق ـ نزار رضا ـ مكتبة الاهالي ـ (بيروت : ١٩٦٥) .

ابن الاثير : ابو الحسن عز الدين بن علي الشيباني الجزري ـ (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

ـ الكامل في التاريخ ـ (بيروت : ١٩٦٦)

ـ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ـ تحقيق ـ عبد القادر احمد طليمات ـ (القاهرة : ١٩٦٣) .

ابن الاثير : ابو الفتح ضياء الدين نصر الله الشيباني الجزري ـ (ت٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)

ـ رسائل ابن الاثير ـ تحقيق ـ أنيس المقدسي ـ دار العلم للملايين ـ (بيروت / ١٩٥٩) .

الاصطخري : ابو اسحاق محمد بن ابراهيم الكرخي (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م)

ـ المسالك والممالك ـ تحقيق ـ محمد جابر عبد العال الحيني ، محمد شفيق غربال ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ (القاهرة : ١٩٦١) .

ابن أياس : محمد بن احمد الحنفي المصري ـ (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)

ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور المعروف ـ (بتاريخ ابن أياس) الطبعة الاولى (مصر : ١٣١١ هـ) .

ابن أيبك : ابو بكر عبد الله الداوداري ـ (ت حوالي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٩م)

ـ كنز الدرر وجامع الغرر المعروف (بالدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب) ـ تحقيق ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ـ (القاهرة : ١٩٧٢) .

الايوبـــي : عيسى بن داود (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

ـ ديوانه «الموسوم الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ـ تحقيـق

ـ ناظم رشيد ـ رسالة دكتوراه مقدمـة الى قسم اللغة العربية ـ فـي

كلية الاداب جامعـة بغداد (بغداد : ١٩٨١) .

ابن بسام المحتسب : محمد بن احمد (كان حيا سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)

ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ـ تحقيق ـ حسام الدين مصطفـى

ـ مطبعـة المعارف ـ (بغداد : ١٩٦٨) .

ابن بطوطـــة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ـ (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

ـ تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار المعروف (برحلـة

ابن بطوطة) ـ دار صادر ـ (بيروت : ١٩٦٤)

ابن تغري بردي : جمال الدين ابو المحاسن ـ (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

ـ النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ـ طبعة مصورة عن طبعة

دار الكتب وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامـــة

للتأليف ـ (د ٠ ت) .

ابن الجيعـان : شرف الدين يحي بن المقر ـ (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

ـ التحفة السنية باسماء البلاد المصرية ـ المطبعة الاهلية ـ (القاهرة

١٨٩٨) .

ابن الحسين : يحي بن القاسم بن علي ـ (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م)

ـ غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ـ تحقيق ـ سعيد عبد الفتاح

عاشور ـ مراجعة مصطفى زيادة ـ مطبعة دار الكتاب العربـــي

للطباعة والنشر ـ (القاهرة : ١٩٦٨) .

الحلبـي : ابو الوفاء راجح اسماعيل بن ابي القاسم الاسدي ـ (ت ـ ديوانـــه

ـ تحقيق ـ اميرة محمود عبد الله ـ رسالة ماجستير مقدمة الى قسم

اللغة العربية في كلية الاداب جامعة الموصل (موصل : ١٩٨٧) .

الحموي : ابو الفضائل محمد بن علي ـ (ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م) ٠
ـ التاريخ المنصوري المعروف (بتلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان
ـ عني بنشره ـ بطرس غريازنيوج ـ (موسكو : ١٩٦٣) ٠
الحنبلي : عز الدين ابو البركات احمد بن ابراهيم ـ (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م) ٠
ـ شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ـ تحقيق ـ ناظم رشيد ـ
(العراق : ١٩٧٨)
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب خطأ لابن
الفوطي ـ تحقيق ـ مصطفى جواد ـ مطبعة الفرات ـ (بغداد ١٩٦٩) ٠
الخزاعي : دعبل بن علي ـ (ت حوالي سنة ٢٧٥هـ/ ٢٩١م) ٠ ديوانه ـ
تحقيق عبد الصاحب الدجيلي ـ مطبعة الرسولية ـ تحقيق ـ محمد
بسيوني عمل ـ مطبعة الهلال ـ (مصر ١٩٦١) ٠
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ـ (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ٠
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر
المعروف (بتاريخ ابن خلدون) ٦ أجزاء ـ مؤسسة الاعلمي
للمطبوعات (بيروت : ١٩٧١) ٠
ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ـ (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
ـ وفيات الاعيان وانباء الزمان ـ تحقيق احسان عباس ـ دار الثقافة
ـ (بيروت : ١٩٦٨) ٠
دحلان : احمد بن زيني ـ (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) ٠
ـ الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ـ الطبعة الثانية
ـ المطبعة الميرية (مكة : ١٣١١هـ) ٠

ابن دقماق : ابراهيم بن محمد العلائي ـ (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) ٠

ـ الانتصار لواسطة عقد الامصار ـ (بيروت ١٨٩٣) ٠

ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي ـ (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) ٠

ـ قرة العيون باخبار اليمن الميمون ـ تحقيق محمد علي الاكوع ـ المطبعة السلفية (القاهرة : ١٩٧١) ٠

ـ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ـ تحقيق ـ عبد الله الحبشي (صنعاء : ١٩٧٩) ٠

الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز ـ (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ٠

ـ دول الاسلام ـ تحقيق ـ فهيم محمد شلتوت ٠

محمد مصطفى ـ الهيئة العامة للكتاب (القاهرة : ١٩٧٤) ٠

ـ العبر في خبر من غبر ـ تحقيق ـ صلاح الدين المنجد ـ مطبعة حكومة الكويت (الكويت : ١٩٦٦) ٠

الزبيدي : السيد محمد مرتضى ـ (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) ٠

ـ تاج العروس في جواهر القاموس ـ الطبعة الاولى ـ المطبعة الخيرية ـ (مصر : ١٣٠٦) ٠

ـ ترويح القلوب في ذكر ملوك بني ايوب ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ مطبعة الترقي ـ (دمشق : ١٩٧٠) ٠

ابن الساعي : ابو طالب علي بن انجب تاج الدين الخازن (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) ٠

ـ الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير ـ تحقيق ـ مصطفى جواد ـ المطبعة السريانية الكاثوليكية ـ (بغداد : ١٩٣٤) ٠

سبط ابن الجوزي : شمس الدين يوسف قزاوغلي ـ (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) ٠

ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ـ الطبعة الاولى ـ دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ـ (الهند : ١٩٥٢) ٠

السبكي : تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب ـ (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٢ م) .
ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة عيسى البابي
الحلبي ـ (القاهرة : ١٩٦٤) .

سعيد النعم وسيد النقم ـ الطبعة الاولى ـ دار الكتاب العربي ـ (القاهرة
: ١٩٤٨) .

السخاوى : ابو الحسن نور الدين علي بن احمد بن عمر (ت ٩٠٢هـ/ ١٤١٦ م) .
تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع
المباركات في ديار مصر دون غيرها ـ تحقيق ـ محمود ربيع + حسن قاسم
ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة العلوم والاداب (القاهرة : ١٩٣٧) .

ابن سعيد : علي بن موسى ـ (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) .
المغرب في حلي المغرب ـ نصوص مختارة حققها ـ حسين نصار
وجمعها في كتاب : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة دار الكتب
(القاهرة : ١٩٧٠) .

ابن سناء الملك : القاضي السعيد عز الدين ابو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد
(ت ٦٠٨ هـ/ ١٢١٢ م) .
ـ ديوانه ـ تحقيق ـ محمد عبد الحق ـ دار الجيل ـ (بيروت : ١٩٧٥)

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥ م) .
تاريخ الخلفاء ـ تحقيق ـ محمد محي الدين عبد الحميد ـ الطبعة
الثالثة ـ (القاهرة : ١٩٦٤) . ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين
والنحاة ـ تحقيق ـ محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي
ـ الجزء الاول ـ الطبعة الاولى (القاهرة : ١٩٦٤) الجزء الثاني
الطبعة الاولى ـ (القاهرة : ١٩٦٥) .

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ تحقيق ـ محمد ابو الفضل
ابراهيم ـ الطبعة الاولى ـ دار احياء الكتب العربية ـ (القاهرة : ١٩٦٨)

ابن شاكر الكتبي : محمد بن احمد ـ (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ٠
فوات الوفيات والذيل عليها ـ تحقيق ـ احسان عباس ـ دار الثقافة ـ (بيروت : ١٩٧٤) ٠
عيون التواريخ ـ تحقيق ـ فيصل السامر ٠ نبيلة عبد المنعم داود دار الحرية للطباعة ـ (بغداد : ١٩٨٠) ٠

ابو شامة : شهاب الدين ابو محمد بن عبد الرحمن ـ (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) ٠
ـ الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ـ دار الجيل (بيروت : د / ت) ٠
ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف (بالذيل على الروضتين)
ـ تحقيق ـ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ مراجعة ـ عزت العطار
ـ الحسيني ـ الطبعة الثانية ـ (بيروت : ١٩٧٤) ٠

ابن شداد : ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي ـ (ت ٦٣٢/ ١٢٣٤م)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ (سيرة صلاح الدين) تحقيق جمال الدين الشيال ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة : ١٩٦٢)

ابن شداد : عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم ـ (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)
ـ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ـ قسم الجزيرة ـ تحقيق يحيى عبارة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ (دمشق : ١٩٧٨) ٠
ـ تاريخ لبنان والاردن وفلسطين ـ تحقيق ـ سامي الدهان ـ (بيروت : ١٩٦٣) ٠
ـ تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق ـ سامي الدهان ـ (بيروت : ١٩٥٦) ٠

الشهابي : الامير حيدر احمد ـ (ت ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م)
ـ الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان ـ مطبعة سلام ـ (مصر : ١٩٠٠) ٠

الصدفي : رزق الله منقريوس ـ (كان حيا قبل سنة ١٣٢٥ هـ /) ٠
ـ تاريخ دول الاسلام ـ مطبعة الهلال ـ (مصر : ١٩١٦) ٠
الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك ـ (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ٠
ـ الوافي بالوفيات ـ الطبعة الثانية ـ دار النشر فرانز شتاينر بفسبادن ـ (طهران : ١٩٦١) ٠
ـ امراء دمشق في الاسلام ـ تحقيق ـ صلاح الدين المنجد ـ مطبعة الترقي (دمشق : ١٩٥٥) ٠
الطرسوسي : مرضي بن علي مرضي ـ (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣ م) ٠
ـ تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء الاعداء ـ تحقيق ـ كلود كاهين ـ (بيروت : ١٩٤٨) ٠
الطولوني : حسن بن حسين بن احمد ـ (ت٩٠٦هـ/ ١٥٠٣م) ٠
ـ النزهة السنية في اخبار الخلفاء والملوك المصرية ـ وهو ذيل كتاب : التحفة البهية والطرفة الشهية ـ للثعالبي ابي منصور ـ مطبعة الجوائب ـ (القسطنطينية : ١٣٠٢) ٠
الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين ـ (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) ٠
ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ تحقيق ـ بولس رايس ـ (باريس : ١٨٩٤) ٠
ابن العبري : غريغوريوس الملطي ـ (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) ٠
ـ تاريخ مختصر الدول المعروف (بتاريخ ابن العبري) الطبعة الثانية ـ المطبعة الكاثوليكية ـ (بيروت : ١٩٥٨) ٠
ابن العديم : كمال الدين ابو القاسم عمر بن هبة الله ـ (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) ٠
ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب ـ تحقيق ـ سامي الدهان ـ (بيروت : ١٩٦٨) ٠

العرشي : حسين بن احمد (كان حيا سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م)

ـ بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام

ـ نشره الاب انستاس ماري الكرملي ـ مطبعة البرتيري ـ (القاهرة : ١٩٣١)

العصامي : عبد الملك بن الحسين ـ (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) .

ـ سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ـ المطبعة السلفيـــة ـ (القاهرة : ١٣٨٠) .

العماد الاصفهاني : عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد ـ (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

ـ الفتح القسي بالفتح القدسي ـ (مصر : ١٣٢١هـ) .

ابن العماد : ابو الفتح عبد الحي الحنبلي ـ (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨م) .

ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ تحقيق ـ لجنة احياء التـــراث العربي في دار الافاق الجديدة (بيروت : د / ت) .

العميـــد : المكين جرجيس ـ (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)

ـ اخبار الايوبيين ـ المعهد الفرنسي ـ (دمشق : ١٩٥٨) .

العليمـــي : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن مجير الدين الحنبلـــــــي

ـ (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) ـ الانس الجليل في اخبار القدس والخليـــل ـ قدمه ـ محمد بحر العلوم ـ المطبعة الحيدريـة (النجف : ١٩٦٨) .

ابن عنيـــن : شرف الدين محمد بن النصر الدمشقي ـ (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) .

ـ ديوانه ـ تحقيق ـ خليل مردم بك ـ (دمشق : ١٩٤٦) .

العيني : بدر الدين ابو محمد محمود بن موسى احمد بن الحسيــــــــــــني

ـ (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) . ـ السيف المهند في سيرة الملك المؤيـــد المحمودي ـ تحقيق ـ فهيم شلتوت ـ مراجعة ـ محمد مصطفى زيادة ـ (القاهرة : ١٩٦٧) . ـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ـ (عصــر سلاطين المماليك) ـ تحقيق ـ محمد محمد امين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مطبعة دار الكتب ـ (القاهرة : ١٩٨٦) .

الغساني : الملك الاشرف ابو العباس اسماعيل بن العباس ـ (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) .
ـ العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ـ
ـ تحقيق ـ شاكر محمود عبد المنعم ـ تصحيح ـ علي الخاقاني ـ
دار البيان ـ (بغداد : ١٩٧٥) .
ابن الفارض : ابو القاسم عمر بن الحسن علي بن المرشد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) ح .
ـ ديوانه ـ تحقيق ـ حسن البوريني ، عبد الغني النابلسي ـ
ـ المطبعة العامرة الشرقية ـ الطبعة الاولى ـ (مصر : ١٣٠٦هـ) .
ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن نور الدين ـ (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) .
ـ المختصر في اخبار البشر ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ الطبعة الاولى ـ (القاهرة : د / ت) .
ـ تقويم البلدان ـ تحقيق رينود ،ماك كوكين دسيلان ـ دار الطباعة السلطانية ـ (باريس : ١٨٤٠) .
ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ـ (ت ٨٠٧هـ/ ١٣٠٤م) .
ـ تاريخ الدول والملوك المعروف (بتاريخ ابن الفرات ـ المجلد الرابع
ـ الجزء الثاني ـ تحقيق ـ حسن محمد الشماع ـ دار الطباعة الحديثة ـ (البصرة : ١٩٦٩) .
ـ تاريخ ابن الفرات ـ المجلد الخامس ـ الجزء الاول ـ تحقيق ـ حسن محمد الشماع ـ دار الطباعة الحديثة ـ (البصرة : ١٩٧٠) .
ابن الفوطي : كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق تاج الدين احمد ـ (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) ـ تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ـ تحقيق ـ مصطفى جواد ـ الجزء الرابع ـ القسم الثاني ـ المطبعة الهاشمية ـ (دمشق : ١٩٦٣) ـ الجزء الرابع القسم الثالث ـ مطابع وزارة ـ الثقافة والارشاد القومي ـ (القاهرة : ١٩٦٥) .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ـ (ت ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م) ٠
ـ اثار البلاد واخبار العباد ـ (بيروت : ١٩٦٠) ٠
ابن القلانسي : ابو يعلي حمزة ـ (ت ٥٥٥ هـ/ ١٤١٨م) ٠
ـ ذيل تاريخ دمشق ـ تحقيق ـ آمدروز ـ مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت : ١٩٠٨) ٠
القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي ـ (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ٠
ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ مطبعة كوستا توماس ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ـ (القاهرة : ١٩٦٣)
ـ مآثر الاناقة في معالم الخلافة ـ تحقيق ـ عبد الستار احمد فراج ـ ـ عالم الكتب ـ (بيروت : ١٩٨٠) ٠
الكاملي : منصور بن بعرة ـ (ت ١١٣٦ هـ/ ١٧٢٤ م) ٠
ـ كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ـ تحقيق ـ عبد الرحمن فهمي ـ يشرف على اصداره ـ محمد توفيق عويضة ـ مؤسسة التحرير للطبع والنشر ـ (القاهرة : ١٩٦٦) ٠
ابن كثير : عماد الدين ابو الفدا اسماعيل الدمشقي ـ (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ٠
ـ البداية والنهاية ـ الطبعة الاولى ـ (بيروت : ١٩٦٦) ٠
ابن المستوفي : شرف الدين ابو البركات بن احمد اللخمي الاربلي ـ (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) ٠
ـ نباهة البلد الخامل من ورده من الاماثل ـ المعروف (بتاريخ اربل ـ تحقيق ـ سامي الصقار ـ (العراق : ١٩٨٠) ٠
ابن المعمار : ابو عبد الله محمد ابو المكارم البغدادي الحنبلي ـ (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م) ٠
ـ كتاب الفتوة ـ تحقيق ـ مصطفى جواد واخرين ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة شفيق ـ (بغداد : ١٩٥٨) ٠

اليماني : تاج الدين عبد الباقي عبد المجيد ـ (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) ٠

ـ تاريخ اليمن المعروف (ببهجة الزمان في تاريخ اليمن) تحقيق ـ مصطفى حجازي ـ تقديم ـ ابراهيم الحضراني ـ (اليمن : ١٩٦٥) ٠

اليونيني : موسى ابن محمد ابن احمد قطب الدين البعلبكي ـ (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) ٠

ـ ذيل مرآة الزمان ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد ـ الدكن ـ (الهند : ١٩٥٤) ٠

التميمي : عبد القادر الدمشقي ـ (ت ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠م) ٠

ـ الدارس في تاريخ المدارس ـ تحقيق ـ جعفر الحسيني ـ مطبعة الترقي (دمشق : ١٩٥١) ٠

ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ـ (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧ م) ٠

ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ـ الجزء الاول ـ الثاني ـ الثالث ـ تحقيق ـ جمال الدين الشيال ـ الجزء الاول ـ مطبعة فواد الاول (القاهرة : ١٩٥٣) ٠ الجزء الثاني ـ مطبعة الاميرية (القاهرة : ١٩٥٧) ٠ ـ الجزء الثالث ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي (القاهرة : ١٩٦٠) الجزء الرابع ـ الخامس ـ تحقيق ـ حسنين محمد ربيع ـ مراجعة ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ـ الجزء الرابع ـ مطبعة دار الكتب ـ (القاهرة : ١٩٧٢) ٠ الجزء الخامس ـ مطبعة دار الكتب ـ (القاهرة : ١٩٧٧) ٠

ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر ـ (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) ٠

ـ تتمة المختصر المعروف (بتاريخ ابن الوردي) المطبعة الحيدرية ـ (النجف : ١٩٦٩) ٠

اليافعي : ابو محمد عبد الله بن اسعد عفيف الدين اليمني المكي ـ (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦ م) ٠

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ الطبعة الاولى ـ دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد ـ الدكن ـ (الهند : ١٣٣٩ هـ) ٠

ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ـ (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) ٠

ـ معجم البلدان ٥ أجزاء ـ (بيروت : ١٩٥٧) ٠

ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف (بمعجم الادباء) ـ تحقيق ـ عبد الستار احمد فراج ـ (بيروت : ١٩٨٠) ٠

٣ ـ المراجع العربية والمعربـــة :ـ

ابراهيم : محمد كريـــم

ـ عدن دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ (جامعة البصرة : ١٩٥٨) ٠

ابراهيـــم : محمـــود

ـ فضايل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة ـ منشورات معهد المخطوطات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الطبعة الاولى ـ (الكويت : ١٩٥٨) ٠

احمد : عـــزيـــز

ـ تاريخ صقلية الاسلامية ـ ترجمة ـ امين توفيق الطيبي ـ (الـــدار العربية للكتاب : ١٩٨٠) ٠

ارنولد : تومـــاس

ـ تراث الاسلام ـ الجزء الثاني ـ ترجمة ـ جرجيس فتح الله ـ الطبعـــة المصرية (الموصل : ١٩٥٤) ٠

اوليري : دي لاسي

ـ الفكر العربي ومركزه في التاريخ ـ ترجمة اسماعيل البيطار ـ الطبعـــة الاولى ـ دار الكتاب اللبناني ـ (بيروت : ١٩٧٢) ٠

باركر : ارنست

ـ الحروب الصليبية ـ ترجمة ـ الباز العريني ـ الطبعة الثانية ـ دار النهضة ـ (بيروت : ١٩٦٧) ٠

باشا : عمر موسى

ـ أدب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ـ الطبعـــة الاولى ـ دار الفكر الحديث ـ (بيروت : ١٩٦٧) ٠

باوزير : سعيد عوض

ـ معالم تاريخ الجزيرة العربية ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة خليفة للطباعة (عدن : ١٩٦٦) .

بدوي : أحمد احمد

ـ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ـ مطبعة النهضة (القاهرة : د / ت) .

البعلبكي : ميخائيل موسى ألوف

ـ تاريخ بعلبك ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة الاداب ـ (بيروت : ١٩٠٨) .

التكريتي : محمود ياسين

ـ الايوبيون في شمال الشام والجزيرة ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الرشيد ـ (بغداد : ١٩٨١) .

الثور : عبد الله احمد محمد

ـ هذه هي اليمن ـ الطبعة الثانية ـ دار العودة ـ (بيروت : ١٩٧٦) .

جب : السير هاملتون . آ . ر

ـ صلاح الدين الايوبي ـ تحرير ـ يوسف أيبش ـ المؤسسة العربية للدراسات ـ (بيروت : ١٩٧٣) .

الجبوري : محمد عباد محمد

ـ اسلحة الحصار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي ـ رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ ـ كلية الاداب ـ جامعة بغداد (بغداد : ١٩٨٦) .

الجمعة : احمد قاسم ، واخرون

ـ الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ـ (بغداد : ١٩٨٢) .

الجميلي : رشيد

ـ دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ـ الطبعة الاولى دار النهضة العربية ـ (بيروت : ١٩٧٠) .

حتي : فليب ، واخرون

ـ تاريخ العرب المطول ـ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيـــــع ـ (بيروت : ١٩٥١) .

الحريري : سيد علـــي

ـ الاخبار السنية في الحروب الصليبية ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة النيـل ـ (مصر : ١٣٢٩) .

حسن : علي ابراهيـــم

ـ مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثمانـــي ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة ـ (مصر : ١٩٤٧) .

حسنين : عبد النعيم محمـد

ـ سلاجقة ايران والعراق ـ مكتبة النهضة المصرية (القاهرة : ١٩٥٩) .

الحلبـــــــي : محمد راغب بن محمود هاشم الطباخ .

ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ـ الطبعة الاولى ـ المطبعة العلميـة ـ (حلب : ١٩٢٣) .

حلمي : محمد مصطفى

ـ ابن الفارض والحب الالهي ـ دار المعارف ـ (مصر : ١٩٧١) .

حمادة : محمد طاهـــر

ـ الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية والاتابكية والايوبية مؤسسة الرسالة ـ (بيروت : ١٩٧٧) .

حمزة : عبد اللطيـــف

ـ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ـ مطبعـة (دار الفكر العربي : ١٩٦٨) .

خليل : عماد الدين

ـ الامارات الارتقية في الجزيرة والشام ٤٦٥هـ ـ ٨١٢هـ / ١٠٧٢م ـ

١٤٠٦م أضواء جديدة على المقاومة الاسلامية للصليبيين والتتر - الطبعة الاولى (مؤسسة الرسالة : ١٩٨٠) ٠

دائرة المعارف الاسلامية - الجزء الاول - الجزء الثامن

نقلها الى العربية - أحمد الشنتناوي وآخرون - (القاهرة : ١٩٣٣) ٠

الدويهي : البطريك اسطفانوس

- تاريخ الازمنة - نشرة الاب فرديناند توتل اليسوعي - مجلة المشرق (بيروت : ١٩٥١) ٠

الديوهجي : سعيد

- الفتوة في الاسلام - مطبعة الكلدان - (الموصل : ١٩٤٠) ٠

رايس : تامارا تالبوت

- السلاجقة تاريخهم وحضارتهم - ترجمة لطفي الخوري ، ابراهيم الداقوقي - مراجعة - عبد الحميد العلوجي - مطبعة الارشاد - (بغداد : ١٩٦٨) ٠

رمزي : محمد

- القاموس الجغرافي للقطر المصري - المطبعة الكبرى الاميرية - بولاق - (مصر : ١٨٨٩) ٠

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ - دار الكتب المصرية - (القاهرة : ١٩٥٤ - ١٩٥٥) ٠

زامباور : ادوارد فون

- تاريخ الدول الاسلامية - دار المعارف - (مصر : ١٩٧٢) ٠

الزركلي : خير الدين

- الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - الطبعة الثالثة - (بيروت : ١٩٦٩) ٠

زكي : عبد الرحمن

ـ قلعة صلاح الدين وما حولها من الاثار ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ (القاهرة : ١٩٧١) ٠

زيتون : عادل

ـ العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ـ الطبعة الاولى ـ دار دمشق للطباعة والنشر ـ (دمشق : ١٩٨٠) ٠

سامح : كمال الدين

ـ العمارة الاسلامية في مصر ـ مكتبة النهضة المصرية ـ (القاهرة د/ت)

س ٠ د ٠ : جواتيان

ـ دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ـ تعريب وتحقيق ـ عطية القوصي ـ الناشر ـ وكالة المطبوعات ـ (الكويت : ١٩٨٠) ٠

ستين : زيتنـــر

ـ تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس ـ ليدن ـ (بوبيـــل : ١٩١٩) عربي-الماني ٠

سركيس : يوسف اليـــــاس

ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ـ مطبعة سركيس ـ (القاهرة : ١٩٢٨

السعداوي : نظيـــر

ـ الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ (القاهرة : ١٩٦١) ٠

سلام : محمد زغلـــول

ـ الادب في العصر الايوبي ـ دار المعارف ـ (مصر : ١٩٦٨) ٠

سيسالم : عصـــام

ـ جزر الاندلس المنسية ـ التاريخ الاسلامي لجزر البليار ـ الطبعـــة الاولى ـ دار العلم للملايين ـ (بيروت : ١٩٨٤) ٠

الشيـــال : جمال الدين

- دراسات في التاريخ الاسلامي - الناشر - دار ثقافة بيروت (الاسكندرية : ١٩٦٤) .

الصابوني : احمـــــد

- تاريخ حماة - تعليق - قدري الكيلاني - الطبعة الثانية - المطبعـــة الاهلية - (حماة د / ت) .

الصائـــغ : سليمان الموصلي

- تاريخ الموصل - المطبعة السلفية (مصر : ١٩٢٢) .

طرخان : ابراهيم علـــي

- النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى - مطبعة الكتا ب العربي للطباعة والنشر - (القاهرة : ١٩٦٨) .

طليمات : عبد القادر احمد

- مظفر الدين كوكبري أمير اربل - المؤسسة المصرية العامة للتأليـــف والترجمة والطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد القومي (القاهـــرة : ١٩٦٣) .

عاشور : سعيد عبد الفتاح

- الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى - الطبعة الثالثة - مطبعة الانجلو المصرية - (مصر : ١٩٧٦) .

- اوربا العصور الوسطى - الجزء الاول - التاريخ السياسي - الطبعـة الخامسة - مكتبة الانجلو المصرية - (مصر : ١٩٧٢) .

- دراسات وبحوث في تاريخ العصور الوسطى - مطبعة الاحد البحتـــرى (بيروت : ١٩٧٢) .

عاشـور : فايد حماد محمـــد

- العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصر الايوبي - تقديم

جوزيف نسيم يوسف ـ الناشر دار المعارف مطبعة التقدم (الاسكندرية : ١٩٨٠) .

العبادي : احمد مختار ، عبد العزيز سالم

ـ تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ـ دار النهضة العربية (القاهرة : ١٩٨١) .

العبدلي : احمد فاضل بن علي محسن

ـ هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن ـ الطبعة الثانية ـ (بيروت : ١٩٨٠) .

عبد الوهاب : حسن

ـ التأثيرات المعمارية بين اثار سوريا ومصر ـ (القاهرة : ١٩٦٢) .

ـ من روائع العمارة الاسلامية في القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة : ١٩٦٥) .

العبود : عبد الكريم توفيق

ـ الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ـ دار الحرية ـ (بغداد : ١٩٧٦) .

العبود : نافع توفيق

ـ الدولة الخوارزمية ـ مطبعة جامعة بغداد ـ (بغداد : ١٩٧٨) .

عثمان : فتحي

ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحضاري والاتصال الحربي

ـ الكتاب الثاني ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة : ١٩٦٦) .

العريني : السيد الباز

ـ الشرق الادنى في العصور الوسطى ـ الايوبيين ـ دار النهضة العربية (مصر : ١٩٦٧) .

عمارة : محمـــــد

ـ معارك العرب ضد الغزاة ـ حطين ـ تحرير فلسطين ـ المنصـورة عين جالوت ـ (بيروت : ١٩٧٢) ٠

عمران : محمود سعيـــد

ـ الحملة الصليبية الخامسة ـ تقديم ـ جوزيف نسيم يوسف ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (الاسكندرية : ١٩٧٨) ٠

فشـــر : هـ ٠ أ ٠ ل

ـ تاريخ اوربا العصور الوسطى ـ ترجمـة ـ محمد مصطفى زيادة ـ السيد الباز العريني ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف ـ (القاهرة : ١٩٦٩) ٠

فكرى : أحمــــد

ـ مساجد القاهرة ومدارسها في العصر الايوبي ـ الجزء الثاني ـ دار المعارف ـ (مصر : ١٩٦٩) ٠

فهمي : عبد الرحمـــن

ـ صنج السكة في فجر الاسلام ـ دار الكتب المصرية ـ (القاهرة : ١٩٥٧) ٠

فهمي : نعيم زكـــي

ـ طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ـ اواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (القاهرة : ١٩٧٣) ٠

قسطاكي : نعمان افنـدى

ـ الروض الغناء في دمشق الفيحاء ـ (بيروت : ١٩٧٩) ٠

كـرد : محمد علي

ـ خطط الشام ـ مطبعة الترقي ـ (دمشق ١٩٢٦) ٠

الكرملي : انستاس ماري البغدادى

النقود العربية وعلم النميات ـ المطبعة العصرية ـ (القاهرة : ١٩٣٩) ٠

الكاتي : مصطفى حسن محمد

ـ العلاقات بين جنوب والشرق الادنى الاسلامي اضواء جديدة على الحركة الصليبية ـ تقديم ـ جوزيف نسيم يوسف ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ (القاهرة : ١٩٨١) .

لامب : هارولد

ـ شعلة الاسلام ـ ترجمة ـ محمود عبد الله يعقوب ـ مراجعة ـ جمال الدين الشيال ـ مطبعة الارشاد ـ (بغداد : ١٩٦٧) .

ماجد : عبد المنعم

ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ـ مطبعة الرسالة ـ (القاهرة : ١٩٦٣) .

ـ نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ـ مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة : ١٩٥٣) .

ماهر : سعاد

ـ البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة : ١٩٦٧) .

ـ مساجد القاهرة واولياؤها الصالحون ـ مطابع الاهرام التجارية ـ (القاهرة : ١٩٧٦) .

مبارك : علي

ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ـ مطبعة دار الكتب ـ (القاهرة : ١٩٦٩) .

متز : آدام

ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة الاسلامية ترجمة ـ محمد عبد الهادي ابو ريده ـ دار الكتاب العربي ـ (بيروت : ١٩٦٧) .

محمـــود : حسن سليمان

ـ تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي ـ الطبعة الاولى ـ المجمع العلمي العراقي ـ (بغداد : ١٩٦٦) ٠

مرزوق : محمد عبد العزيـــز

ـ الفن الاسلامي في العصر الايوبي ـ مطبعة دار المعارف ـ (مصـــر : ١٩٦٢) ٠

مرزوق : محمد عبد العزيز

ـ الفن الاسلامي في العصر الايوبي ـ مطبعة دار المعارف ـ (مصر : ١٩٦٣

مصطفى : صالح لمعـــي

ـ التراث المعماري الاسلامي في مصر ـ (بيروت : ١٩٧٥) ٠

ـ الطبعـــة الاولى ـ منشورات دار الرائد ـ (بيروت : ١٩٦٧) ٠

المطوي : محمد العروسي

ـ الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ـ دار الكتب الشرقية ـ الطبعـــة الاولى ـ (تونس : ١٩٥٤) ٠

مظهر : جـــلال

ـ اثر العرب في الحضارة الاوربية نهاية عصر الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة

النقاش : زكـــي

ـ العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبيـة ـ دار الكتاب اللبناني ـ (بيروت : ١٩٥٨) ٠

نوري : دريد عبد القادر

ـ سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ـ مطبعـــة الارشاد (بغداد : ١٩٧٦) ٠

ـ الوطن العربي والغزو الصليبي ـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمـــي ـ (العراق : ١٩٨١) ٠

هاشــم : زكـريا

ـ فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ـ تقديم ـ محمد احمــد ـ المهدي ـ مطبعة النهضة ـ (القاهرة : ١٩٧٠) .

هنتس : فالتــــر

ـ المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ـ ترجمـــة ـ كامل العسلي ـ منشورات الجامعة الاردنية ـ (عمان : ١٩٧٠) .

هونكــة : سيغريـــد

ـ فضل العرب على اوربا ـ ترجمة ـ فؤاد حسنين علي ـ الناشـــر ـ دار النهضة العربية ـ مطبعة الرسالة ـ (القاهرة : ١٩٦٤) .

اليازجي : كمال ، انطوان غطاس كرم

ـ اعلام الفلسفة العربية ـ دراسات مفصلة ونصوص مبوبة مشروحة ـ دار المكشوف ـ الطبعة الثالثة ـ (بيروت : ١٩٦٨) .

يوسف جوزيف نسيم

ـ العدوان الصليبي على بلاد الشام وهزيمة لويس التاسع فى الاراضـــي المقدسة ـ الطبعة الثالثة ـ دار الكتب الجامعية ـ (الاسكندريـــة : ١٩٧١) .

٤ـ المراجع التركية :ـ

غالب : اسماعيل

ـ مسكوكات تركمانية قتالوغي ـ مهران ـ مطبعة ـ سى ـ باب عالي جادة سندة ـ نومرو (٧) ـ (القسطنطينية : ١٣١١هـ) .

هـ ـ الابحاث المنشورة :ـ

احمد قاسم الجمعة :

ـ أهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين الشرق والغرب العربي في العصر الاسلامي ـ اداب الرافدين ـ جامعة الموصل ـ كلية الاداب العدد السابع ـ ايلول ـ ١٩٧٨ .

سعيد عبد الفتاح عاشور :

ـ الامبراطور فردريك الثاني والشرق العربي ـ المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الحادي عشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ .

عبد اللطيف كانو :

ـ دراسة عن المسكوكات الاسلامية ـ الوثيقة ـ مجلة نصف سنوية تصدر عن مركز الوثائق التاريخية ـ العدد الاول ـ السنة الاولى ـ البحرين ـ ١٩٨٢

عبد الواحد الرضاني :

ـ التأثيرات الاجنبية على السكة النحاسية الموجودة في مركز البحوث الاثارية والحضارية ـ اداب الرافدين ـ جامعة الموصل ـ كلية الاداب ـ العدد السابع ـ ١٩٧٦ .

محمود ياسين التكريتي :

ـ قيام الحكم الايوبي في اليمن ـ المجمع العلمي العراقي ـ الجزء الرابع ـ المجلد الثالث والثلاثون ـ ١٩٨٢ .

ناظم رشيد :

ـ التعليم في ظل الدولتين الزنكية والايوبية في الشام ـ اداب الرافدين ـ جامعة الموصل ـ كلية الاداب ـ العدد العاشر ـ ١٩٧٩ .

-ρ-

REFERENCES :

ATIYA , AZIZ.S. CRUSEDES COMMERCE AND CULTURE .

BLOOMINGTON : INDIANA UNIVERSITY PRESS, 1962 .

COOK, M.A. STUDIES IN ECONOMIC HISTORY OF THE MIDDLE EAST

FROM THE RISE OF ISLAM TO THE PREASENT DAY, ed, LONDON

OXFORD UNIVERSITY PRESS. 1970.

GIBB. H.A.R. " THE AIYUBIDS" CHAPT .xx OF A HISTORY OF THE CRUSADES , VOL ii, ed: SETTON, K.M. PHILADELPH: THE REGENTS OF THE UNIVERSITY OF WISCONSIN, 1962.

GOTTSCHALK, HANS.L. AL- MALIKS AL- KAMIL VON EGYPTEN UND SEINE ZEIT. OTTOHARRASSOWITZ- WIESBEDEN,1958

GROUSSET, RENE . HISTOIRE DES CROISADES. PARIS: LIBRIE PLON , 1936.

HEYD, W. HISTOIRE COMMERCE DU LEVANT AU MOYEN-age

ADOLF M. HAKKERT - EDITEUR - AMSTERDAM., 1959.

Ibn al-FURAT, AYYUBIDS, MAMLUKES AND CRUSADERS (Selections from his Tarikh al-duwal wal-Muluk) edited by J.S.C. RILEY - SMITH , CAMBRIDGE: W. HEFFER AND SONS LTD., 1971.

LANE - POOLE, STANLY . HISTORY OF EGYPT IN THE MIDDLE AGES . LONDON : METHUEN , CO., 1901.

LANE - poole, stanley . Arabic coins . Cairo Khedivial library = 1897

Lewis, Bernard, and others, The world of Islam and Husdson, london, 1970.

Pernoude, Regine. The Crusaders. tr. Enid Grant.

Edinburgh and London , Oliver & Boyd- Ltd., 1963

X Rabie, Hassanin. The Finnancial System of Egypt
A.H.564- 741 D. 1169- 1341. London: Oxford universtiy press, 1972.

X Setton, Kennth. M. AHistory of the Crusades.,
VOL. II, ed : wolf, R.L. & Hazard, H.W. the university of wisconsin press, 1969.

x Stevenson, W.B. The crusaders in the East.
Cambridge University Press, 1959

ي -

ARTICLES

X BRADY, I.C. " Franciss of Assis " The new EncyclopaediaBLitannica,VOl.,7

X Cahen, C."Crusades" Encyclopaedia of Islam VOl., 2

X Ehrenkreutz, A.S. " Contribtions to the know ledge of Fiscal Administration of egypt in the middle Ages" . In Bsoas, Vol. XVI, university of London, 1954.

X Farmo, M.W. " The Decline of the crusading Movement" The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 5.

X Cottschalk, H.L. "Al- Malik Al- Kamil" , In encyclopaedia of Islam, Vol. ZV.

X AL"- Mansura" Encyclopaedia britannica, Vol. 17

ملحق رقم (١)

وقد تعددت مراكز ضرب الدراهم والدنانير التي استخدمت في عهد الملك الكامل الايوبي ومنها :ـ

درهم فضي

رقم القطعة : ١٤١٨

نوع المعدن : فضة

سنة الضرب : ٦١٧ هـ

الوجه

المركز : الامام
الناصر

الهامش :
لا اله الا الله | محمد ر ... | ...
ضرب بدمشق | سنة سبع | عشرة

الظهر

المركز : الملك
الكامل

---

1) Lane-Poole., Arabic coins , Cairo, Khedivial Library, 1997, P. 233.

ملحق رقم (٢)

كما ضرب الدينار في مناطق مختلفة من مصر ومن ذلك دينار ضرب في الاسكندرية

رقم القطعة : ١٣٨٩

نوع المعدن : ذهب دينار ذهبي

سنة الضرب : ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م

مكان الضرب : الاسكندرية

الوجه

المركز : الامام محمد
ابو النصر الظاهر
بأمر الله امير
المؤمنين

الهامش :
لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله الخ

الظهر

المركز : الملك الكامل
ابو المعالي
محمد بن ابي بكر
ابن ايوب

وضرب هذا الدينار ايضا بالقاهرة سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (٢)

Lane-Poole., OP. Cit., p. 219 · (١)

Lane-Poole, Ibid ., p. 219 · (٢)

ملحق رقم (١)

-٢ فصت-

وقد شارك ملوك الاطراف في نقش اسماء الملوك الايوبيين على قطع نقود هـــ
بما فيها الفلوس النحاسية التي تعود الى الاتابك ناصر الدين محمود .

رقم القطعة : ٥١ ش

نوع المعدن : نحـاس

سنة الضرب : ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م

الوجــــه

المركـز :

صورة رأس لشخص يعتمر أكليلا من الغار تنساب سوالفه على جانبـ
وجهه وفوق رأسه ملكان مجنحان طائران .

الهامــش :

هامش دائري يدور عكس اتجاه عقرب الساعة

اليمين ضرب بالموصل سنـــة

اليسار عشرين (و) ستمايـــة

الظهـــر :

المركـز :

كتابة من سبعة أسطر متوازية نصها :

أتابك (محمود)

لا اله الا الله محمد

رسول الله الناصر

الدين (الله امير) المؤ

منين عـ (ز آل) دنيا (و)

الدين ابو نصر محمد

الملك الاشـرف

---

(١) من قطعة محفوظة في مركز البحوث الاثارية ، جامعة الموصل . ينظر : الرشـ
ـد عبد الواحد : التأثيرات الاجنبية على السكة النحاسية (مجلة آداب
الرافدين ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، العدد السابع ١٩٧٦)
٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

رقم القطعة : ١١

سنة الضرب : ٦١٧

مكان الضرب : آمد

القطـــر : ٢٤

الوجـــه

المركز :

حلزونــــي

الملك | الصالح | ناصر | الدين

الهامش :

محمود | بن محمد | بن قرا ارسلان بن ارتق

الظهـــر

المركـز :

الملك

الكامل

الهامش :

ضرب | بآمد | سنة | سبع | عشرة | ستمائة

وكتب على الزاوية الخارجية

الامام | الناصر | احمد | ناصر | الدين | محمود

---

(١) اسماعيل غالب : مسكوكات اسلامية ((تقاولوغي)) (القسطنطينية : ١٣١١)

The Third Chapter sheds light on the relations between al-Malik al-Kamil and the Crusaders, Presenting a detailed account on the most salient militery and political events which took place al-Kamil'S reign .

This chapter commences with a descrirtion of Demiate expedition which marks a turning -point in the Crusades 'military Strategy For after they had suffered the restoration by Muslims of Jerusalem, they turned their attention to Egypt attemptingt its subjugation because it was the power which had previoisly brought about their failure .

But this Crusade was concluded by apeace treaty and the handing over of Jerusalem without fight .

The Fourth chapter spotlights the cultural aspects during the reign of al-Malik al-Kamil . It pursues the lines economic life and activities altogether with the financial and fiscalpolicies

This chapter also discusses the administrative activities of al-Malik and hisconcentration on the improvement of the public records (Dawāwin) and his special concern with education .

The chapter ends with a description of the most important architectural achievements and buildings which were ereected in in al-Kamil 'S age .

ABSTRACT

The objective of this dissworktion is to study of the most important areas in the history of the Arab and Muslim world.

This study covers the span of time axtending from the beginning of the Sixth crusade to the end of the reing of al-Malik al-Kamil which was abundant with internal conflicts as well as external challanges which had threatened the existence of the Muslim and Arab world.

The study includes an examination of the diplomatic and military relations between the East and west which have Preoccupied the attention of both Arab and foreign writers for ages.

This era was indeed one of lengthy and most remarkable experiences, because it was largelyinterpolated with so many incidents and events. It witnessed the recurrence of war and peace, mobilization anddiplomacy, defeat and victouy, and the passing over of Jerusalem to the Emperor fredrich II withoutfight.

The experience of the final crusades has pointed out the fact that once the nation is unifed, it can easily achieve victory, but when it is divided, and its rulers were preoccupied with rivalry and struggle over power, it cannot achieve victory.

This dissertation consists of four chapters:
The First chapter deals with the political situation before taking over of the Sultanate byal-Malik al-Kamil including the relations btween Al- ʿAdil on one hand and the Crusaders on the other.

This chapter tackles, in its second part, the career of al-Malik al-Kamil and his most outstanding military and political achievements before his ascension to the throne. It provides on the political problems he encountered with a particular to Ibn al-Shaṭṭuob 's plot and the means al-Kamil resorted to.

The Second chapter prapter provides an analysis of the relations between al-Malik al-Kamil and the Muslim and Auybid emirates in the Arab Muslim world It highligts the ties between the Auyybids in Al-Sham, Al-Jazirā districts and Al-yemen on the one hand hand and Al-Malik Al-Kamil on the other. A reference has also been made to Al- Kamil 'S relations with the Abbasid caliphate, Arṭaqīds, Khawārism, and the Anatolian Seljuks These latter relations were characterized by unstability and shifts from friendliness to animosity according to personal interests and factional rivalry.

١٢٣٧٢